مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

«مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً»

جمادى الآخرة ١٣٩٥ هـ
تمــوز «يوليو» ١٩٧٥ م

خواطر في اللغة

الأستاذ شفيق جبري

أقلّب النظر من حين إلى آخر في معجم من معجمات اللغة ، والمعجم الذي ألِفته من سنين طويلة إنما هو القاموس المحيط للفيروزابادي ، ولقد تخطر ببالي خواطر في خلال هذا التقليب فأدوّن بعضها ، من هذه الخواطر مروري بطائفة من بقايا الفصاح أو بصور لطيفة قد بطل استعمالها في عصرنا هذا ، أو بكثرة المصادر وغلبة بعضها على بعض ، أو بتناقض المعاني في بعض مشتقّات مادّة من الموادّ ، أو بشقاوة بعض الألفاظ وسعادتها ، أو بموت بعض الألفــاظ ، أو بغير ذلك من الأمور التي لا سبيل إلى إحصائها ، وإني لأسف الأسف كلّه على أني لست من علماء اللغة حتى أهتدي إلى الوقوف على أسرار اللغة وخصائصها ؛ وإذا عجزت عن مثل الوقوف فقد يرضيني أن أدوّن خواطري مكتفياً بالإعراب عنها من ناحية وبالإعراب عن عجزي في هذا المجال من ناحية ثانية .

من بقايا الفصاح مادّة تشيطن ، فالشيطان معروف ، وهو كلّ عاتٍ متمرّدٍ من إنس أو جنّ أو دابّة ، وتشيطن فعل فعله ، فهذه المادّة فصيحة وقد بقي استعمالها في لغة العامّة حتى يومنا هذا ، وأكثر ما تطلق على الصبيان الصغار فإذا قالوا في صبّي : يتشيطن ، أرادوا بذلك أنه مثل الشيطان ، وقد اشتقّوا من هذه المادّة صورة لطيفة فقالوا : شيطان الفلا

وهم يريدون بذلك : العطش ، إلا ّ أن هذه الصورة لم تبق بنا حاجة اليها في يومنا ، فالماء في الفلا عادة ّ قليل نادر ، فإذا كنّوا عن العطش بشيطان الفلا فالكناية في محلّها ، فكأنّ العطش في الفلا إنما هو عاتٍ ، متمرّدٌ مثل الشيطان . أمّا في عصرنا فالسفر في الفلا قليل ، وإذا لم يكن قليلًا فقد يكون بالسيّارات ، والمسافر يستطيع أن يقطع الفلوات الطويلة ومعه الماء في سيّارته ليشرب منه إذا عطش . وهكذا نجد أن بعض الصور الشعرية تبطل ببطلان الحاجة إلى استعمالها ، حتّى لو كانت هذه الصور طريفة .

وإذا انتقلنا من بقايا الفصاح ومن بعض الصور اللطيفة إلى كثرة المصادر وجدنا أن من مصادر قرأ : قَرْءاً وقراءة وقرآنا . فالقرء كاد يختفي في الاستعمال فنكاد لا نجد له أثراً في كتابتنا ، والقرآنُ غلب على كتاب الله عزّ وجلّ فهو التنزيل ، وقد جاء بمعنى القراءة في آية من محكمات الآيات : «فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه[1]» أي قراءته ، كما جاء في شعر رُثي به عثمان رضي الله تعالى عنه :

ضحّوا بأشمطَ عنوانُ السجود به يقطّع الليل تسبيحاً وقـــرآنا

إلا ّ أن هذا الاستعمال قد انفرد به الذكر الحكيم ، فلا يقول أحدنا في هذا اليوم : فلان حسن القرآن ، أي القراءة ؛ على أنا إذا قلنا هذا القول فقد يزداد قولنا شرفاً لأنه مقتبس من كتاب الله . فلم يبق من مصادر قرأ الثلاثة مصدر مستعمل إلا ّ القراءة .

وما دمنا نتكلم على مصادر قرأ فلابأس بذكر مصادر كتب ، يقال : كتبه كَتْباً وكِتاباً ، هذا مادوّنه صاحب القاموس المحيط ، فالكَتْب قلّ استعماله حتى كاد يختفي كما قلّ استعمال القَرْء . بقي الكتاب ، وهو المصدر الثاني وقد غلب هذا المصدر على ما يكتب فيه ، على أنه قد جاء في كتاب الله تعالى بمعنى الفَرْض : « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً[2] » كما

(١) القيامة ١٨/٧٥ (٢) النساء ١٠٢/٤

جاء بمعنى المكتوب على نحو ماذكره بعض المفسّرين : « وكلّ شيء أحصيناه كتاباً »(١) وقد استُعمل الكتاب بمعنى الكتابة في بعض العصور على نحو ما جاء في شعر المتنبي :

حتّى رجعت وأقلامي قوائل لي المجد للسيف ليس المجد للقلم
فاكتب بنا أبداً بعدالكتاب به فإنّما نحن للأسياف كالخدم

أي بعد الكتابة به ، والضمير في به يرجع إلى السيف . أمّا اليوم فلا نجد من يقول : فلان حسن الكتاب أي الكتابة ، فهذا المصدر استقلّ في معناه وانفرد فأصبح له معنى خاصّ .

ومن هذا القبيل على ما نعتقد مادّة : الحياة ، فالحيوان والحياة في اللغة بمعنى واحد فهما نقيض الموت ، إلاّ أن الحياة انفردت بمعنى ولفظة الحيوان انفردت بمعنى آخر ، فلا نجد من يستعمل الحيوان بمعنى الحياة ، وقد وردت في التنزيل بمعنى الحياة ، ولا أذكر الآية الشريفة التي وردت فيها (٢) ، فالحيوان يطلق في المصطلح على جنس الحيّ ولا يرضى أحد أن يقال فيه إنه حيوان فهذه اللفظة غايةٌ في الذمّ ، وهكذا نجد أن اللفظتين : الحياة والحيوان ، قد انفردت كل واحدةٍ منها بمعنى خاص على الرغم من اشتراكها في الأصل في معنى واحد .

فالذي يتبيّن لنا أن تنازع البقاء يجري على المصادر فيخفي منها بعضها ، ويغلّب منها بعضاً على بعض ويجعل لأحدها معنى مستقلاً لايشاركه فيه أخوه . ولسنا نعلم هل بحث علماء اللغة في القديم عن السرّ في كثرة المصادر ، فهل نعرف ماهو السبب في أن لبعض الأفعال أكثر من مصدر ، فإذا لم يبحثوا هذا البحث فهل يرشدنا علماء اللغة في عصرنا إلى أسرار هذا الامر .

وإذا فرغنا من كثرة المصادر ومن غلبة بعضها على بعض فلننتقل إلى

(١) النبأ ٢٩/٧٨

(٢) الآية هي : « وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون » سورة العنكبوت ، الآية : ٦٤ «المجلة»

الكلام على تضادّ المعاني في مشتقّات مادّة من الموادّ، يقال: الهَشْم كسر الشيء اليابس أو الأجوف أو كسر العظام أو الرأس خاصّة أو الوجه أو الأنف أو كل شيء، يقال: هشمه يهشمه بالكسر فهو مهشوم وهشيم، كل هذا واضح لا إشكال فيه. ولكن الإشكال يأتي إذا علمنا أن معنى تهشّم فلاناً: أكرمه وعظّمه كهشّمه، فما هي الصلة بين كسر الشيء اليابس وبين الإكرام والتعظيم، أفلا نرى شيئاً من التناقض بين هذين المعنيين المشتقّين من مادّة واحدة وهي الهشم؟ من هنا نرى حاجتنا إلى معجم يبيّن لنا تاريخ الألفاظ وميلادها أو موتها، ويبيّن لنا ارتباط معاني هذه الألفاظ بعضها ببعض، فنحن نمرّ بقولنا: تهشّم فلاناً أي أكرمه وعظّمه ولكنا لا نهتدي إلى سرّ هذا المعنى وأصله. وكيف كان الأمر فما نظن أن أحداً في هذا العصر يستعمل: تهشّم فلاناً بمعنى أكرمه وعظّمه، وإنما نستغني عن هذه المادّة ونكتفي بقولنا: أكرمه وعظّمه.

والطريف بعد هذا كله انتقال بعض الألفاظ من سعادتها إلى شقاوتها، فالعصابة في اللغة كالعصبة، بالضم، من الرجال والخيل والطير مابين العشرة إلى الأربعين. وقد وردت في شعر حسّان:

لله درّ عصابـــة نادمتهم يوماً بجلّق في الزمان الأوّل

إلاّ أن العصابة التي وردت في هذا الشعر كانت تطلق على ملوك غسّان، وما أدرانا بمجالس أولئك الملوك، فجبَلة بن الأيهم وهو آخر ملوكهم كان مجلسه ـ على نحو ما جاء في الأغاني ـ يضم خمس روميات يغنين بالرومية بالبرابط، وخمساً يغنين غناء أهل الحيرة، وكان يفد إليه من يغنيه من أهل العرب من أهل مكة وغيرها، وكان إذا جلس للشرب فرش تحته الآس والياسمين وأصناف الرياحين وضرب له العنبر والمسك في صحاف الفضّة والذهب، وأتي بالمسك الصحيح في صحاف الفضة، وأوقد له العود المندّى إن كان شاتياً

وإن كان صائفاً بطّن بالثلج ، إلى آخر ما جاء في هذا الوصف ، مع حسن الوجه وحسن الحديث . . فعلى مثل هذه الطبقة أُطلقت العصابة في القديم . أمّا اليوم فإنها تطلق على جماعة من المجرمين والقتلة واللصوص وأصحاب السيرة المذمومة ، فإذا قلنا في عصرنا : قبضت الحكومة على العصابة فنحن نفهم أن هذه العصابة من الذين قتلوا أو سرقوا أو عاثوا في الأرض فساداً . على أن العصابات قد تطلق أيضاً على جماعة من الثوّار والمتمردين الذين يدافعون عن حقوق أوطانهم وليس من الضروري أن يكونوا من المجرمين ولكن الغالب على هذه اللفظة : العصابة أنها سعدت في عصر من العصور ثم شقيت في عصرٍ آخر . فما أغرب اللغة وما أعجب حياتها ؟ .

وأخيراً فلنشهد موت بعض الألفاظ ، يقال : تغضّفت علينا الدنيا : كثر خيرها وأقبلت ، فهل نجد أحداً في هذا العصر يستعمل : تغضّفت علينا الدنيا ، وهل السبب في ذلك ثقل هذه اللفظة أم غرابتها ؟. إن العصر الذي نعيش فيه إنما هو عصر السرعة ، فلا يتسع وقت أحدنا لفتح المعجمات والتفتيش عن معنى مادّة غريبة وإنما نميل إلى أسهل الألفاظ وأقربها من فهمنا ، فإذا قال أحدنا في هذا اليوم كثر خير الدنيا وأقبلت ، فهم الناس هذا القول من أيسر الطرق ، أمّا إذا قلنا : تغضّفت علينا الدنيا أشكل عليهم فهمُ هذه المادة ، فالعصر عصر الإيجاز في كل شيء ولا سيّما في الأدب . وإذا قابلنا بين الخطب في زمن الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم وبين الخطب والرسائل التي حُبّرت في عصر اتساع مذاهب البيان كالرسائل التي جاءت على لسان صلاح الدين مثلاً في فتح بعض الأمصار عرفنا مبلغ البساطة في التعبير والإيجاز في البيان .

ما أكثر الخواطر التي تخطر بالبال في مطالعة معجمات اللغة !

« شفيق جبري »

الكلمات الدخيلة على العربية الأصيلة

المرحوم الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

قَزْمَه : من التركية kazma ، من المصدر (قازمق kazmak = حَفَرَ) . اسم لأبسط أنواع آلات الحفر القديمة . الصغيرة من أنواعها تسمى باللهجة الشامية (حافورة) وتستعمل لبحث التراب في حديقة البيت .

قِشْلاق : بالتركية ، هي المشتى عامة . أما الثكنة العسكرية فهي (قيشلة أو قشلا kisla = البناء العظيم للجيش خاصة) .

قَلاوُظ : بالتركية بالحروف القديمة (قلاغوز وتلفظ قلاوز بالواو kulavuz) والمعنى الأصلي : دليل ، قائد / من تتوسط بين أهل الخاطب والمخطوبة في شأن الزواج . أما لمعنى دليل السفينة في المضائق البحرية فهو (ليمان قلاغوزى liman klavuzu) تخصيصاً بذكر (ليمان = المضيق) وباللهجة المصرية شاعت (قلاوظ) بحذف (ليمان) لكثرة الاستعمال في الشؤون البحرية . والمعاجم التركية لاتذكر لكلمة (قلاغوز) معنى لأنثى المسمار الملولب . فهو إطلاق خاص باللهجات العربية (بين الحدادين وبائعي الخُردة) استعارة من معنى التوسط الآنف الذكر على مايبدو . ولقد اشتقوا منها (قَلْوَظ ، مُقَلْوَظ) . وفي سورية تلفظ القاف ألفاً مفخمة (آلاووظ) .

قَنال : بالتركية عن الفرنسية canal وهذه عن اللاتنية canalis . في اللغة العربية (قناة) وتعني مجرى يحفر في باطن الأرض بين بئرين ج قنوات وقناً ، وقُنِيّ ، وقنَيات . أفلا تكون اللاتينية مأخوذة عن العربية ؟

قِنبلَة : من التركية (kumbara محرفة عن الفارسية خُمْبَرَه ، بالخاء والراء) . ففي المعجم التركي أن (خمبره) فارسية معناها (گنْه ، بالكاف الفارسية) مجوّفة . و (گله) هذه تركية تطلق على مرمى المدافع وكانت قديماً على شكل كرة والآن هي اسطوانية دقيقة الرأس . أما (خمبره) فمركبة من (خُم ، خاء مضمومة) أي (حُقّ) دِنّ خمر / وباره = قطعة) . فالترك يلفظونها (قومبارا) ولا يزالون إلى يومنا هذا يطلقونها على (حُقّ) صغير من فخار عليه شق مستطيل يتسع لمرور (قرش مثلاً) ، يَجمع (بصمّد) فيه أولادهم مايأخذونه من آبائهم أو أقاربهم من النقود . والحُقّ الصغير هذا كرويّ يشبه القنبلة الصغيرة ويسمى باللهجات السورية (مطمورة) وفي الكتب المدرسية (حَصّالة النقود) .

وفي كتب التاريخ التركي تمر كلمة (خمبره) في سياق الوقائع الحربية ويلفظونها (هومبارا) بالهاء كما هي عادتهم ، ويقولون (خمبره‌جي) أي ملقي القنابل أو صاحب القنابل . فإذا لفظوها (هومبارا) أرادوا بها القنبلة الحقيقية ، وإذا لفظوها (قومبارا) بالقاف أرادوا بها ذلك (الحُقّ) الصغير الذي يجمع فيه صغارهم النقود [مما كتبته بعنوان (حول القنبلة) في مجلة المجمع العلمي العربي سنة ١٩٤٦ المجلد ٢١ ص ٢٨٧] .

قَوْرمَه : من التركية (قاوُرمه kavurma) مصدر تخفيفي من (قاوُرمق kavurmak = قَلى) ، اسماً . تطلق الكلمة على اللحم المفروم والمقلي بدهنه يُحفظ في أوعية مناسبة من الزجاج (قطرميز) أو من (تَنَك) ليؤكل شتاءً ، خاصة . وباللهجة السورية تلفظ (آوِرمه) بالألف المفخمة بدلاً من القاف .

قُوزي : من التركية (قوزي) وتلفظ (قوزو kuzu = خروف) . والعامة باللهجة الشامية تلفظه (اوزي) بالألف ، لطعام يصنع من لحم الخروف والأرز، وهو (الخروف المحشي . kuzu dolmasi) .

(ك)

كارْ : من التركية عن الفارسية (كار) بمعنى صنعة ، مهنة ، عمل ، فائدة.

كَرْخانَة : بالتركية عن الفارسية (كار = عمل ، صنعة الخ / خانه = دار ، محل) تطلق الكلمة على (المصنع) في لبنان لمعمل الحرير (دود القز) وباللهجة الحلبية كانت تطلق على معمل نسيج خاص يعمل بأنوال قديمة . وقد حلّت كلمة (معمل / مصنع) مقابل هذه الكلمة التركية . أما بمعنى (الماخور / بيت الدعارة) فهو خاص باللهجة التركية ، وغير شائع في اللهجة السورية ألبتة .

كِرْباج : الأصل بالتركية (قرباج) بالقاف والجيم العربية . لكنهم يلفظونها بالجيم الفارسية المثلثة التحتية (kirbaç) ، لسوط مصنوع من الجلد (= مِقْرَعَة) .

كَرْدان : من التركية محرفة عن الفارسية (كردن = العنق ، الجيد) . وبالتركية يلصقون بالكلمة وسمة (ليق ، بمعنى لأجـــل) gerdanlik وهو حلي للعنق ، للجيد : القلادة التي تتزين بها النساء

تعليقاً على أجيادهن . باللهجة السورية تسمى (بُخْنُق) محرفة عن (مِخنقة) الفصحى وهي القلادة الضيقة . [قلت : التِقْصار ، للقلادة القصيرة اللاصقة بالعنق . يقابلها المُوَسْلَة ، للقلادة الطويلة التي تقع على الصدر] .

كيريكْ : تحريفاً من التركية (كُورَك kurek) ومعناها = مجرفة ، رفش / مجذاف) . تطلق باللهجة السورية على المجرفة خاصة .

كَسْتنا : من التركية محرفة (كستانه kestane) عن اللاتينية castanea . باللهجة المصرية (أبو فروة) ، وباللهجة الحلبية (أبو فريوة) على على التصغير . وباللهجة الشامية (كَسْتَنَة) .

كِشْتِبان: محرفةٌ عن الفارسية (أنگشت ـ بان) : (أنگشت بضم الكاف الفارسية = اصبع / بان – اداة فاعِلة بمعنى حافظ ، واق) أي واقي الاصبع: لما يضعه الخيّاط (أو الخياطة) في اصبعة وقاية لها من وخز الإبرة حين دفعه لها فيما يخيطه .

كِشْك : بالتركية (كوشك بالواو kosk عن الفارسية ، لقصر ، أو بيت صغير يُعدّ خاصة للاصطياف) . باللهجة الشامية ، يطلق على ذلك البناء الخشبي أو المعدني الصغير يقام على الأرصفة لأغراض شتى (كبيع أوراق اليانصيب ، وعلب الدخان ، والطوابع الخ) والعجيب أنهم جمعوه على (أكشاك) .

كَفْتَه : من التركية (كوفته kofte لطعام يصنع من اللحم المفروم ، بأشكال مختلفة) باللحم المفروم والصرف شيّاً ، مع البرغل ، مع الكمون الخ) بالحاق كلمة تدل على الشكل . أما باللهجة السورية واللبنانية فتطلق على اللحم المفروم المشوي منظوماً بالسفود .

وباللهجة الحلبية هو (الكباب) على خلاف المعنى التركي للكباب الدال على لحم منظوم بالسفود قُطيعات ويشوى ، وهو (التِكّة) باللهجة العراقية وهي فصحى .

كَبْشَه : محرفة عن التركية (كبچة kepçe) المحرفة هي نفسها عن (كفچه kefçe ، الفارسية) ومعناها (الكف الصغيرة) للأداة المستعملة لغوف الطعام (= المغرفة) . وباللهجة الشامية (كبجايه) بالجيم بدلاً من الشين وبزيادة (يه) . وباللهجة الحلبية (جمجايه) من التركية (جمچه Çemçe) محرفة عن (كپچه ، الفارسية) .

كَفْكير : من الفارسية (كف الفارسية = زَبَد / گير الفارسية أمر من مصدر گرفْتَن = أخذَ ، قبضَ) ومعنى الكلمة قابضة الزَّبدَ . تطلق على أداة المطبخ التي تشبه الكف ، ذات ثقوب ، والتي تؤخذ بها الشوائب (زَبَد وسواه) من المقلاة . ولا أعلم لها كلمة خاصة بالتركية. وقد يقال (دليكلي كپچه delikli kepçe) أي كبجايه مثقبة : ذات ثقوب .

كمَر : من التركية عن الفارسية (kemer) . باللهجة السورية واللبنانية يطلق على الحزام الذي يتمنطق به . أما المعنى الثاني (حديدة السقف) أو بمعنى جسر السقف أو طوق الشباك الخ تشبيهاً مجازاً فلعله خاص بغير اللهجتين المذكورتين .

كَنار : من التركية عن الفارسية (kenar) ومعناها الأصلي : نهاية الشيء ؛ منتهاه . ومن هنا كان استعمال الكلمة في التركية للأطراف النهائية من كل شيء إطلاقاً فإذا أريد التخصيص أضيفت الكلمة المناسبة للغرض . فيقال مثلاً (كنار الثوب ، كنار الشرشف الخ) بمعنى حافة ، (حاشية) الثوب أو الشرشف .

كُنْدُورَة: من التركية (قوندوره، وتلفظ kundura للحذاء المعروف). باللهجة الشامية (كِنْدرَه). أما باللهجة الحلبية فتلفظ (قِنْدِرة) بالقاف الحلبية (= ألف مفخّمة).

كِهْنَة : من التركية عن الفارسية (كُهْنه kohne ـ كُهن kohen) تطلق على الشيء العتيق البالي.

كوْبري : في الأصل التركي (kopru) الباء المثلثة التحتية لما هو (الجسر) بالفصحى، وباللهجة المصرية جمعت على (كباري). أما باللهجة السورية فلا تستعمل سوى الفصحى حتى في العهد العثماني السابق (الجِسر).

لِغيـــم : من التركية. فبالحروف القديمة (لَغْم بفتح فسكون). وبالحروف الجديدة lagim بتحريك الغين حسب لفظها المتطور. ويظن أن أصلها من اليونانية (lacoma بمعنى مجرى تحت الأرض) للمياه القذرة وهو (الكَهْرِيس المعرّبة عن الفارسية كاريز). وغلب استعمال (اللغم) باللهجات العربية بالمعنى التركي الثاني الذي هو مكان أو وعاء مملوء بمواد متفجرة للاستعمال في الحروب أو في المناجم والحفريات لأجل التخريب والتدمير، أو الهدم. وجمعوها (ألغام).

لَگَن : بالتركية عن الفارسية (لَگَن بالكاف الفارسية legen) بإشمام الكاف الفارسية ياءً (leyen) بالتركية. وتطلق عندهم على وعاء معدني كالطست (أو الطشت بمعنى) للغسيل، وباللهجة السورية كذلك. أما إطلاقها على المقلاة فهو خاص بريف مصر كما يقول الأستاذ عبد الرحيم.

لُوكانْدَه: بالتركية (لوقنطه lokanta، من التليانية بمعنيين: المطعم، والنُزُل). فباللهجة اللبنانية = فندق، نُزُل. أما باللهجة الحلبية. فبمعنى = المطعم مثلما هي بالتركية تماماً. وباللهجة اللاذقية هي (أوتيل hôtel. من الفرنسية).

(م)

ماسُورَة : بالتركية (masura) عن الفارسية (ماشورة وماسورة ، بالسين والشين المعجمة) ، بمعنى مغزل مصنوع من عقدة من القصب ، الذي يلف عليه خيط للنَّسْج . وبالتركية زيادة عن هذا المعنى تطلق على حنفية القسطل ، والأنابيب التي يجري فيها الماء ، وعلى وحدةٍ لمقدار الماء المستهلك . وفي اللهجات السورية : تطلق على أنابيب المياه (والشائع عنها : حنّيات الماء ، بدمشق) . وتخصيصاً لانبوبة التدخين في اللهجة اللبنانية كما يقول الأستاذ عبد الرحيم .

ماشَه : بالتركية (masa) للآلة المعدنية التي تلقط بها النار . والمعاجم التركية لاتذكر أنها من الفارسية مما يدل على أنها تركية النجّار (وهي الملقط بالفصحى) .

ماهِيَّه : من الفارسية من (ماه = الشهر ، القمر) ففي مصر والسودان أضيف إليها ياء النسبة ، كما يظن الأستاذ عبد الرحيم فجمعوها على (مهايا ، ومواه) . وبرأيي أنها محرفة عن كلمة فارسية بمعنى الراتب ، المشاهرة وهي (ماهيانه = المعاش / الراتب الشهري) . والأتراك يقولون آيلق aylik للمعاش الشهري . من (آي ay = شهر / لق lik أداة تخصيص) .

مَزَه : بالتركية (meze بالزاي) من الفارسية (مَزَه) بمعنى لذة الطعام فيقال (بي مزه = عديم اللذة ، بلا طعم / وخوش مزه = طعم لذيذ) . وأكثر ماتستعمل هذه الكلمة بمعنى (النُّقْل) الذي يتعلل به مع المشروبات الروحية . في اللهجة المصرية واللبنانية كلمة (ماظة) بالظاء بهذا المعنى أي النُّقْل محرفة عن

(المُاظة) الفصحى للمعنى نفسه وهي بالفرنسية amuse - bouche
المهيئة الفم) اصطلاحاً سمعتُها من بعض الزملاء ، وبالفرنسية
الفصحى تسمى (Hors - d'oeuvre) .

مَسْطُول: في التركية (مسطور ، من السطر أي ماسُطِّر) ولاذكر
لها عندهم بمعنى (السكران) ألبتة . وبرأيي هي من (مست)
الفارسية أي (سكران) وجملتها اللهجة العربية وزان مفعول
(مستول = سكران) وبالإبدال صارت (مسطول) . أم
هل هي (نحتاً) من (مست على طول ؟ !) . وهنالك كلمة
عربية (الميسْطار) وهي الخمر الصارعة لشاربها . فالمسطور -
عامّياً - هو (المخمور) وبالابدال صار (مسطول) أي (مخمور
مصروع) .

مَكوَجي: باللهجة المصرية ، من (مكواة) العربية و (جي ، التركية)
اصطلاح خاص لمن يقوم بتنظيف الثياب وكيّها . أما باللهجة
السورية فهو (كَوّى) . وباللهجة العراقية هو (اوتيجي) من
(اوتو utu) التركية بمعنى (كيّ) و (جي) التركية ،
أي من يقوم بتنظيف الثياب وكيّها بالمكواة .

(ن)

نِشان،نيشان: بالتركية (Nisau) عن الفارسية (نيشان) والمعنى الأصلي:
(علامة ، أثر) . ومن معانيها : هدف / وسام/ ندبة الجرح
أو أثره أو علامته . ومنها اشتقت اللهجة العربية (نَيشَنَة)
بمعنى تنفيذ حكم إعدام رمياً بالرصاص (عسكرياً) كأن المحكوم
هدف للرماية . ومن معانيها الخاصة عند الترك : الخطوبة ، إذ

يقدّم الخاطب خاتماً أو سواه من الحلي الثمينة هديةً علامة موافقته على من وقع الاختيار عليها لتكون زوجته بعد إتمام العقد الشرعي .

نِشَانْكاه : بالتركية عن الفارسية ، بمعنى مكان الرماية ؛ جهاز في الأسلحة النارية لتسديد البصر من أجل الرمي (وقلت لعلها الشعيرة أو القمحة).

(و)

وابُور : بالتركية (وابور vapur) من الفرنسية (vapeur) للآلة البخارية وبخاصة للمركب البخاري (= الباخرة) . باللهجة السورية هي (بابور) بالباء . و (بَبُّور) للموقد البترولي المسمى (بريموس primus) .

(ي)

ياقه : بالتركية yaka (كلمة تركية النّجار) . ببعض اللهجات العربية تلفظ القاف ألفاً مفخمة (يا آ) بالفصحى هي (البنيقة) .

يَخْني : بالتركية yahni بالهاء كما هي عادتهم في لفظ الحروف الحلقية . عن الفارسية (يخني ومعناها الأصلي : مايدخر لأجل الأطعمة من حبوب وبقول . ومن معانيها : طعام مطبوخ ، طبيخ على الإطلاق ، وطبيخ من لحم مع البصل خاصةً) أما إطلاقها على نوع من (الشوربة) فهو في بعض اللهجات العربية على مايبدو .

يَكي : بالتركية القديمة (ايكي iki ألف بعدها ياء) . ومعناها اثنان . باللهجة السورية في لعبة النرد (الطاولة) تلفظ (إيكي) كما يلفظها الترك تماماً فيقولون (ايكي - بير) إذا كان أحد الزهرين على الاثنين والآخر على الواحد لأن (بر pir = ١) .

يَمْخانَه : إنها تلفظ (يه خانه) بتحريك الميم وبحذف الكاف من (يمكخانه) باللهجة المصرية ، محرفة عن (يَمَكْ خانه) لأن (يمك yemek) بالتركية هو الطعام اسماً ومصدراً . هذه الكلمة كانت شائعة في المدارس التركية الليلية التي كان فيها طلاب ليليون = داخليون . وقد اختفت هذه الكلمة من ألسنة العامة في سورية وحلت محلها ، الفصحى : المَطعَم .

يَفْطَه : بالتركية (يافته yafta) بالتاء ، قلبت طاء باللهجة المصرية. وكنتُ قد عربتها (يَفْتج) بحيث يسهل الاشتقاق منها (يفتجَ ، يفتجة ، ميفتَج الخ) .

يُوزْباشي : بالتركية (يوز = مئة / باشي = رئيس) بمعنى ضابط أو قائد المئة . ولم يعد لها استعمال في اللهجة السورية .

— للبحث صلة —

محمد صلاح الدين الكواكبي

دمشق في ديوان الأثري

الدكتور عدنان الخطيب

الشاعر وديوانه

إن قوارير الطيب إنما تغلو بقدر ما فيها من عطر ، والعطر يغلو مع ندرة الزهر الذي استخلص منه ، أفرأيت إلى قارورة **من ذهب خالص مُلئت بأغلى العطور** ؟

بين يديّ الآن ما هو أثمن من أي قارورة طيب ، إنه ديوان صدر حديثاً ، تقرأ فيه شعراً بلغة سليمة مشرقة ، شعراً متألق القسمات ، فتان الرؤى ، يتيه بأبراد موشاة بأروع الصور ، تحسُّ معها صنعة من يتذوق الجمال ، ويحسن اختيار الألفاظ ، وتشمُّ وأنت تقرؤه شذى الريحان وعبق النرجس وأريج الياسمين .

إنه ديوان جديد ، ديوان شعر يعربي السمات ، في نشره فخر للعربية أي فخر ، وهو لعشاقها خمر ، وأية خمر تسكر بل غول ولا إثم ،

هذا هو ديوان «**ملاحم ... وأزهار**» لشاعر بغداد الكبير وذخر العربية الجليل الأستاذ **محمد بهجت الأثري**(١) .

لقد امتاز شعر الأثري بصفات بوّأته المكانة الرفيعة التي يحتلها اليوم بين شعراء العربية ، وهو الذي أغنى الأدباء والنقاد بشعره عن تعريف الشعر وبيان حقيقته ، فحدّد بنفسه معالمه ووصف سماته وعدّد بواعثه ، مشيداً بالنبيل من غاياته ومقاصده ، فاستهل ديوانه بقصيدة من عيون الشعر خطّها بيده ، سلمت يده ، وقال في مطلعها (٢) :

الشِّعرُ ... ما روّى النفوسَ معينُه   وجرت برقراق الشعور عيونُهُ
وصفَتْ كلألاءِ الضياء حروفُه   وزهت بوُضّاءِ البيان متونُهُ
متألّق القسمات ، فتّان الرؤى   يزهو صِبا الفصحى الطّريرَ رصينُه
حرٌّ المذاهب ... لا يشوب أصولَه   كدَرٌ ، ولا واهي اللغاتِ يشينُهُ
ابن الحقيقة والحقيقةُ نهجُهُ   والصدق في أرَب الحياة خدينُهُ
تجري على سَنَن الجلال خِلالُه   ويرود أوضاحَ الجمال يقينُهُ
غِردٌ .. كصدّاح الكنار ، مُساوِقٌ   نغمَ الطبيعة ، راقصٌ موزونُهُ

ويمضي الشاعر في تحديد أوصاف الشعر الأصيل ، ثم يتساءل في ختام قصيدته قائلاً :

(١) ظهر الديوان في أواخر عام ١٩٧٤ عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وهو من منشورات وزارة الثقافة في جمهورية مصر العربية بتوصية من لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، وقد كتب مقدمة رائعة له رئيس اللجنة شاعر مصر الكبير وفقيد العربية الأستاذ عزيز أباظة .

(٢) القصيدة في ثمانية وثلاثين بيتاً ، وهي مثبتة أيضاً بدءاً من الصفحة ٢٦٣ من الديوان .

أين الجديدُ البكرُ . . ليس بظالع مشياً ، وليس بناصلٍ تلوينُه ؟
الواثبُ الرّوحِ ، الأصيلُ شعورُه وخَيالُه ، ونُزوعُه ، ويقينُهُ
تمتص من نبع البيان عروقُهُ ويجلّه إيقاعُهُ ، وَرَنينُهُ
زاه بأبكار التخيّل ثوبُهُ لا غَوْرُه تنتاشُه ، أو عونُهُ
يَسْتَنّ سحرُ الحسن في أعطافه ويتيهُ منه رقيقُه ومتينُهُ
وكأنّما سُقِيَ الرّحيقَ مُمَتْلأً فتوردّتْ وجناتُهُ وعيونُهُ

إن شعر الأثري متعدد الأغراض متنوع المقاصد ، وديوانه « ملاحم.. وأزهار » سجل حافل بمختلف المقاصد والأغراض ، فمن شعر **النضال والجهاد** إلى شعر **الفخر والتغني بالمجد التليد** ، إلى وصف **الطبيعة** ورسم **الظلال** ، ومن شعر **الغزل** ووصف مختلف النوازع إلى **الرثاء وبكاء الأحباب**.

وما أنس لا أنس يوماً من أيام عام ١٩٤١ ، وقفت فيه في بغداد مع فتية أعدوا أنفسهم للاشتراك في حرب التحرير العراقية ، نستمع إلى الشاعر الأثري يخاطب العراق ، بصوت حمله الأثير إلى سمع الملايين في مختلف أرجاء الوطن العربي ، قائلاً من قصيدة طويلة [١] :

عمزوا إباءَكَ ، فاضطرمت أباءَ وحشدت جوّك ، والثرى والماءا [٢]
راموك الذّلّ المقيم ، وقد مضى دهرٌ تسامُ به الشعوبُ سِباءا

ثم عرّض الشاعر بالإنكليز ، الذين غلبوا على أعصابهم بسبب من هزائم جيوشهم أمام الجيوش الألمانية ، فقال :

يا ويحهم ! غُلبوا على أعصابهم فتحرّشوا بك سكرةً وغباءا

ثم أشار إلى الجيش العراقي ، وإلى الجماهير التي تدفقت لتحيته ، قائلاً :

---

(١) القصيدة في ٤٦ بيتاً ومنشورة بدءاً من الصفحة ٨٤ من الديوان .
(٢) الأباء : بفتح أوله : القصب وهو سريع الاحتراق .

أنظرْ إلى الأبطال كيف تواثبت وإلى الثنايا كيف لُحْنَ وِضاءا
وإلى الحميَّة كيف أجَّ لهيبُها وسرت كألسنة اللظى حمراءا
وإلى الجموع الهاتفات . كأنها تستقبل الأعراسَ والنعماءا

وختم الشاعر قصيدته قائلاً :

يا ساعةَ التحرير ! عُرسُكِ قد أتى إنّ البشائرَ لُحْنَ والبشراءا
سقياً ليومكِ في الزمان ، فإنه عن ليلة القدر الرجيبَّة ضاءا

وخرجت بغداد يومئذٍ عن بكرة أبيها تلبي نداء الجهاد ، حتى إذا ما جرت الرياح بغير ما تشتهي السفن ، كان الشاعر الأثري في جملة من اعتقل ، وحمل إلى المنفى جزاء ما جرى على لسانه من دعوة إلى استخلاص حق مهدور وثورة على باطل قائم .

ولم يستكن الشاعر الحرّ ولم يهن ، بل رحب بالنفي وأخذ يهتف من أعماق سجنه في « الفاو(١) » للحرية التي ينشدها قومه بروائع من الشعر الخالد . وفي قصيدة منها يقول(٢) :

مُبلغي نفيي إلى « الفاوِ » الشطيرِ مرحباً بالنَّفْيِ والسِّجنِ الضرير (٣)
مطمحُ الثائرِ آفاقُ السَّما وكذا مطمحُ رُوّادِ النسورِ
أتراه ، إنْ هوَى ، يُضرِعُهُ نبأ السجن وإيغالِ المسيرِ ؟

ثم يشير الشاعر إلى ما صنعه فكان جزاؤه النفي ، معتزاً بما قدّم شامخاً بأنفه لصدقه وإبائه قائلاً :

---

(١) الفاو : بلدة في أقصى الجنوب من العراق .
(٢) القصيدة تبلغ ٣٥ بيتاً وهي منشورة بدءاً من الصفحة ٩٣ من الديوان .
(٣) وصف للسجن الذي سدت نوافذه .

كان شعري في مآسي أمتي … عن أمانيَّ رسولي وسفيري
بين أيديها تغنَّى ، ومشى … بالْمسَمَ الجرْحى ومسلاةَ الصّدور
صادحٌ .. تُذكي أغانيه المُنى ، … أو تثيرُ الشوقَ في القلب الكسير
صدقَ الأمّة ، إذ غنَّى لها … رائدُ الأمةِ ذو صدقٍ وخبير
لم يزِغ عنها ، ولم يكذب ، ولا … سار في موكب مُثرٍ أو أمير

ثم يصيح الشاعر بسجانيه متوعداً :

لا أرى ثورتنا أبعدَ من … قاب قوسيْنِ ، وتأتي بالثُّبور !

وفي قصيدة أخرى هتف بها للعزة الوطنية من أعماق السجن فقال (١):

ألا في سبيل الله والوطن الغالي … بعاديَ عن داري وعرسي وأطفالي
عصافيرُ .. لا ساعٍ يروح عليهمُ … سوايَ ، ولا راعٍ يحوط ، ولا والِ

ثم يستدرك الشاعر قائلاً :

ولكنّ أوطاناً ، نعمتُ بخيرها ، … سأوثرُها حتى على النفس والآل
إذا ورّث الآباءُ أبناءَهم غنىً … فإنّي قد أغنيتُ بالمجد أنسالي

* * *

وإذا كان شعر الأثري يمتاز بجزالة اللفظ ومتانة الصياغة ، فإن من أهم ميزاته توافر « الغنائية » فيه ، فهو مطبوع بها وبجمال الصور ، وببراعة انتقاء الألفاظ مع عذوبة جرسها ، وكيف لا تكون « الغنائية » طابعاً لشعر الأثري ، وهو القائل في أحلك ليالي محنته من قصيدة عنوانها « سأغنيّ .. وأغنيّ »(٢) :

---

(١) تبلغ أبيات هذه القصيدة الثانين ، وهي منشورة بدءاً من الصفحة ٩٧ من الديوان .

(٢) القصيدة في ٢١ بيتاً ، وهي منشورة بدءاً من الصفحة ١١٤ من الديوان .

دولةٌ ضـاقتْ بفرد ، واتّقتـهُ بجنّ ؟
أحرامٌ أن يطير الـطّيرُ من غصنٍ لغصن ؟
عجباً .. والرّوض روضي زاهياً ، والوكن وكني
أنا للحرية ِ ـ الدّهـرَ ـ أغنّي ما أغنّي
مـا لهم قد نقموا منّي تغريدي ولحني ؟
وابتغوا ذليّ وإسكاتي بنفـيي وبسَجْني
سأغنّي .. كلما ينْـكأ جرحي ، وأغنّي
ليس بالحُرّ الذي يجـزَع ، أو يبكي لغبن

* * *

دمشق في الديوان

الشاعر في ديوانه واضح الاتجاه في الدعوة إلى التمسك بمبادىء الإسلام، شديد الاعتزاز بقومه والفخر بعروبته ، تراه في الكثير من شعره يتغنّى بحبة الأوطان ويشيد بوحدة الأقطـار العربية ، وهو يستحثّ قومه على النضال في سبيل إنقاذ بيت المقدس واسترداد فلسطين .

ويبرز ، في زحمة الأغراض التي نظم فيها الشاعر وجه دمشق مشرقاً متلألئاً ، إذ ينزلها من نفسه منزلة خاصة ، يتغنّى بمفاتنها ويشيد بأبنائها وقد أصفوه الود ، ومنحوه من حبهم وإجلالهم .

أتيحت للشاعر فرصة زيارة دمشق للمرة الأولى ، وهو في عنفوان شبابه لم يجاوز العشرين إلا قليلاً ، كان ذلك في صيف سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٥ م) ، وكان اسم الأثري قد سبقه إليها بفضل علمه وأدبه وماقدمه به أستاذه علامة العراق الكبير محمود شكري الألوسي أحد أعضاء المجمع

العلمي العربي القدامى ، فلقي الشاعر الشاب من رئيس المجمع ومن أعضائه والشباب من أدباء دمشق الحب والتقدير .

كانت دمشق يومئذ حفية بأمير الشعراء أحمد شوقي ، فهيئ الأثري أن يكون في عداد المدعوين إلى حفلات التكريم ، فإذا به يلفت بأدبه وحسن روايته قلب أمير الشعراء ، فقرّبه منه وجعله موضع رعايته ، مما ترك أعظم الأثر في نفسه ، حتّى إذا كانت سنة ١٩٣٢ نعي أحمد شوقي ، فجاشت الذكريات في نفس الأثري **وذكر دمشق لأول مرة في شعره المنشور** ، فقال من قصيدة يرثي بها أمير الشعراء(١) :

وكلٌّ قريض غير ما أنتَ قائلٌ　　أحِسُّ كأني منه في السَّبَرات
وما نقموا إلاّ غِناءَك بالهدى　　حثيثاً ، وإلاّ هدمَك الشُّبُهات
وبعثك أمجادَ العروبة في ثرى　　(دمشقَ) وفي (الحمراء) مؤتلقات
رَزَانَت حَصَاةً ، فاعتدلت مقالةً ،　　وأنصفت مجداً جلَّ عن غمزات

ثم ذكر اجتماعه به على ضفاف بردى وما خلفه في نفسه من أثر طيب فقال :

إلا لستُ أنسى منك مجلسَ حكمة　　على (بردَى) قد مرَّ مذ سنوات
أخذتَ هوى نفسي ببشرك طافحاً　　وآنستني باللّطف والبسمات
ومنَّيتُ نفسي بعدَه باللقاءة　　تروِّي جَناني أو تبُلُّ لهاتي
ولكن أبتْ أيامنا غير ما ترى :　　فراقَ حبيبٍ ، وانطفاءَ حياةٍ !

وفي آذار سنة ١٩٣٦ زار وفد من النواب العراقيين مصر ، فأقام السوريون المقيمون في القاهرة حفل تكريم احتفاءً بهم ، أنشد الأثري

(١) القصيدة طويلة في ٧٨ بيتاً ومنشورة بدءاً من الصفحة ٢٤٩ من الديوان .

فيه قصيدة أشاد فيها بالوحدة التي كانت الأمل الذي يدغدغ النخبة من مفكري العرب في مختلف أصقاعهم ، قال فيها (١) :

شهد الله . لم تكن « مصرُ » إلا ... بنت « عدنان » دارةً وقبيلا
اسأل الضادَ . . من رعاها حقوقا؟ ... واسأل الذكر . . من سقاه أصولا
لست في نداء « بغداد » روحاً ... يعربيّاً فأوسعته قبولا
تلك « بغداد » في ذراها و « نجد » ... وبلاد « الشّآم » عرضاً وطولا
إن ما كان أمس حلما تجلّى ... واقعياً ، وصدّق التأميلا
يكذبُ المرجفون . . ماثمّ إلا ... أمّةٌ ، وُحّدت هوىً وسبيلا

ومرّ وفد النواب العراقيين ، العائد إلى بغداد ، بدمشق وكانت في محنة من المحن التي انتابتها خلال الاحتـلال الفرنسي ، فوقف الشاعر في حفل تكريم أقيم للوفد ينشد الأبيات التالية (٢) :

أفقنا على صوتٍ يروع مجلجل ... فقلنا : دمشقُ الشام في القيد تزأرُ
يحزّ بساقيها الحديدُ ، ومالَه ... إذاهي لم تغضب على القيد ، مكسِرُ

ونسب الشاعر دمشق إلى معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية في الشام وتساءل قائلاً :

معاويّةٌ . . لم تعرف الذلّ ساعةً ... فكيف على الذّلّ المطاولِ تصبر؟
أسيّدةٌ يستامها العلج مركبا ... من الذّلّ؟ هذا الحادث المتنكّر!

---

(١) القصيدة في ٤٣ بيتاً منشورة بدءاً من الصفحة ١٨٦ من الديوان تحت عنوان « أمة وحدت هوى وسبيلا » .

(٢) القصيدة في الصفحة ١٩٠ من الديوان .

ثم أشار الشاعر إلى جنات دمشق ينعم بها المستعمر المحتل وأهلها بين منفي ومشرد فقال :

بنفسيَ من جنّات عَدْنٍ خمائلاً ... على «بردى» من نعمة الحُسن تُزهر
أيطرُقُها من مارد الإنس عابثٌ ... ويغمُرها من مائر النّقع أكدر ؟
وداغِلُها في كلّ روضٍ مُنَعَّمٌ ... وآهِلُها في كل منفىً مُعَفَّر

وختم الشاعر قصيدته بحثّ العرب في مختلف أقطارهم على الاتحاد والتمسك بمبادىء الإسلام قائلاً :

لعمرُ العلى لن يبلغَ «العربُ» العلى ... وهم فِرَقٌ شتّى وشملٌ مدمّر
ألا فاسلكوها وحدةً عربيّةً ... لها من هُدى الإسلام روحٌ ومظهر

* * *

وليس من عجب في أن نرى الشاعر ، الذي أحب دمشق وأهلها وافتتن بطبيعتها وجمالها وغرد مع بلابلها وغنى مع خرير مياهها ، يسجل لهذه المدينة صنيعها ، يوم زحفت لتودع ياسين الهاشمي ابن بغداد ، وقد ضنت حكومتها على ثراها أن يضم رفاته ، فحنت عليها دمشق ، وكرمت جهاده في سبيل العروبة والوحدة العربية ، وجعلت مثواه في أكرم بقعة منها إلى جانب بطل الإسلام منقذ القدس صلاح الدين الأيوبي . قال الشاعر (١) :

---

(١) من قصيدة طويلة عنوانها « ملحمة الانقلاب الشعوبي » أنشدها في احتفال كبير مشهود ، أقامه الساسة المخلصون ببغداد في سنة ١٩٣٧ ، بعد أن دال الحكم الشعوبي الذي دهم العراق في أواخر عام ١٩٣٦ ، وشاركت فيه — إلى جانب ساسة العراق وخطبائه الوطنيين — وفود رسمية وشعبية من الأقطار العربية ، بينما نفر من أعيان الخطباء وكبار الشعراء . والقصيدة في ١٢١ بيت ، وقد نشرت في الديوان بدءاً من الصفحة ٧٣ .

بات « العراقُ » على شجوٍ يكابدُه رهنَ السلاسل ، يشكو ليلَ محيارِ
وباتتِ « الشّامُ » في أوجاعِ مكتئبٍ يمشي بها الحُزن في سهلٍ وأوعارِ
شجاً « بني عبدِ شمسٍ » أن مضى قمرٌ من « هاشم » لم يخنه كسفُ أنوارِ
كأنَّ « مروانَ » خلف النعش من جزعٍ أصيب في ملكه الغالي بمُنهارِ
من حوله زمرُ الأملاك في حشَدٍ كأنّما هي في تشييع « عمّارِ »
في موكبٍ يحسِرُ الأبصارَ مائجُه تخالُه طافياً في دمعه الجاري
كلُّ البلادِ مناحاتٌ وأرديةٌ سودٌ على أبيض الأثواب معطارِ
ملهوفةً ، تتوافى للعزاء به قوافلاً بين وُرّادٍ وصُدّارِ

* * *

لئن حرُمتَ ثرى « بغدادَ » تنزلُه وما كمثل ثراها طيبَ أبشارِ
لقد نزلت ثرى أهلٍ ذوي رحمٍ ، كرفرف الخُلد .. لم يدنس بأوضارِ
زاكٍ ثوى السُّمحاء الطّاهرون به من كلّ خيِّرِ قومٍ وابنِ أخيارِ
من نازليه « صلاحُ الدّينِ » .. أيُّ فتىً صانَ الحِمَى من صليبيين خَتّارِ
جاورتَهُ ، فتباهَى أنْ غدوتَ له جاراً ، ويفرحُ مِسعارٌ بمسعارِ (١)
جاران .. فاخرتِ « الشّامُ » السّماءَ بأنْ باتا بها قمرَيْ سارينَ نُظّارِ
يُستهديانِ إلى سُبُل العلى أبداً ، فيهديان ، وما هادٍ كغرّارِ
يُريد للخيِّرينَ الأرذلونَ أذىً ، ويُكرمُ الخيِّرينَ الخالقُ الباري

* * *

تعددت زيارات الشاعر لدمشق يقضي فيها فصل الصيف ، يتمتع بهوائها العليل وبمناظرها الخلابة متنقلاً بين رياضها ومنتزهاتها محاطاً بنخبة

(١) مسعار : شجاع يسعر الحرب دفاعاً عن قومه .

من أبنائها المقدرين لفضله وأدبه ، حتى إذا كان صيف سنة ١٩٣٩ أقام الأستاذ الرئيس محمد كرد علي حفل تكريم للشاعر ، **وكان المجمع العلمي العربي قد انتخبه عضواً فيه** ، وفي هذا الاحتفال أنشد رائعته في « دمشق » (١) :

مَنْ عذيرٌ من الهوى ومُجيرُ ؟ فضحَ الشوقُ ما أجنَّ الضميرُ
أنا في قبضةِ الجمال . . فخَوْدٌ تستبيني ، وروضةٌ ، وغديرُ

وبعد هذا الاستهلال الرائع الذي غلب الشاعر فيه شوقه إلى دمشق وبواعث حبه لها ، أخذ يصف مفاتن الطبيعة فيها والجمال الآسر قائلاً :

هذه « جِلِّقٌ » .. تبارك ربّي ! بلدٌ طيّبٌ ، وربٌّ غفورُ
الهوى ، والهواء ، والجدول الرّقـ راقُ ، والروضُ ، والسنا ، والحورُ
حيثُما تغتدي ، فروضٌ أريضٌ عنبريُّ الشذا ، وماءٌ نميرُ
وظلالٌ ممدودة وهي تنـدى وشعاعٌ يرِفُّ وهوَ منيرُ
من سنَا الشمس فوقها ومن الزّهـ ـرِ . . دنانيرُ عسجدٍ ، وعبيرُ

ويبدع الشاعر في وصف جو دمشق وما تورثه في نفوس عشاقها قائلاً :

يُقْتَلُ القيظُ في ذَراها . ولكنْ في ذَراها يحيا الهوى ويسورُ
جئت آوي من الحَرُور إليها فإذا في الحشا يَشِبُّ الحَرورُ
أنا . . منها ، ومن مَهاها اللواتي يَتقتّلْنَ رقّةً ، مسحورُ
كلُّ بيضاءَ في لواحظَ سُودٍ رَفَّ في خدها الدمُ المُستَجيرُ
في قوامٍ لَدْنِ المجَسّةِ ريّا نَ ، وخصرٍ من الضنى يستجيرُ
وصِباً ناضرِ الشباب . . غذاه ترفُ العيش ، والنعيمُ الوثيرُ

(١) القصيدة منشورة في الديوان بدءاً من الصفحة ٣٢٤ .

وأديمٍ مُنَمْنَمٍ في جَبِيرٍ ... يُوهِمُ المينِ ماؤه والحَبيرُ
لمعا.. كالشَّراب شَفَّ ، فلم تَدْ ... رِ أماءٌ لألاؤُه أم نور ؟
تنفثُ السِّحرَ في الحليِّ فيشجي ... وتثيرُ الهوى به فيثورُ
ولقد زانها النفُورُ ، وحسْنُ الـ ... حُسْنِ في الغادةِ العَرُوبِ النفُورُ
كرَّم اللهُ وجهَ كلِّ نوارٍ ... صانَها الطهرُ والحياءُ الوَقورُ
لِيَ من هيكل الجمال المعاني ، ... ولغيري ألفاظُهُ والقشورُ

يمضي الشاعر بعد هذا الوصف البديع لما فعله الجمال في نفسه ، إلى تحديد منتزهات دمشق التي ملكت عليه لبّه فيقول :

وطنُ العُربِ ، جنَّةٌ ..و«دمشقُ» ... رفرفٌ أقدسُ الطافِ طهورُ
شرقتْ بالرُّوءَى مسارحُها الخُضْـ ... ـرُ ، وروّى نعيمَهُنَّ الشُرُورُ
رُبَّ نادٍ ، تخذَتْهُ في الرَّوابي ... أقرأ الحسنَ منه وهو سُطورُ
فعلى «الغُوطتينِ» والشمسُ تبدو ... وعلى «النيرَبَينِ» وهي تغُورُ
فإذا «جِلقٌ» رياضاً ودوراً ... كالمصابيح حفَّها الدَّيجور
عالمٌ.. من زَبَرجَدٍ ، طاف بالـ ... دُرِّ ، وذكاه بالرُّواء النُّورُ
ساحِرُ المُجتَلى . . أطلّ عليه ... «قاسيون» كأنَّهُ مذعورُ
يغرق الحِسُّ في سناه ، ويَفنى ... في تهاويل سحرِهِ التفكيرُ

ويصف الشاعر ليالي دمشق بعدئذٍ فيقول :

أنا إن أنسَ لستُ أنسى ليالي ... إذ البدرُ ضاحكٌ والثُغُور
وكأنَّ الأكوانَ في دافق النُّو ... رِ بحُورٌ قد أغرقتها بحُورُ
يمرَحُ القلبُ في سَناها كما يَمـ ... ـرَحُ في الماء سابحاً عُصفورُ

قد تفرّدن بالصباحة ، لولا وجنات نازعتهـا ونحور

ثم يخص الشاعر ما حبا الله دمشق من طبيعة فاتنة بهذه الأبيات :

حبذا « الشام » ماؤها وهواها ومساري أنهارها والقصور
وميادين حسنها وهي شتّى ومغاني اللذات وهي كثير
جادها الغيث من معاهد .. لا الشـ ـف عداها ، ولا النعيم الحبير
محسنات الأوقات ، حتى ضحاها وشحته بلطفيهن البكور
وبنفسي خرير أنهارها السبـ ـعة دوامة عليها الطيور
تتلوّى كالأين ريع ، وتهتـ ـز ارتماشاً ، وترتمي ، وتمور
وهي آناً في السهل تعدو ، وآناً في الروابي المسلسلات تغير
تغمر « الغوطتين » بشراً وزهواً مثلما يغمر النفوس الحبور
وعلى صوتها الطيور تغنّى ربما يطرب الطيور الخرير
عشقت لحنه ، والمساء لحن يسكر السمع جرسه المخمور
حيث تغدو يلهيك منها سماع ومن الروض مؤنق منضور
عرس . قام للطبيعة فيها يستخف الإنسان وهو وقور
تهزج الطير والأناسي فيه ، ويمور السنا ، ويذكو العبير

وبعد هذا الوصف المترف لجنات دمشق وأنهارها وغناء طيورها ، **يقف الشاعر لحظة ويقول :**

قف تمتع مما تراه قليلاً ، وقليل مما تراه كثير
للأنوف الشذا أريجاً ، وللسمـ ـع الأغاني ، وللّحاظ البدور !

* * *

وحين كانت أعراس الشام سنة ١٩٤٧ ، بعد أن مضى عام كامل على جلاء المستعمر عن ثراها الطيب ، أحب شاعرنا الكبير أن يهنيء دمشق في أعيادها ويشكر لأبنائها حفاوتهم به ، فأعدّ خريدته « دمشق .. في ذكرى الجلاء[1] » وأنشدها في « دار المجمع العلمي العربي » :

يانسمةً خطرت من أرض «جَيْرونِ» حُيِّيتِ عاطرةً ، جاءت تُحيّيني
بكورِ ، والفجر في أوضاح فاتنةٍ تبرّجت لفتىً هَيْمانَ مفتونِ
هل أنتِ للوافد المشتاق حاملةٌ من رَوْحِ أهلكِ أنفاسَ الرَّياحين ؟
اللين واللطْف والربُّ التي انبعثت رُسْلُ الأحبة تلقاني وتدعوني
« بنو أميَّةَ » .. مازالوا كما خُلِقوا بني المكارم والآداب واللين
لاقيتُ منهم كلألاء الضُّحَى غُرراً هشّت إليّ تُحيّيني وتُحْييني
من كلّ ناصيةٍ زهراء لامعة كعَسْجَدٍ ، تحتَ وَقْدِالشمس ،مفتونِ
أصبحت فيهم تَهاداني سَراتُهُمُ كأنني مُصْحفٌ في بيت ذي دينِ
أنا المُفَضَّلُ بالنُّعمى ، ومن عجبٍ أن جاء يشكرني من بات يَقْرِيني
عُوِّدتُ كلَّ جزيل من فواضلهم قِدماً ، وكلَّ ودادٍ غير مظنونِ
أنا الشكور على ماقد خُصِصْت به من الأيادي ، وما شكري بمنونِ
سيذكر الدهر عني كلّ سائرة من الثناء عليهم في الدواوينِ
قد أوسموني إجلالاً وتكرمةً فجئت أوسعهم مدحي وتلحيني

ثم غفر الشاعر للدهر مالاقاه من صروفه ، تكرمة لدمشق ذاكراً مقامه في جبل قاسيون المطل عليها ، واصفاً روعة تلك المناظر قائلاً :

(١) القصيدة منشورة في الديوان بدءاً من الصفحة ١٩٢ .

غفرت للدّهر أياماً .. سلفنَ له ... لمّا أتاني في «الفيحاء» يُشكيني
لي في خمائلها الخُضر التي حسُنت ... عُليا المقاصير من سُكنى الميامين
من تحتها «بَرَدى» نشوانُ مُطّرِدٌ ... بدافق من رَحيق الخُلد مَضنُوني(١)
كأنّه ، وشعاعُ الشمس يضربــه ... فِرَنْدُ سيفٍ صقيل الوجه مسنونِ
تنضّرت حوله الدّنيا به ، وزهت ... بزخرفٍ من اباس الحسن مَوضونِ
ماأجملَ الأيْكَ في شطّيْه حانيةً ... من الحفاوة في أثوابها الغينِ
تلك المفاتنُ .. شاقت كلّ ساجعة ... فهيجتها بألحانٍ أفانينِ
أكرمْ به مُنبِتاً زهراً ، وفاكهةً ... شتّى ، ومُسْدِيَ خيراتٍ وماعونِ

ثم تساءل الشاعر عن مفاتن دار النعيم التي تخلو منها دمشق قائلاً :

أيّ المفاتن في دار النعيم .. خلت ... منها «دمشق»؟ وأيّ الرّبْرَبِ العين ؟
خميلةُ الله .. ما اهتزّ الثّرى طرباً ... بمثل ما طاف فيها من ترايين
كلّ ضحوكٌ على ضاحي مَشارفها ... زُهرُ السماء وأزهارُ البساتين
كأنّها الجوّ ، إذ يندى بها عبقاً ، ... لَطيمةٌ نُشِرَت منعِطر «دارينِ(٢)»

ثم هنأ الشاعر دمشق بجلاء الغاصب عنها قائلاً :

يادارَ «مَرْوانَ» .. دامالبِشرُ مؤتلقاً ... على جبينك لمّاحَ التلاوين
كرُمت بجدكأنْ لمْ تعْقِدي علماً ... إلاّ على فَرْقِ برٍّ منك ميمون
ستذكر الدّولةُ الرّعناءُ مُعْتَركاً ... تَعَضُّ منه يَدَيْ نَدمانَ محزونِ

---

(١) مضنوني : نسبة إلى « مضنونة » ، وهي بئر زمزم في بيت الله الحرام بمكة .

(٢) اللطيمة : وعاء المسك . دارين : فرضة « ميناء » بالبحرين ، يجلب إليها المسك من الهند .

خرجتِ منه كنصلْل السيف منصلتاً ... يزهو ، وباءت بخذلانٍ وتوهينِ
ياليت عينيَ ، لما أجليتْ ، شهدت ... بِشْرَ الجِنانِ بإجلاء الشياطينِ
من كلْ أصهبَ .. كان الكبرُ شارته ... يرمي ببنيكِ بطرفٍ منه مسنونِ
فنكّسَ اللهُ بالإذلال هامتهُ ... وعاد خزيانَ يمشي مشيَ مغبونِ
لا يرفعُ اللحظَ إلا وهوَ يخفضُه ... أعجبْ بلحظ..بخدِّ الأرض مقرونِ

وأنهى الشاعر قصيدته مخاطباً دمشق داعياً إياها إلى التمسك بعروبتها وإسلامها لتصون جمالها الذي يفتديه بنفسه قائلاً :

ياحُرّةً .. لم تدِنْ يوماً لآسرها ... ويافتـــاةَ المطاعيم المطاعيـــنِ
إنّ العروبة والإسلامَ .. مافتِئا ... هنا بواديـكِ في عزٍّ وتمكيـــنِ
في جبهـة الفلك الأعلى مقامُهـما ... منـه ، وفي مربإ الشّمّ العرانينِ
هما جناحاكِ .. مدّ اللهُ ظِلَّهما ... على البريَّة من دنيا ومن ديـــنِ
صُوني جمالـك في الدُّنيا بسرّهما ... يصُنْكِ من دَركات الخسفِ والهونِ

* * *

مايبتغي «الغربُ» من فيحاءَ وارفةٍ ... تعيش في كنفٍ للدّهرِ مأمونِ ؟
شمّاءُ .. ما يبنيها غيرُ مأبيةٍ ... على الدّنايا ، وهمات السلاطيـــنِ
وقتْ «دمشقَ» الرّزايا رحمةٌ برأت ... « دمشقَ » من نفحات اللطف واللينِ
نفسي فداءُ جمالٍ .. طالما نعمت ... نفسي به في ليالي عيشيَ الجُونِ

ولما وقعت حرب حزيران سنة ١٩٦٧ ، تفجّر الألم الذي استولى على الشاعر قصيدةً طويلةً ذكر فيها دمشق مشيداً بجهـادها مشيراً إلى دخول القائد الفرنسي « غورو » مدفن صلاح الدين الأيوبي ومخاطبته الضريح قائلاً :

«نحن حفدة الصليبين هنا ياصلاح الدين» . قال الشاعر[١] :

وأين في « الشام » « غورو » في جحافله ... يُغيرُ وهو يـــدُكُّ السِّلم تذليلا ؟
بل أين في « القدس » « ألِّنْبي » وقد رعبتْ ... رعودُه جنباتِ « القدس » توهيلا[٢] ؟
نشوان من صلفٍ ، ملآن من حنق ... يجـــرّ سيفاً على الغبراء مصقولا
ياشـاهرَ الســيف مزهواً بباطله ... وعارضَ الجيش بعد الجيش تحفيلا
خلّ الغرور .. فإن الحقّ مابرحت ... شَباهُ تُرجعُ حـدّ السيف مفلولا
قضى له الله بالعُقبى .. إذا صحب الـ ... إيمانَ والصبرَ ، وعداً منه مكفولا
يرمي به باطلاً منـه فيدمغُـــه ... يا .. طالما دمّغ الحقّ الأباطيلا
إنّ الحروبَ سجالٌ بيننا أبـداً ... كأنهـا الدَّينُ في اللأواء ممطولا
إن لم تكونوا لنا سلماً ، نكن لكم ... حرباً .. تبادركم بالموت تعجيلا
إنّا سـنلحق بالماضين حاضركم ... ممن يجيءُ حنيقَ الصدرِ مثكولا
لنصبرنّ كآباء لنا صبروا ... صبراً .. يُعيد سوادَ الليل تحجيلا
نحن الجواهر .. ماهانت معادننا ... على الزمان كماةً أو معازيـــلا

* * *

هذا هو الشاعر البغدادي الكبير الذي محض دمشق الخالدة الحبّ كله ، وهذه هي دمشق بجمالها ومفاتنها تزينها غلالة من حب الشاعر وإعجابه .

---

(١) من قصيدة طويلة جاوزت ١٥٠ بيتاً عنوانها : « حرب حزيران ١٩٦٧ » وهي منشورة في الديوان بدءاً من الصفحة ١٦٣ .

(٢) أللنبي قائد الجيش الانكليزي الذي فتح القدس في الحرب العالمية الأولى ، وقال في معرض الفخر : « اليوم انتهت الحروب الصليبية » .

إن شعر الأثري نموذج حديث للشعر العربي الأصيل في ألفاظه المنتقاة ولغته المشرقة وأسلوبه القويم وجرسه المطرب. وشعره في دمشق خير دليل على ما حبا الله الشاعر **من رهافة الحس ورقة الشعور وتذوق للجمال ،** ودليل ناصع على مايملكه الشاعر من أدوات استطاع معها الابداع في وصف الجمال وتصوير مايفعله في نفوس المحبين.

حفظ الله شاعرنا الكبير **ذخراً للضاد أم اللغي .**

وحفظ الله دمشق **مصدراً للحب والإلهام .**

عدنان الخطيب

كتاب الدلائل في غريب الحديث
لأبي محمد قاسم بن ثابت العوفي السرقسطي

الدكتور شاكر الفحام

٣

١ – وكان أبو محمد القاسم بن ثابت بن حزم بن عبد الرحمن بن مطرّف ابن سليمان بن يحيى العوفي السرقسطي(١) ثالث الأندلسيين الذين تصدوا لشرح غريب الحديث ، والتأليف فيه .

– ولد أبو محمد القاسم سنة ٢٥٥ هـ ، في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ) خامس أمراء البيت الأموي بالأندلس . وكان مولده بمدينة سرقسطة (٢) : المدينة التي شهدت من قبل مولد أبيه

---

(١) ابن الفرضي ١ : ١١٩ ، ٤٠٢ ، جذوة المقتبس : ١٧٤ ، بغية الملتمس : ٢٣٧ – ٢٣٨ ، ٤٣٤ ، الصلة ١ : ١٢٤ ، التكملة ١ : ٢٣٦ ، معجم البلدان (سرقسطة) ، بغية الوعاة : ٢٠٩ ، ٣٧٦ ، طبقات ابن قاضي شهبة (مخطوط) : ٢٣٦ ، الديباج المذهب : ١٠٢ . وجاء في طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٨٤ ، « ثابت بن عبد العزيز » وأظنه سبق قلم ، تابعه عليه القفطي في إنباه الرواة ١ : ٢٦٢ ، والفيروزابادي في البلغة : ٤٦ ، ١٨٥ ، واضطرب الأمر على ابن قاضي شهبة : ٢٣٦ – ٢٣٧ ، ٤٧٥ فظنهما اثنين وترجم لهما . وجاء في فهرست ابن خير : ١٩٣ ، وفي مخطوطتي الدلائل في المكتبة الظاهرية بدمشق وفي مكتبة متحف الأوقاف باستانبول : « عبد الرحمن بن غانم بن يحيى بن سليمان » .

(٢) ابن الفرضي ١ : ٤٠٣ ، مخطوطتا الظاهرية والأوقاف ، فهرست ابن خير : ١٩٣ ، وذكر في بغية الملتمس : ٤٣٥ ، أنه ولد في سنة ٢٤٧ هـ

ثابت . وكان ثابت أبو القاسم من العلماء الأجلاء ، ولد سنة ٢١٧ هـ أو نحوها ، وأقبل على الدرس والتحصيل ، وسعى لهما في سرقسطة وغيرها من مدن الأندلس ، حتى عرف بالعلم وعدّ من أهله ، وبان فضله ، وكان حين ولد له ابنه القاسم في نحو الثامنة والثلاثين من عمره[1] .

— وينتمي أبو محمد القاسم إلى بني عوف من قبيلة غطفان ، إحدى قبائل قيس عيلان المشهورة ، ذكر ذلك ابنه ثابت بن القاسم (٢٨٩ - ٣٥٢ هـ) حين سأله الحكم المستنصر عن نسبه ، ولكن الحكم المستنصر لم يكتف بما سمع ، لما عرف به من حب التثبت والتوثق ، فسأل أبا يحيى زكريا بن خطاب الكلبي التطيلي[2] عن صحة النسب ، وكان زكريا ثقة مأموناً ، استقدمه الحكم ، وهو ولي عهد ، إلى قرطبة ، وسمع منه أكثر روايته ، فذهب زكريا بن خطاب إلى أن القاسم بن ثابت من البربر ، وأنه مولى لبني زهرة بن كلاب من قريش ، مولى علاقة[3] ، وأن انتماء البربر إلى ولاء زهرة بن كلاب في سرقسطة وجهاتها كثيرٌ جداً ، لا ترى أحداً من البربر يذكر غير ولاء زهرة إلا الشاذ منهم ، يزعمون أنهم أسلموا على يدي

(١) ابن الفرضي ١ : ١١٩ ، فهرست ابن خير : ١٩٣ ، مخطوطتا الظاهرية والأوقاف ، معجم البلدان (سرقسطة) ، بغية الوعاة : ٢١٠

(٢) تطيلة : بالضم ثم الكسر ، وياء ساكنة ولام ، مدينة بالأندلس من أعمال الثغر الأعلى ، بينها وبين سرقسطة سبعةعشر فرسخاً ، خرج منها العرب سنة ٥٢٤ هـ ، (معجم البلدان — تطيلة ، تقويم البلدان : ١٨٠ — ١٨١ ، الروض المعطار : ٦٤ ، نفح الطيب ١ : ١٦٦ و ٤ : ٤٥٥) .

(٣) قال ثابت بن قاسم بن ثابت : سمعت جدي يقول : الولاء ولاءان : ولاء عتاقة ، وولاء علاقة (فهرست ابن خير : ١٩٣ ، مخطوطة الظاهرية) .

رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف الزهري أقام بتلك الجهات وقت افتتاح الأندلس . ثم يفسر زكريا بن خطاب نسبة العوفي التي عرفت بها أسرة قاسم ، بأن أبا القاسم وقع بينه وبين الذين كان يتولاهم كلام ، فحلف ألاّ ينتمي إليهم ، ثم ندم وتذمّم من ذلك فكتب : العوفي ، ولما قيل له : ما هذا يا أبا القاسم ؟ أجاب : أليس عبد الرحمن : ابنَ عوف ، وأنه من والى ولد عبد الرحمن فهو مولى عبد الرحمن(١) .

٢ – تقع مدينة سرقسطة(٢) مسقط رأس القاسم وأبيه في شرق الأندلس ، وكانت تعرف بالمدينة البيضاء ، لأن أسوارها القديمة من حجر الرخام الأبيض ، وتصفها كتب البلدان بأنها مدينة كبيرة ، من أطيب بلدان الأندلس بقعة ، وأكثرها ثمرة ، حسنة الديار والمساكن ، واسعة الشوارع ، متصلة الجنات والبساتين « ناهيك من مدينة بيضاء ، أحدقت بها من بساتينها زمردة خضراء ، والتفت عليها أنهارها الأربعة » . وكان الأندلسيون يطلقون على سرقسطة وجهاتها اسم الثغر الأعلى (الثغر الأقصى) ، وقد توسطت سرقسطة مدن الثغر ، وكانت أعظمها مدينة ، والمقصودة من جميع جهاتها ، فاستحقت بذلك أن تعدّ أمّ ذلك الثغر وقاعدته(٣) .

(١) ابن الفرضي ١ : ١٧٦ – ١٧٧ ، فهرست ابن خير : ١٩٣ ، مخطوطتا الظاهرية والأوقاف ، معجم البلدان (سرقسطة) ، نفح الطيب ١ : ٣٩٥ و ٢ : ٦٣٢ ، طبقات ابن قاضي شهبة : ٢٣٦

(٢) سرقسطة : بفتح السين المهملة والراء ، وضم القاف وسكون السين الثانية وبعدها طاء مهملة (معجم البلدان – سرقسطة ، تقويم البلدان : ١٨٠).

(٣) العذري : ٢١ – ٢٥ ، ٣٠ ، ١٨٥ ، البيان المغرب ٢ : ١٠٥ ، المغرب ٢ : ٤٣٤ ، الروض المعطار : ٩٦ – ٩٨ ، نفح الطيب ١ : ١٥٠ ، ١٦١ ، ١٦٦ ، ٢٧٣ و ٤ : ٤٦٠ ، المقتبس (ط . باريس) : ٢٠ ، معجم البلدان (سرقسطة) ، تقويم البلدان : ١٨٠ – ١٨١

- خبّت سرقسطة وجهاتها في الفتنة أيام بني مروان ، وكثر المتزون بها ، وكان من أقوى ثوار سرقسطة في القرن الثالث الهجري موسى بن موسى ابن فرتون من بني قسيّ ، المتوفى سنـة ٢٤٨ هـ ، وثار من بعده ولده لب بن موسى القسويّ الذي تغلّب على الثغر سنة ٢٥٧ هـ ، وملك سرقسطة وتطيلة وغيرهمـا ، وأسر عمال الإمام محمد بن عبد الرحمن ، وقتل عرب سرقسطة من قبائل شتى ، أخرجهم إلى بقيرة ، فقتلهم بها ببرج يعرف ببرج العرب ، وذلك في سنة ٢٦٠ هـ ، وخالفه في الفتنة أخوه إسماعيل بن موسى الذي جدّد بنيان مدينة لاردة سنة ٢٧٠ هـ ، وكانت جيوش بني مروان تغاديه القتال وتراوحه ، وكان بنو تجيب آخر من تداول حكم سرقسطة حتى قام أمير المؤمنين الناصر لدين الله (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) فأطفأ نيران الفتنة ، واستنزل أهل العصيان ، واستقامت له الأندلس في سائر جهاتها ، فأقرّ بني تجيب في ولاية سرقسطة بعد أن نزعوا إلى الطاعة ، واستجابوا للجماعة(١) .

٣ — لم تقتصر الفتنة على سرقسطة وماحولها ، بل عمّت أرجاء الأندلس كلها في النصف الثاني من القرن الثالث الهجـري ، ولكنها ، على اتساعها واستشرائها ، لم تُلق ظلالها الثقيلة البغيضة على الحركة العلمية والأدبية في الأندلس ، ومضى العلماء الأندلسيون يتابعون الخطا ليتموا البناء الذي أسسه لهم من سبقهم ، وكانت حلقاتهم ومجالسهم حافلة بالطلاب ، عامرة بفنون

(١) العذري : ٢٩ — ٤٢ ، البيان المغرب ٢ : ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٣٧ — ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٨٤ — ١٨٥ ، المقتبس (ط . باريس) : ١٦ — ١٧ ، ٢٠ — ٢١ ، ٨٥ — ٨٧ ، ١٠٥ — ١٠٦ ، ١١٨ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٤٠ ، الروض المعطار : ١٦٨ ، نفح الطيب ١ : ٣٥١ ، ٣٥٣

العلم وضروب المعرفة . ولقد عُني أبو القاسم ثابت بن حزم بابنه القاسم أتم عناية : أشرف على تنشئته ، وسهر على تعليمه ، وهيأ له أن يتزود من علوم عصره بخير زاد ، حتى إذا استكمل حظه من الثقافة في حاضرة الثغر ، عزم الأب وابنه على الرحلة في طلب العلم ، وقصدا إلى المشرق فعل العلماء الأندلسيين الذين كانوا يتشوفون أبداً إلى المشرق ، يردون منه المنهل العذب .

كان ذلك في سنة ٢٨٨ ﻫ ، وثابت الأب في نحو الحادية والسبعين من عمره ، وابنه أبو محمد القاسم في الثالثة والثلاثين من عمره . حقاً أنهما قد نالا من ضروب الثقافة والعلم ما نالا ، وافتنّا في المعرفة ، ولكنهما كانا يؤثران فنّي الحديث واللغة ، يخصانها بمزيد من العناية ، ويبالغان في طلبها والتحفّي بها ، وهاهما ذان يقصدان إلى المشرق ليبلغا من هذين الفنين الغاية التي ما بعدها غاية .

كان أول خروجهما إلى الحج ، فمكة مقصد كل أندلسي توجه إلى المشرق ، وقد لقيا بمكة العلماء والجلة ، وسمعا منهم ، وأخذا عنهم . نعد منهم : أبا محمد عبد الله بن علي بن الجارود (٣٠٧ ﻫ) ومحمد بن علي بن زيد الصائغ (الجوهري) (٢٩١ ﻫ) وأبا العباس مكي بن محمد بن أحمد ، وأبا عمران موسى ابن هارون الحمال (٢١٤ - ٢٩٤ ﻫ) وأبا الحسن علي بن محمد بن عبد الحميد السياري الهروي ، ومحمد بن القاسم بن عبد الرزاق الجمحي ، وأبا بكر جعفر بن محمد الفاريابي القاضي (٣٠١ ﻫ) وأحمد بن زكريا العابدي ، وإسحاق ابن أحمد الخزاعي (٣٠٨ ﻫ) وأحمد بن عمرو بن مسلم الخلاّل ، وأبا سعيد المفضل بن محمد بن إبراهيم بن المفضل بن سعيد بن عامر الشعبي المعروف بالجَنَدي (٣٠٨ ﻫ) وخلف بن عمرو العكبري (٢٩٦ ﻫ) وإبراهيم بن سعيد

ابن عثمان بن مسلم بن الوليد بن رباح الحذّاء المكي[١] .

وجاءا مصر وسمعا من جماعة من علمائها ، منهم : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٢٢٥ - ٣٠٣ هـ) وأبو بكر محمد بن جعفر الربعي البغدادي المعروف بابن الإمام (٣٠٠ هـ) ومحمد بن أحمد بن الهيثم التميمي، وأبو سعيد عبد الرحمن بن سليمان بن موسى بن مرداس الجرجاني ، وأحمد ابن عمرو بن عبد الخالق البصري البزار (٢٩٢ هـ) وأحمد بن حمزة بن محمد ابن هارون[٢] ، وإبراهيم بن حميد بن العلاء الكلابزي البصري (٣١٢ أو ٣١٦ هـ)[٣] .

وسمعا بالأندلس من محمد بن عبد السلام الخشني (٢٨٦ هـ) وعبيد الله ابن يحيى (٢٩٨ هـ) ومحمد بن وضاح (٢٨٧ هـ) ومطرف بن قيس ، وعبد الله بن مسرة (٢٨٦ هـ) ومحمد بن عبد الله بن الغاز (٢٩٦ هـ) وأبي

(١) ابن الفرضي ١ : ١١٩ ، ٤٠٣ ، معجم البلدان (سرقسطة) ، نفح الطيب ٢ : ٤٩ ، الديباج المذهب : ١٠٢ ، مخطوطتنا الظاهرية والأوقاف ، فهرست ابن خير : ١٩١ - ١٩٣ ، بغية الملتمس : ٤٣٤

(٢) عد ابن الفرضي (١ : ١١٩) أحمد بن حمزة من شيوخ قاسم وأبيه بمكة ، وتبعه ياقوت (معجم البلدان — سرقسطة) وابن فرحون (الديباج المذهب : ١٠٢) .

(٣) مخطوطتنا الظاهرية والأوقاف ، ابن الفرضي ١ : ١١٩ ، ٤٠٣ ، معجم البلدان (سرقسطة) ، نفح الطيب ٢ : ٤٩ ، الديباج المذهب : ١٠٢ ، بغية الملتمس : ٤٣٤

عثمان سعيد بن خمير (٣٠١ هـ) وأبي بكر يحيى بن أصبغ بن خليل (٣٠٥ هـ)[١] .

وانفرد ثابت بن حزم بالرواية عن أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد (٢٧٦ هـ) ويحيى بن إبراهيم بن مزين (٢٥٩ هـ) ومحمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي (٢٥٥ هـ)[٢] .

وسمعا بالثغر من محمد بن سليمان بن تليد (٢٩٥ هـ) وإبراهيم بن نصر الجهني السرقسطي (٢٨٧ هـ) ومحمد بن أبي النعمان[٣] . وانفرد ثابت بالرواية عن أحمد ويحيى ابني محمد بن عجلان ، وكان أحمد ممن روى عن مالك[٤] .

ويبدو من عبارة ابن الفرضي وياقوت أن قاسماً وأباه قد سمعا من الأندلسيين قبل بدء رحلتها في المشرق . وإن وفيات بعض شيوخها الأندلسيين لتؤكد هذه الرواية[٥] .

– قضى الأب وابنه في الرحلة ست سنوات ، لقيا فيها من لقيا من الشيوخ وكبار العلماء ، ورويا من ضروب المعرفة والعلم ما أشبع شغفهما وتطلعهما ،

(١) مخطوطتا الظاهرية والأوقاف ، ابن الفرضي ١ : ١١٩ ، ٢٥٦ و ٢ : ١٨٤ ، معجم البلدان (سرقسطة) ، الديباج المذهب : ١٠٢ ، ووهم ابن الفرضي (١ : ٢٥١) حين جعل قاسماً وأباه يرويان ويسمعان من عبد الله ابن الغازي بن قيس (٢٣٠ هـ) .

(٢) مخطوطة الظاهرية .

(٣) مخطوطة الظاهرية ، ابن الفرضي ١ : ٢٠ ، ١١٩ ، معجم البلدان (سرقسطة) .

(٤) مخطوطة الظاهرية ، ابن الفرضي ١ : ٣٤ و ٢ : ١٨٠ ، الديباج المذهب : ٣٧ ، ٣٥٥

(٥) ابن الفرضي ١ : ١١٩ ، معجم البلدان (سرقسطة) .

ولكنها عُنيا ، في هذه الرحلة ، أكثر ما عُنيا بجمع الحديث واللغة ، ولقاء رجالها ، وانصرفا إلى الثغر سنة ٢٩٤ هـ ، وقد أدخلا إلى الأندلس علماً كثيراً ، ويقال : إنهما أول من أدخل كتاب العين للخليل بن أحمد ، وكانا قد انتسخاه بمكة(١) .

٤ — انصرف قاسم إلى العلم الانصراف كلّه ، لا يشغله عنه شيء ، وفتحت له رحلته وأسْمِعَتُه(٢) آفاقاً من العلم رحيبة ، وكان ، إلى علمه وأدبه ، ورعاً تقياً ناسكاً ، عزف عن مباهج الدنيا ، وأشاح بوجهه عن مناصبها ، ولم يرض لعلمه أن يكون وسيلة يتقرب بها إلى السلطان : أُريدَ على أن يلي قضاء سرقسطة فامتنع ، وتأبّى ، ولما ألح عليه وكاد يُكره على قبوله وافاه الموت منقذاً . وقد أتاحت له فطرته تلك أن يتفرغ للهدف الذي قصد إليه ونصب نفسه له : كان عالماً بالحديث والفقه ، متقدماً في معرفة الغريب والنحو والشعر ، واسع الرواية ، اطلع على صنيع أبي عبيد القاسم ابن سلاّم ، وأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في غريب الحديث ، فرأى أن ينهض بعبء إكمال مابدآه ، واستيفاء مافاتهما وغاب عنهما ، فألف كتاب الدلائل في شرح الحديث ، مما ليس في كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام وأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة(٣) . وبلغ فيه الغاية في الإتقان

(١) مخطوطتنا الظاهرية والأوقاف ، ابن الفرضي ١ : ٤٠٣ ، فهرست ابن خير : ١٩١ ، ١٩٣ ، طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٨٤ ، معجم البلدان (سرقسطة) ، إنباه الرواة ١ : ٢٦٢ ، المزهر ١ : ٨٣

(٢) درج علماء الأندلس على جمع « سماع » على « أسمعة » .

(٣) وهم صاحب بغية الملتمس : ٢٣٨ ، إذ وصف عمل قاسم في الدلائل بأنه ذكر فيه ما لم يذكر أبو عبيد ولا الخطابي ، والدلائل قد ألف قبل تأليف الخطابي كتابه في غريب الحديث .

والتجويد ، حتى حسد عليه ، وذكر الطاعنون أنه من تأليف غيره من أهل المشرق . وإذ كانت رحلته ورحلة أبيه واحدة وسماعهما واحداً ، فقد ذكر آخرون أنهما اشتركا في تأليفه ، واتفقا على جمعه . وفي الحق أن ثابتاً الأب « كان عالماً متفنناً ، بصيراً بالحديث والفقه ، والنحو والغريب والشعر » ، وأن الأب وابنه كانا من أهل الفضل والورع والعبادة ، ولكن الموازنة بينهما انتهت بأصحاب التراجم إلى أن يروا أن « القاسم بن ثابت كان أعلم من أبيه وأنبل وأورع » وأن قاسماً هو الذي تصدى لتأليف كتاب الدلائل ، وفاجأ الموت القاسم بسرقسطة في شوال سنة ٣٠٢ هـ ، وهو في السابعة والأربعين من عمره ، وهناك رواية تفردت بها مخطوطة الأوقاف تذكر أنه توفي في سنة ٣٠٦ هـ ، ولم يكن القاسم قد أكمل كتابه الدلائل حين وافاه الأجل ، فأكمله من بعده أبوه ثابت ، وقد طال به العمر حتى أقرأ الدلائل وحُمل عنه ، فقد عاش حتى الخامسة والتسعين أو نحوها ، وتوفي بسرقسطة في رمضان سنة ٣١٣ هـ ، وفي رواية : أنه توفي في سنة ٣١٤ هـ[١] .

٥ — عرف كتاب الدلائل في الأندلس وانتشر برواية ثابت بن قاسم بن ثابت .

(١) مخطوطتا الظاهرية والأوقاف ، ابن الفرضي ١ : ٤٠٣ ، فهرست ابن خير : ١٩١ — ١٩٣ ، جذوة المقتبس : ١٧٤ ، بغية الملتمس : ٢٣٨ ، ٤٣٤ — ٤٣٥ ، طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٨٤ — ٢٨٥ ، معجم البلدان (سرقسطة) ، إنباه الرواة ١ : ٢٦٢ ، الديباج المذهب : ١٠٢ . والعجب أن ابن فرحون قد ترجم لحفيده ثابت بن عبد الله المتوفى سنة ٥١٤ هـ وجعل من تصانيفه كتاب الدلائل (الديباج المذهب : ١٠٢ ، الصلة ١ : ١٢٤ — ١٢٥) .

ولد ثابت بسرقسطة ، بلد أبيه وجده ، سنة ٢٨٩ هـ ، ولم يشهد أبوه ولا جده ولادته ، إذ كانا قد بدآ رحلتهما إلى المشرق في سنة ٢٨٨ هـ ، وحين عادا من الرحلة إلى سرقسطة كان ثابت في نحو الخامسة من عمره ، فأشرفا على تعليمه ، وسمع منهما وأفاد . وفقد ثابت أباه قاسماً في سنة ٣٠٢هـ ، وهو في الثالثة عشرة من عمره ، فأوى إلى ظلال جده لينعم برعايته وليغترف من معين علمه ، ونعم بجواره أحد عشر عاماً ، أخذ عنه فيما أخذ كتاب الدلائل الذي ألفه أبوه قاسم : قرأه عليه قراءة تدبر وتمحيص ، وصار من بعدُ يرويه عن أبيه إجازةً وعن جده قراءةً عليه . وكان ثابت في الرابعة والعشرين حين فارق جده الدنيا ، ليتفرد برواية كتاب الدلائل .

وكان ثابت بن قاسم مليح الخط ، جيد الكتاب ، إلا أنه كان مولعاً بالشراب ، فضعّف . كان شديد الاعتزاز بكتاب الدلائل ، فأكب عليه يُقرئه ويرويه ويكتب نسخاً منه ، ويذكر الحميدي أن له في كتاب أبيه زيادات. توفي ثابت في سنة ٣٥٢ هـ لسنتين خلتا من حكم أمير المؤمنين المستنصر ، ودفن بسرقسطة وقد بلغ من السن ثلاثاً وستين سنة (١) .

(١) ابن الفرضي ١ : ١٢٠ : مخطوطتا الظاهرية والأوقاف ، طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٨٥ ، جذوة المقتبس : ٣١٢ ، بغية الملتمس : ٤٣٤ فهرست ابن خير : ١٩٢ ، ١٩٣ ، معجم البلدان (سرقسطة) . وفي فهرست ابن خير ١٩١ ، ١٩٢ ، أن قاسماً مات وترك ابنه ثابتاً صغيراً فلم يسمع منه الدلائل ، وإنما أجازه به . وعاش أبوه ثابت بن حزم حتى سمع منه حفيده ثابت ابن قاسم كتاب الدلائل قراءة منه عليه . بينما يذكر ابن الفرضي (١ : ١٢٠) أن ثابتاً سمع من أبيه [القاسم] ومن جده [ثابت بن حزم] ، ويمكن الجمع بين روايتي ابن الفرضي وابن خير بأن السماع في رواية ابن الفرضي لا يقصد به سماع كتاب الدلائل .

٦ – احتل كتاب الدلائل منزلة عالية بين كتب الغريب في الأندلس، فقد احتفل له مؤلفه القاسم بن ثابت أيّما احتفال، يعينه على ذلك تمكنه من ناصية اللغة معاني وشواهد، ووقوفه على أسرارها. واطلاعه الواسع على الحديث وفقه مشكلاته. ومن هنا فقد أورد في كتابه الدلائل من اللغة مالم يورده أحد من أهل الأغربة[١]. ويذكر الحميدي أنه رأى من ينسب الكتاب إلى ثابت بن القاسم، ثم يعلل ذلك بقوله: «ولعله من أجل روايته إياه، وزياداته فيه نسب إليه، وإلا فالكتاب من تأليف قاسم بن ثابت أبيه». ويعيد الضبي في كتابه رواية الحميدي ليعقب بأنه رأى من ينسب الكتاب إلى ثابت بن حزم، وأن قاسماً روى هذا الكتاب عن أبيه ثابت[٢]. ومن هنا نجد في الكتب الأندلسية أمثال هذه العبارات: «روى عن ثابت بن قاسم كتاب الدلائل من تأليف جده»[٣] بل نجد بعض المؤلفين يتسمحون فينسبون الكتاب إلى قاسم تارة والى أبيه تارة أخرى[٤]

– مهما يكن فقد صح لنا من الروايات الثابتة الراجحة أن قاسم بن ثابت هو مؤلف كتاب الدلائل، وأنه مات قبل أن يتمه، فأكمله أبوه ثابت، ثم رُوي الكتاب من طريق ثابت بن قاسم بن ثابت[٥].

وتطلب الأندلسيون الكتاب، وتدارسوه بينهم. يذكر أبو علي

(١) بغية الملتمس : ٢٣٨

(٢) جذوة المقتبس : ١٧٤، بغية الملتمس : ٢٣٨، وعبارة الضبي في في الأصل مضطربة.

(٣) الصلة ٢ : ٤٣١

(٤) التكملة ١ : ٢٣٦ و ٢ : ٨٠٠، تلخيص الحبير ٢ : ١١٨ و ٣ : ٥٧

(٥) جذوة المقتبس : ٢٩٩، فهرست ابن خير : ١٩١

القالي (٣٥٦هـ) إمام اللغة في عصره أنه أخذ كتاب الدلائل عن ثابت بن قاسم ، إعجاباً منه بالكتاب ، ولم يكن ثابت عنده أهلاً للأخذ عنه . وطلب الحكم المستنصر من ثابت بن قاسم ، وكان حسن الخط ، أن ينسخ له بخطه كتاب الدلائل ، ففعل ثابت وأجاز للحكم روايته[١] .

— ولعله يحسن بنا أن نورد في صفة الكتاب وبيان فضله كلمة الإمام اللغوي الكبير أبي علي القالي ، يقول أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (٣٧٩هـ) صاحب طبقات النحويين واللغويين : «سمعت إسماعيل بن القاسم البغدادي [أباعلي القالي] يقول : لم يؤلَّف بالأندلس كتاب أكمل من كتاب [القاسم بن] ثابت في شرح الحديث ، وقد طالعت كتباً ألفت فيما لديكم ، ورأيت كتاب الخشني في شرح الحديث وطالعته ، فما رأيته صنع شيئاً ، وكذلك كتاب عبد الملك بن حبيب » . ثم يعقب الزبيدي على كلمة أستاذه القالي فيقول : « ولو قال إسماعيل [أبو علي القالي] : إنه لم ير بالمشرق كتاباً أكمل من كتاب قاسم في معناه لما رددت مقالته ، على أن لأبي عبيد [القاسم بن سلام] في هذا الفن فضل السبق عليه »[٢] .

— وذكر أبو الفضل عباس بن عمرو الوراق أنه سمع إسماعيل بن القاسم البغدادي [أبا علي القالي] يقول : كتبت كتاب الدلائل ، وما أعلم وضعاً بالأندلس مثله ، ثم يعقب على ذلك بأن القالي تعصب للمشرق ، ولو قال : إنه ما وضع بالمشرق مثله ما أبعد[٣] .

---

(١) طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٨٥ ، نفح الطيب ١ : ٣٩٥ ، مخطوطة الاوقاف

(٢) طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٨٥ ، إنباه الرواة ١ : ٢٦٢ ، مخطوطة الاوقاف

(٣) ابن الفرضي ١ : ٣٤٣ ، ٤٠٣ ، معجم البلدان (سرقسطة) .

– وعرض للكتاب أبو محمد علي بن أحمد بن حزم فأثنى عليه وقال : ما شأه أبو عبيد [القاسم بن سلام] إلا بتقدم العصر[١] .

وأصبح الكتاب أثمن تراث في أهل بيت قاسم بن ثابت ، يتوارثه الأبناء عن الآباء ، يروونه ويقرئونه في بلدهم بسرقسطة :

خلف سعيد بن ثابت أباه ثابت بن قاسم في إقراء الكتاب وروايته ، ثم قام مقامه ابنه أبو إسحاق ثابت بن سعيد بن ثابت بن قاسم ، فحدث عن أبيه سعيد بكتاب جده المعروف بالدلائل عن سلفه ، ثم جاء أبو محمد عبد الله بن ثابت بن سعيد ، فحدث بالدلائل (من تأليف جده الأعلى قاسم بن ثابت) عن أبيه متصلاً ذلك في سلفه إلى مؤلفها . ثم كان آخرَ من حدث من أهل بيته القاضي أبو القاسم ثابت بن عبد الله ، روى عن أبيه عن سلفه . فلما سقطت سرقسطة بلده وبلد أهله من قبله ، في عام ٥١٢[٢]، وتغلب عليها العدو ، خرج عن وطنه ، وتوفي بقرطبة في سنة ٥١٤ هـ ، وكان نبيه البيت والحسب ، يفاخر أهل الأندلس بأوائل سلفه لعلمهم وفضلهم[٣] .

– واعتمد الأندلسيون الأصل الذي كتبه ثابت بن قاسم للحكم المستنصر، فكانوا يرجعون إليه : يقابلون به ، أو يقابلون بأصل مقابل عليه[٤] .

–أما أعظم الرواة الذين انتشر كتاب الدلائل عن طريقهم فاثنان،

---

(١) جذوة المقتبس : ٣١٢ ، بغية الملتمس : ٤٣٤ ، والشأو : السبق ، شأوت القوم شأواً وشأيتهم شأياً : سبقتهم .

(٢) نفح الطيب ١ : ٤٤١ و ٤ : ٤٧٢ و ٧ : ٢٨ ، معجم البلدان (سرقسطة) .

(٣) الصلة ١ : ١٢٤ – ١٢٥ ، التكملة ١ : ٢٣٦ و ٢ : ٨٠٠

(٤) مخطوط الظاهرية ، التكملة ٢ : ٨١٦

أولهما : أبو الفضل عباس بن عمرو بن هارون الصقلي الوراق الزاهد ، (٢٩٥ - ٣٧٩ هـ) وكان قد روى الدلائل قراءة عن ثابت بن قاسم بن ثابت[١] والثاني : غالب بن عمر المعروف بابن التياني ، من أهل قرطبة . وهو والد الأديب اللغوي أبي غالب تمام بن غالب[٢] ، ويذكر ابن الفرضي(١ :١٢٠) أنه أخبره بعض الشيوخ عن ثابت بن قاسم بالدلائل إجازةً .

وانتشر كتاب الدلائل في الأندلس : كان مرجعاً للمحدثين واللغويين والأدباء والفقهاء ، فتداولوه بينهم وقدروه حق قدره . ويكفي أن نقرأ ماخصه به ابن خير في فهرسته[٣] لتتراءى لنا صورة الدلائل في الأندلس ، ومارزق من عناية الأندلسيين وعظيم اهتمامهم .

وكان أبو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث المعروف بابن الصفار (٣٣٨ - ٤٢٩ هـ) : قاضي الجماعة بقرطبة ، وصاحبُ الصلاة والخطبة بجامعها ، من أشهر الرواة الذين رووا كتاب الدلائل عن أبي الفضل عباس بن عمرو الوراق ، وكان الإمام العلامة أبو محمد علي بن أحمد بن حزم (٣٨٤ - ٤٥٦هـ) من أشهر رواة الدلائل عن أبي الوليد يونس بن عبد الله . وذكر الحميدي الأندلسي (٤٨٨ هـ) في كتابه جذوة المقتبس ، وقد ألفه ببغداد بعد رحيله عن الأندلس[٤] ، سماعه لكتاب الدلائل في الأندلس من أبي محمد بن حزم ،

(١) ابن الفرضي ١ : ٣٤٣ ، ٤٠٣ ،جذوة المقتبس : ١٧٤ ، ٢٩٩ بغية الملتمس ٣١٧ - ٤١٨ . فهرست ابن خير : ١٩١ ، ١٩٢ ، جمهرة ابن حزم : ٧٩ ، ووقع فيها عباس بن محمد ، وصوابه : عباس بن عمرو .

(٢) الصلة ١ : ١٢٢ و ٢ : ٤٣١ ، فهرست ابن خير : ١٩٢

(٣) فهرست ابن خير : ١٩١ - ١٩٤

(٤) رحل الحميدي عن الأندلس إلى المشرق عام ٤٤٨ هـ (جذوة المقتبس ١٢٨ ، ٣٤٦ ، بغية الملتمس : ١١٣) .

قال : « وأخبرنا أبو محمد [ابن حزم] بكتاب الغريب [الدلائل] كله لفظاً بالإسناد المذكور إلى قاسم بن ثابت المصنف له[١].

٧ - لم يقدر لكتاب الدلائل ، وقد بلغ هذا الشأو في تأليفه ، أن يصل مبكراً إلى أسماع المشارقة ، ونهض الخطابي في المشرق في القرن الرابع الهجري فألف في الغريب كتاباً يتم به كتابي أبي عبيد وابن قتيبة ، ولو اطلع على الدلائل لعلم أنه قد سبق ، وظل الدلائل أمداً طويلاً مجهولاً في المشرق ، لم يفد منه أحد من مؤلفي الغريب واللغويين المشارقة . ولعل أول إشارة إليه نقع عليها في كتب المشارقة ما ذكره شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي (٦٦٥ هـ) فقد نقل عنه في كتابه المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز[٢] ، ثم نجد نقولاً عنه في كتاب نصب الراية لأحاديث الهداية تأليف جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الحنفي الزيلعي (٧٦٢ هـ)[٣] ، ونعثر من بعد على الإشارة تلو الإشارة في كتب المتأخرين : ذكره الحافظ محمد بن أبي بكر ابن ناصر

(١) جذوة المقتبس : ٢٩٠ - ٢٩٣ ، ٢٩٩ ، ٣٦٢ - ٣٦٣ ، الصلة ٢ : ٣٩٥ - ٣٩٦ ، ٦٤٦ - ٦٤٧ ، بغية الملتمس : ٤١٧ - ٤١٨ ، ٤٩٨ - ٤٩٩ ، فهرست ابن خير : ١٩١ ، ١٩٢ والإسناد الذي عناه الحميدي : « ابن حزم ، عن ابن مغيث ، عن العباس بن عمرو ، عن ثابت بن قاسم بن ثابت السرقطي عن أبيه » . (جذوة المقتبس : ٢٩٩)

(٢) المرشد الوجيز : ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٣

(٣) نصب الراية ١ : ٢٣٩ ، ٢٨٦ و ٢ : ١٩٧ ، ٣١٨ و ٣ : ١٦٥ ، ٢٩٧ ، ٣٤٤ ، ٣٦٦ و ٤ : ١٥٥ ، ٢٠٦ - ٢٠٧ ، ٤٠٨

الدين الدمشقي (٨٤٢ هـ) في كتابه التوضيح[١] ، والحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني : ابن حجر (٨٥٢ هـ) في كتابيه : تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير[٢] والاصابة[٣]

٨ — انفردت مخطوطة الأوقاف في الترجمة التي خصت بها قاسماً بذكر كتاب ثان ألفه قاسم وهو كتاب الرطب[٤] ، جمع فيه من أشعار المتقدمين والمحدثين نحواً من أربعة آلاف قطعة في أنواع شتى من المعاني . وتناول هذا الكتابَ محمد بن أفلح مولى أمير المؤمنين الحكم المستنصر ، فاحتمل فيه على طريقة اسحاق بن إبراهيم الموصلي (٢٣٥ هـ)[٥] في كتابه المعروف بالأغاني من تسمية شعراء تلك الأشعار وموالدهم وبلدانهم وأخبارهم وما تضمنت تلك الأشعار من المعاني والآثار .

- للبحث صلة —

(١) الإكمال لابن ماكولا ١ : ٩٣ ، فقد نقل مصححه الشيخ عبد الرحمن اليماني في هامش الصفحة عن التوضيح حديثاً حدث به القاسم بن ثابت العوفي في كتابه الدلائل .

(٢) تلخيص الحبير ٢ : ١١٨ و ٣ : ٥٧

(٣) الاصابة ٥ : ٥٥ (ترجمة عيينة بن حصن)

(٤) رجحت هذه القراءة ، وقد تحتمل الكلمة وجهاً آخر .

(٥) انظر ترجمة أبي محمد اسحاق بن إبراهيم الموصلي في كتاب الاغاني لأبي الفرج ٥ : ٢٦٨ — ٤٣٥ وتاريخ بغداد ٦ : ٣٣٨ — ٣٤٥

هل كتب التنوخي كتاباً في التاريخ

الدكتور قاسم السامرائي

لقد عرفنا التنوخي أبا علي المحسّن بن علي التنوخي القاضي (٣٨٤ هـ) من كتابه النشوار الذي وصل إلينا مبتوراً ومن كتابيه: الفرج بعد الشدّة والمستجاد من فعلات الأجواد، وعرفنا ابنه أبا القاسم علي بن المحسن التنوخي (٤٤٧ هـ) من رواياته الكثيرة المبعثرة في تاريخ بغداد والمنتظم وغيرهما، وعرفنا أن التنوخي الأب قد صنف كتاباً آخر هو كتاب عنوان الحكمة والبيان الذي لم يزل ينتظر من ينشره (١)، عرفنا ذلك كلّه من المقالات الكثيرة والكتب القليلة التي صنفت بالعربية وغير العربية عن النشوار أو الفرج وصاحبها وما فيها (٢)، بيد أن أحداً من هؤلاء أو من أصحاب كتب التراجم لم يذكر أن أحد التنوخيين قد صنف كتاباً في التاريخ. والسؤال الآن: هل صنف التنوخي الأب أو الابن كتاباً في التاريخ؟

في سنة ١٩٥٨ اشترت مؤسسة بِرل للنشر في لايدن مجموعة المستشرق الفرنسي هنري باسيه (المتوفى سنة ١٩٢٦) المخطوطة والمطبوعة، وقد غفت المجموعة الخطية في قبو المؤسسة حتى سنة ١٩٧٣ حين عرض قسم منها للبيع فاشترتها مكتبة جامعة لايدن، وأضافتها إلى ما لديها من مخطوطات عربية وغير عربية. وتحتوي هذه المجموعة على أربعة وخمسين مخطوطاً (٣) أكثرها عن تاريخ شمال إفريقية العربي الإسلامي مثل: أربع نسخ من كتاب فتوح

إفريقية للواقدي ، وهي تختلف اختلافاً بيّناً مع ما نشر من هذه الفتوح ، وكتاب السيرة وأخبار الأئمة لأبي زكريا الورجلاني (٤٧١ ﻫ) وهو تاريخ الإباضية في شمال إفريقية ، ومع أن هذا الكتاب قد ترجمه مسكوري إلى الفرنسية في سنة ١٨٧٨ م ونشر في الجزائر فإن أهمية هذا الكتاب تقع في أنه لم ينشر بالعربية بعد ، وإن ترجمة مسكوري اعتمدت على نسخة ناقصة من الكتاب استنسخت له من نسخة قديمة كانت في مزاب ، وكتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب لابن أبي زرع الفاسي (بعد ٧٢٦ ﻫ) ويبدو أن هنري باسيه كان قد أعدّ ترجمة فرنسية وتحقيقاً للنص العربي مع تعليقاته على النّص إلاّ أن تحقيق باسيه لم يصلنا كاملاً ، وما وصلنا منه محفوظ الآن مع المخطوط ، وكتاب عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لمحمد بن أبي راس بن أحمد بن عبد القادر الناصري (١٢٣٨ ﻫ) وهو شرح لقصيدته عن سقوط مدينة وهران .

وفي هذه المجموعة كتاب في تاريخ الدولة العباسية ويحمل العنوان « ذكر بني العباس وسبب ظهورهم » . ومن هذا الكتاب نسخة أخرى ناقصة (تنتهي عند خلافة المأمون العباسي) في الجزائر برقم ١٥٨٧ ، باسم « تاريخ العبابسة » .

أول المخطوط : « قال أكثم بن صيفي : حججت مرة فرأيت بني عبد المطلب كأنهم بروج فضة ، وكأن عمائمهم ألوية ، وكأن العباس من بينهم طلعة البدر . . . »

تقع مخطوطة لايدن من هذا التاريخ في ١٦٠ ورقة من القطع الكبير ٢٢ × ٣٠ سم وتحتوي كل صفحة على ٢٥ سطراً وكتبت بخط مغربي حديث واضح ، إلا أن النص كثير التحريف والتصحيف ومؤرخ في « اثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة سبع ومائتين وألف » . والتشابه واضح بين نسخة الجزائر ونسخة لايدن لتشابه التصحيفات ومواقع

البياض فيها ، إلاّ أن ناسخ نسخة الجزائر كان أكثر دقة وعلماً من رفيقه محمد ابن عمر الجزيري ناسخ نسخة لايدن . ويبدو أيضاً أن النسختين قد استنسختا من نسخة مشتركة بينها ، لم تصلنا بعد ، ولعلها لم تزل في مكان ما من شمال إفريقية .

تبدأ النسخة في سرد فضائل العباس وولده عبد الله وما قيل فيها ، أورد مصنف هذا التاريخ كل ذلك ليثبت أحقيَّة وأهليَّة بني العباس للإمامة دون ولد أبي طالب ، ويظهر التشابه واضحاً هنا بين روايات النص وبين النص الذي نشره أستاذنا الفاضل الدكتور عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي ، باسم « أخبار الدولة العباسية ، وفيه أخبار العباس وولده » فلعلّ مصنفيها اعتمدا على كتاب « فضائل العباس » حين كان الخلفاء العباسيون يعنون به عناية زائدة لصلته بهم وتأكيده على إمامتهم [تاريخ بغداد ٣٧٩/٨] .

يتحدث المصنف عن الدعوة العباسية وظهورها وما لابس هذه الدعوة من حروب طويلة ذكرها أصحاب التواريخ والتي انتهت بإعلان الخلافة العباسية ، ومن ثم اندحار مروان بن محمد الأموي ومقتله ، ثم يتناول الخلفاء العباسيين واحداً واحداً ويورد أخبارهم ولُمَعاً من الحكايات التي تتصل بكل واحد منهم حتى ينتهي بمقتل المقتدر بالله في سنة ٣٢٠ ﻫ على ماهو معروف عند المؤرخين فيقول : « . . . ورثاه في الوقت الأمير أبو العباس الراضي ولده حيث يقول :

بنفسي ثرىً ضاجعتَ في ساحة البلى لقد ضمَّ منك الليثَ والغيثَ والبدرا

وليكن هذا آخر ما بلغنا من أخبارهم والله سبحانه وتعالى أعلم . . . . »

يعوِّل المصنف على كثير من كتب التاريخ والأدب المعروفة منها والمفقودة ، فمنها ما يذكرها صراحة مثل كتاب الوزراء للجهشياري ، وكتاب السّمار والندامى لابن جمهور العمّي ، أو يورد أقوال مصنفي الكتب مثل : قال

أبو الفرج الأصفهاني ، أو قال أبو الحسين المسعودي ، أو قال المسعودي ، أو قال المدائني ، أو قال علي بن محمد المدائني . ولما كان المسعودي ينقل أقوال المدائني فقد نقل المصنف كثيراً من هذه الأقوال أو الأخبار دون نسبة . ومن مقارنة النص مع التواريخ الموجودة بأيدينا ظهر لنا أنه نقل من المصادر الآتية :

١ ـ مروج الذهب المسعودي

٢ ـ تاريخ اليعقوبي

٣ ـ تاريخ المدائني (رواياته أوردها المسعودي)

٤ ـ كتاب الوزراء للجهشياري

٦ ـ كتاب الأوراق أو كتاب الوزراء للصولي

وقد ظهر أنه نقل من مروج الذهب في أكثر من ١١٢ موضعاً ، وذكر اسم الصولي صراحة في ١٨ موضعاً ويبدو أنه نقل من كتاب الصولي حرفياً من أول خلافة المعتمد حتى نهاية خلافة المقتدر . وذكر اسم ابن واضح [اليعقوبي] ثلاث مرات ، وذكر كتاب السمار والندامى لابن جمهور مرة واحدة ، وذكر كتاب الجهشياري مرة واحدة ونقل منه في أكثر من ١٨ موضعاً (ولما كان كتاب الجهشياري ناقصاً فإن بعض النصوص في المخطوط تكمل كتاب الجهشياري مثل خبر خدابوذ المجوسي الذي كان الفضل ابن سهل ينزل عليه إذا دخل مدينة السلام أثناء خموله ، فهو أكمل هنا وناقص في كتاب الجهشياري (٣١٨ ـ ٣٢٠) وورد هذا الخبر بالنصّ في كتاب الفرج بعد الشدّة (مخطوط لايدن ٢٩٦ ـ ٢٩٩) ، ولم يرد في النسخة المطبوعة (سنة ١٩٥٥ بالقاهرة) .

أما المصادر التي لم يذكرها صراحة ونرجح أنه عوّل عليها لوجود التشابه الحرفي بينها وبين ما أورد فهي :

١ ـ كتاب الأغاني لأنه أورد بعض النصوص مصدرة بـ : قال أبو الفرج الأصبهاني . وأكثر هذه النصوص وردت إما في الأغاني ، أو كتاب المستجاد ، أو الفرج بعد الشدة ، وكلاهما للتنوخي .

٢ ـ كتاب الكامل للمبرّد في أكثر من سبعة مواضع

٣ ـ كتاب بغداد لابن طيفور في أكثر من أربعة مواضع

٤ ـ كتاب الفرج بعد الشدة (المطبوع والمخطوط لأن بعض الحكايات التي وردت في المطبوع لم ترد في المخطوط ، وكثير مما ورد في المخطوط لم يرد في المطبوع) نقل منه في ١٧ موضعاً .

٥ ـ كتاب المستجاد من فعلات الأجواد ، نقل منه في ٢٨ موضعاً نقلاً حرفياً .

ولما كان المخطوط خالياً من المقدمة واسم الكتاب والمصنف فإننا لانشك أن هناك جزءاً سبق هذا وذلك للأسباب الآتية :

١ ـ في الحديث عن عبد الحميد الكاتب وأنه حين جيء بـه إلى المنصور قال له : « استبقني ياأمير المؤمنين ، فإنني كاتب مجيد فاستبقاه ووصله ،وهو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد ، وهو أول من طوّل الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب ، فاستقفى الناس أثره ، **وقد ذكرت من بعض فصوله في مامضى من هذا الكتاب . . .**»(ورقة ٣٧ ب وورقة ٥٩ أ من نسخة الجزائر) .

٢ ـ في الحديث عن أن كل سادس من الخلفاء يُخلع ويُقتل : « ... وآخرهم عبد الله بن الزبير فخُلع ابن الزبير وقتل ـــ رحمة الله عليه ـــ **وهو الذي ذكرت أنه لم يستنّ كاستنان ما قبله ولا ما بعده . . .** (ورقة ١٥٢ ب) . أي أن ابن الزبير ـــ رحمه الله ـــ لم يسر مسيرة من جاء قبله أو بعده .

وقد ورد في نهاية المخطوط نصٌّ يوحي أنَّ هناك جزءاً ثالثاً وبه يكمل الكتاب ، فقد ورد في حديثه عن كل سادس من الخلفاء : قلت : وكان سادس من ولي بعد المقتدر الطائع لله وهو المسترشد بالله خلع وقتل . فالظاهر في هذا النص أن : [وهو المسترشد] مقحمة هنا فلعلها كانت في حاشية النسخة التي استنسخت هذه منها فأدرجها الناسخ جهلاً وغفلة ، وذلك لأن المسترشد بالله لم يخلع ، وإنما اغتيل وهو أسير عند السلطان السلجوقي مسعود في سنة ٥٢٩هـ وذكرُ ذلك مستوفىً في كتب التاريخ ، ومن ثم فإن الطائع لله غير المسترشد بالله ، وقد خلع الطائع لله سنة ٣٨١هـ خلعه بهاء الدولة أبو نصر خسروفيروز بن عضد الدولة السلجوقي ، ومكث الطائع لله بعد خلعه مستظهراً عليه بدار الخلافة إلى أن توفي سنة ٣٩٣هـ ولم يقتل على كثير من الروايات ، (مختصر التاريخ لابن الكازروني ١٩٥ ، تاريخ ابن العمراني ١٨٢ وغيرهما) . فإذا كان النص صحيحاً فإن مصنف الكتاب كان حيّاً سنة ٣٩٣هـ ، وتوفي بعد هذا التاريخ ، وهذا يتنافى مع الأدلة التي سوف نتعرض لها حين نحاول أن نثبت نسبة هذا التاريخ لأبي علي المحسّن التنوخي المتوفّى سنة ٣٨٤هـ ، إلا إذا اعتبرنا الجملة : قلت . . . خُلع وقتل ، إلى آخرها مقحمةً وليست من أصل النص ، ومثل هذا كثير الحدوث ويعرفه دارسو المخطوطات . أما إذا كانت الجملة غير مقحمة فتعني أن هناك جزءاً ثالثاً يحوي تراجم الخلفاء بعد مقتل المقتدر سنة ٣٢٠هـ وإلى ما بعد سنة ٣٩٣هـ وأن وفاة المصنف كانت بعد إنجازه الكتاب .

أما عن عبدالحميد الكاتب فقد اختلفت الروايات في مصيره والمشهور أنه قتل مع مروان ، أو جيء به إلى السفاح أو إلى المنصور ، وأورد ابن خلكان حكاية عبدالحميد الكاتب وسلام الحادي والبعلبكي المؤذن ، مع المنصور ، حيث استبقى البعلبكي والحادي وأمر بقتل عبد الحميد الكاتب :

وقال له عبد الحميد الكاتب : استبقني يا أمير المؤمنين . قال : وما بلغ من كتابتك ؟ قال : أنا أبلغ أهل زماني في الكتابة . فقال له المنصور : أنت الذي فعلت بنا الأفاعيل وعملت بنا الدواهي ! فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ثم ضرب عنقه . وقال ابن خلكان : والله أعلم أيّ ذلك كان . والحكاية التي أوردها ابن خلكان منقولة عن محمد بن العباس اليزيدي بإسناد ذكره (٤) وردت بالنص في المخطوط إلاّ في مصير عبد الحميد الكاتب الذي ذكرناه .

لقد ذكرنا أن مصنف هذا التاريخ قد نقل من كتاب المستجاد في ٢٨ موضعاً ، ومن كتاب الفرج بعد الشدّة في ١٧ موضعاً ، وأن بعض هذه الأخبار مشتركة بين الكتب الثلاثة في الإسناد أو الرواية الحرفية للنص ، فمثلا : قصة إبراهيم بن المهدي واستتاره من المأمون ، فقد وردت في المستجاد صفحة ٧٤ بالإسناد : قال أبو الفرج الأصفهاني : أخبرني أحمد بن محمد البزّاز الأطروش قال : حدثنا أبو مسكين جعفر بن المحرز بن الوليد عن أبيه قال الواقدي : كان إبراهيم قد ادّعى الخلافة لنفسه بالريّ وأقام مالكها سنةً وأحد عشر شهراً واثني عشر يوماً ، وله أخبار كثيرة أحسنها عندي ما حكاه لي قال : لما دخل المأمون الريّ وطلبني أشدّ طلب . . . وقد وردت هذه الحكاية الطويلة بالنص الحرفي في مخطوط التاريخ ورقة ٨٦ أ — ٨٩ ب إلاّ أن مصنفه اكتفى من الإسناد السابق بقوله : قال الواقدي ، كما في نشرة باولي من المستجاد (صفحة ٥٨) ، وقد ورد قسم كبير من الحكاية في مخطوطة الفرج (٣٦٦ — ٣٦٩ ، مخطوطة لايدن رقمها ٦١ شرقي ومؤرخة في ٨٩٠هـ ومرقمة حسب الصفحات) ولم ترد في النسخة المطبوعة من الفرج بعد الشدة (القاهرة ١٩٥٥) . ومن إشارات محمد كردعلي في المستجاد يبدو أنها وردت في النسخة من الفرج التي اعتمد عليها في تحقيقه كتاب المستجاد (صفحة ٧٧) . لقد حوى كتاب الفرج المطبوع سنة ١٩٥٥ قصتي استتار

كلٍّ من الفضل بن الربيع وإبراهيم بن المهدي من المأمون والحوادث التي مرت بكل واحد منها ، غير أن هذه الحوادث قد تشابكت في قصة اختفاء واستتار الفضل بن الربيع مع قصة استتار إبراهيم بن المهدي في النسخة المطبوعة من كتاب الفرج ، بينما رويت القصتان منفصلتين وبإسهاب في المخطوط من التاريخ ، إلا أن الحجّام الذي آوى إبراهيم بن المهدي في المستجاد ومخطوط التاريخ صار مُزيّناً في كتاب الفرج ، وأن هذا المزين آوى الفضل بن الربيع (صفحة ٣٥٦ — ٣٥٩) . أما القسم الذي يروي غناء الحجام لإبراهيم وغناء إبراهيم له والأبيات التي غنّوا بها فلم يرد في مخطوطة الفرج ولا في المطبوع سنة ١٩٥٥ ، وإن رواية الفرج تشبه رواية المسعودي (مروج ٦٣/٧ — ٧٢) حيث لم يذكر حكاية الجندي الذي رام القبض على إبراهيم بن المهدي فدفعه فزلق الجندي ، وعندها تمكن من الهرب واللجوء إلى دار تعود للجندي فآوته امرأة الجندي ثلاثة أيام ، ثم خرج منها إلى مولاة له أسلمته لإسحاق بن إبراهيم المصعبي صاحب شرطة المأمون . والغريب في الأمر أن اسم إسحاق بن إبراهيم المصعبي ورد : إبراهيم الموصلي في كل من المستجاد (صفحة ٨١ ونشرة باولي ٦٥) ومخطوط التاريخ (ورقة ٨٧ ب) . أما في المطبوع من كتاب الفرج (صفحة ٣٥٨) فقد ورد في حكاية الفضل بن الربيع : فما شعرت إلا وإسحاق نفسه في خيله ورجله قد أحاط بالدار ثم كبسها فاستخرجني منها ، حتى أوقفني بين يدي المأمون حافياً حاسراً . . . .

وفي المستجاد (صفحة ٨١) : فما شعرت إلا بإبراهيم بنفسه في خيله ورجله وحفله والمولاة معه حتى سلمتني إليه فرأيت الموت عياناً . . . ومثل هذا في مخطوط التاريخ . فما تعليل هذا الخطأ التاريخي المشترك بين مخطوط التاريخ وكتاب المستجاد ؟ والجواب أن أحدهما نقل من الآخر

فتواتر الخطأ . والظاهر أن مصنف المستجاد قد نقل من كتاب التاريخ هذا دون تصحيح الخطأ لتعويله على أمانة مصنف الكتاب واطمئنانه لكل ما أورد .

قلنا إن مصنف هذا التاريخ قد عوّل على كثير من كتب التاريخ والأدب ولو تتبعنا وَفَيات مصنفي هذه الكتب فإننا لا نجد أيّاً منهم كان حيّاً بعد التنوخي المتوفّى سنة ٣٨٤ هـ ، وإننا لا نجد في الكتاب أية إشارة توحي أن هذا الكتاب كتب بعد وفاة التنوخي ، وهناك بعض الأدلة التي وردت في الكتاب تؤكد أصالته للتنوخي وهي :

١ ـ دليل الرواية

٢ ـ تشابه روايات كتاب التاريخ مع روايات الفرج والمستجاد .

٣ ـ أن التنوخي لم يكن معتزلياً

١ ـ دليل الرواية :

في الورقة ٦٩ب ، روى حكاية جعفر البرمكي حين أراد شراء جارية في البصرة فقد رويت بالنص الحرفي في كتاب الفرج بعد الشدة .

في المطبوع من الفرج ٣٩٣/٢ جاء الإسناد : حدثني أبو الفرج علي ابن الحسين المعروف بالأصبهاني إملاءً من حفظه قال : حدثني الحسن بن يحيى الرقاشي قال : حدثنا حماد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : لما دخل الرشيد ...

وفي المخطوط من الفرج ٥٢٠ جاء الإسناد : وعن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : حدثني أبي قال : لما دخل الرشيد ...

وفي مخطوط التاريخ جاء الإسناد : قال إبراهيم الموصلي : لما دخل الرشيد ...

وفي نهاية الخبر في ورقة ٧١أ جاء : ذكر أبو علي محمد بن الحسين ابن جمهور العمي البصري الكاتب في كتاب السمار والندامى « فزعم أن الرشيد لما حجّ معه إبراهيم الموصلي وساق الخبر عن قريب مما ذكرناه . . » فقد ورد بالنص الحرفي في كتاب الفرج المطبوع ٣٩٦ ، ننقله مع تصحيفاته وتحريفاته : « ووجدت هذا الخبر بخلاف هذا على ما ذكره أبي علي محمد بن الحسن بن جمهور العجمي البصري الكاتب في كتابه كتاب (السمّار والندماء) فزعم أن الرشيد لما حجّ كان معه إبراهيم الموصلي ، واقتصّ الخبر على قريب مما ذكرناه » .

وفي المخطوطة من الفرج ٥٢٥ « وقد ذكر في هذا الخبر زيادة من وجه آخر ذكره أبو علي في كتاب السمّار والندماء وأن الجارية غنت بصوت إبراهيم ... » . وأبو علي هذا هو محمد بن الحسن أو الحسين بن جمهور العمي شيخ المحسّن التنوخي الذي قال فيه : « كان محمد بن الحسن ابن جمهور العمي الكاتب من شيوخ أهل الأدب بالبصرة وكثيرَ الملازمة لأبي ، وحرّر خطي لما قويتُ على الكتابة لأنه كان جيد الخط ، حسن التوسل ، كثير المصنفات لكتب الأدب ، فكثرت ملازمتي له » (معجم الأدباء ٤٩٨/٦) . وقال عنه في النشوار « حدثنا أبو علي محمد بن الحسن ابن جمهور العمي الكاتب الصلحي البصري صاحب الستارة (إشارة إلى جاريته المغنية زادمهر) المشهور بالأدب والشعر وتصنيف الكتب » (٢٥٨/٣ نشرة الشالجي) .

وعن ابن جمهور هذا قال الشابشتي المتوفّى سنة ٣٨٨هـ في كتاب الديارات : « كان أبوه من رواة أهل البيت صلوات الله عليهم وحاملي الأثر عنهم ، وكان أبو علي ظريفاً متأدباً مليح الشعر والكتابة ، وقد سافر في طلب العلم وتطوّح في مواطن اللعب ، وعاشر أهل الخلاعة ، وطرق

الحانات والديارات ، ثم أقام بالبصرة وحسنت حاله بها وصارت له نعمة كثيرة » . (صفحة ١٧٢ نشر كوركيس عواد – بغداد ١٩٥١) . وذكره ابن النديم في فهرسته (صفحة ٢٢٣) فقال : « بصريّ ، ويعدّ من خاصة أصحاب الرضا عليه السلام ... وقد روى كتاب الأمل والرجاء لابن يقطين الشيعي ، وهذا الكتاب يذكر فيه أشـياء مما يرجو الشيعة من فضائلهم ومنزلتهم . » وقد عدّه أصحاب الرجال من الشيعة من رجالهم ، كرجال النجاشي ٤٩٨/٦ ، ومنهج المقال في أحوال الرجال لمحمد بن إسماعيل ص ٣٥٧ ، وتنقيح المقال في أحوال الرجال للمامقاني ١٠٠/٣ - ١٠١ . ولعلّ هذا الظرف وما تبعه من ملاحة في الأدب والشعر هو الذي قرّب بينه وبين والد المحسّن ، فكثرت ملازمته له ، لما كان يجمعها من الظرف وحسن المنادمة وطيب العشرة ، على تباين مشربيهما ، فالتنوخي كما وصفه بعض المؤرخين كان حنفياً معتزلياً ، وابن جمهور كان شيعياً ، ولعل اتصال والد المحسن ، ومن ثم المحسن نفسه ، بابن جمهور هذا ، ورواية كتاب قضاة بغداد عن طلحة بن محمد بن جعفر الشاهد المعتزلي الذي كان يذهب إلى الاعتزال ويدعو إليه ، حدا ببعض أصحاب التراجم أن يصفوا ابنه أبا القاسم علياً بالرفض والاعتزال معاً [٥] ، ولاندري كيف يكون معتزلياً ، وقد روى نفسه ما يسيء إلى ابن أبي دؤاد وهو رأس من رؤوس الاعتزال . فقد روى الخطيب [٦] : « أخبرني علي بن المحسن التنوخي ... قال أنشدني أبو الحجاج الأعرابي :

نكست الدين يا بن أبي دؤادِ فأصبح من أطاعك في ارتدادِ
زعمتَ كلام ربك كان خلْقاً أما لك عند ربك من معادِ »

ولعل قولَ أبي الفضل بن خَيْرون : قيل كان رأيه الرفض والاعتزال . وقولَ شجاع الذهلي : إنه كان يتشيع ويذهب إلى الاعتزال على ما روى

ابن حجر العسقلاني (٧) ـ مردّه إلى الحكاية التي رواها ابن الجوزي ، (المنتظم ٨/١٤١ - ١٤٢) : « وفي يوم عيد الفطر ثارت الفتنة بين أهل الكرخ [من الشيعة] وأهل القلائين [من السنة] فاشتدت ووقع بينهما جرحٌ وقتل ... وانتهى إلى الخليفة أن القضاة أبا الحسن السمناني ، وأبا الحسن البيضاوي ، وأبا علي الدامغاني ، وابن الواثق وابن المحسن الوكيلين ، حضروا عند القاضي أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي ، وجرى ذكر أهل الكرخ وما عملوا فقال التنوخي : هذه طائفة نشأت على سبّ الصحابة وما مُنعت منه إلا جدّت به ، ولا كان لدار الخلافة أمرٌ عليها ، فما تحاول الآن منها ؟ ... » وهنا تعريض واضح بالخليفة وضعفه ، وقد نقل قوله هذا للخليفة فأمر قاضي القضاة بالتوقف عن قبول شهادته وملازمة بيته لأنه قال صدقاً وأبان حقيقةً وكان هذا كافياً لأن يوصم بالرفض .

وقد نقل قول ابن الجوزي الذي قال فيه : « وكان محتاطاً صدوقاً إلا أنه كان معتزلياً ويميل إلى الرفض » (المنتظم ٨/١٦٨) كلُّ من جاء بعده ، مع أن تلميذه الخطيب البغدادي لم يذكر ذلك عنه على أن ديدنه ذكر مذاهب الرجال .

ومن دليل الرواية ماورد في ورقة ٩١ أ من مخطوط التاريخ : [حدثني طلحة بن محمد بن جعفر الشاهد قال : حدثني ابن أبي حسان الزيادي [قال : حدثني أبي عن أبيه] قال : ضقت ضيقة شديدة ...

وحدثني هذا الحديث أيضاً أبو الفرج جعفر بن محمد ولد صاحب المصلّى قال : حدثنا أبو القاسم علي بن محمد بن أبي حسان الزيادي وكان محدثاً ببغداد مشهوراً ثقة قال : حدثني أبي عن أبيه قال : كنت وليتُ القضاء من قبل أبي يوسف القاضي ثم صرفت وتعطلت سنين فضقت ضيقة

شديدة . . وذكر الحديث على نحوماذكر ، قال أبو الفرج في حديثه : فلما بلغ بي حماري مربعة الخُرْسي استقبلني موكب فيه مهرجان والنفاطات قد أضاءت الطرق . . . فإذا رجل من الموكب يقول لي : أبو حسان والله ، وتأملت فإذا هو دينار بن عبد الله . . . وذكر محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء في أخبار دينار أنه لقي أبا حسان في الطريق . . .

وحدثني أبي بهذا الحديث في المذاكرة قال : حدثني شيخ ذكَره وأنسيتُه أنا عن أبي حسان بنحو ما ذكره محمد بن جعفر . . .]

هذه الحكاية وردت بالنص الكامل مع الإسناد في الفرج بعد الشدّة ١٦٠ إلاّ أنه روى بداية الحكاية عن القاضي أبي طالب محمد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي فيما أجاز له « لي روايته عنه بعد ما سمعته منه »، ثم قال : ووقع لي هذا الخبر من طريق آخر بأسانيد ، قالوا : حدثنا أبو حسان . . . إلى أن قال : « وحدثني بهذا الحديث أبو الفرج محمد بن جعفر قال : حدثنا أبو القاسم بن أبي حسان . . . وذكر الحديث على نحو ماذكره طلحة إلا أنه قال : فلما بلغت بغلتي مربعة الخُرْسي . . . وحدثني أبي هذا الحديث في المذاكرة قال : حدثني شيخ ذكره أبي وأنسيته أنا عن أبي حسان الزيادي بنحو ماذكره محمد بن جعفر . . . »

إن قوله : « على نحو ماذكره طلحة » يدلّ أن الحديث كان حديث طلحة ، وأن اسم طلحة سقط من الإسناد الذي جاء كاملاً في مخطوط التاريخ . وأن رواية المحسّن التنوخي عن طلحة هذه ليست فريدة ، فقد روى عنه مرة أخرى في الفرج فقال : « حدثني أبو القاسم طلحة بن محمد الشاهد » (١/١٩٣) ، غير أن ابنه أبا القاسم كان أكثر حديثاً عن طلحة منه . ولعله هو الشاهد الذي طلب من التنوخي أن لا يذكر اسمه حين روى في النشوار خبر خلع المطيع لله نفسَه من الخلافة (٣/٢٠٦ الشالجي) فقال : « وأخبرني

شاهد من الشهود المقبولين ببغداد ، وسألني أن لا أذكر اسمه » ، فقد ورد اسمه مع الشهود الأربعة في تاريخ ابن الكازروني (صفحة ١٨٩ - ١٩٠) وخلاصة الذهب المسبوك لعبد الرحمن الإربلي الذي نقل رواية ابن الكازروني دون نسبتها له (٢٥٨) . وقد فعل مثل هذا كثيراً . وطلحة بن محمد بن جعفر الشاهد ولد سنة ٢٩١ ﻫ وتوفي سنة ٣٨٠ على ماروى الخطيب البغدادي وأنه كان المتقدم في وقته على الشهود ويذهب مذهب الاعتزال (٣٥١/٩) .

أما أبو الفرج محمد بن جعفر ولد صاحب المصلّى فقد ولد سنة ٢٩٦ﻫ وتوفي ٣٧٤ﻫ (تاريخ بغداد ١٥٤/٢ - ١٥٦) وقد رآه المحسّن التنوخي وحدثه وحدث ابنه أبا القاسم أيضاً ، قال الخطيب البغدادي : « أخبرنا التنوخي (أبو القاسم علي بن المحسن) قال : سمعت أبا الفرج محمد بن جعفر بن الحسن بن سليمان بن علي بن صالح صاحب المصلّى وسأله أبي عن سبب تسمية جدّه بصاحب المصلى فقال . . . » (٤٣٨/١١)

وأما أبو القاسم بن أبي حسان الزيادي فهو عمر بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان بن حسان بن عبد الرحمن بن يزداد ، قال عنه الخطيب : « كان ثقة وتوفي سنة ٣١٤ ﻫ » (٢٢٤/١١) .

إن حكاية أبي حسان الزيادي لم ترد في مخطوط التاريخ والفرج بعد الشدة فحسب ، بل إن قسماً منها ورد في النشوار الذي وصلنا أيضاً . قال المحسن التنوخي : « حدثني أبي بإسناد ذكره أن أبا حسان الزيادي كان من وجوه فقهاء أصحابنا ومن غلمان أبي يوسف ، وكان من أصحاب الحديث وكان قد تقلد القضاء قديماً ثم تعطل فأضاق فلزم مسجداً حيال داره يفتي ويدرس الفقه ويؤمّ ويحدث ، وإضاقته كلّ يوم تزداد . . . » (٢٢٣/١ - تحقيق مارجليوث) ثم روى الحكاية كما وردت في كلٍّ من الفرج بعد الشدّة ومخطوط التاريخ .

٢ ـ تشابه روايات المخطوط مع كلٍّ من الفرج والمستجاد :

وإليك بعض الأمثلة من هذا التشابه :

١ ـ بلغ إسراف خالد في المال فعزله وألزمه ثلاثة آلاف ألف درهم . . .

مخطوط التاريخ ورقة ٣٨ب ، الفرج ٢٨٧/٢ ، وأوردها ياقوت في إرشاده ٨/٦ والجهشياري في كتاب الوزراء ١٩٧ وقالوا : إن المهدي ألزم يحيى بن خالد ألف ألف درهم . . .

٢ ـ حكاية المهدي حين انتبه ليلاً وطلب من صاحب شرطته أن يطلق علوياً في السجن بسبب رؤيا رآها .

مخطوط التاريخ ورقة ٥٣ أ ، الفرج ١٦٥/١ ، وروى المسعودي هذه الحكاية وأنها حدثت للرشيد حين أطلق موسى بن جعفر ـ عليه السلام ـ (مروج الذهب ٣٠٦/٦ ـ ٣١١) .

٣ ـ حكاية الزنادقة الذين حملوا للمأمون من البصرة وانضمام طفيلي لهم وتدخل إبراهيم بن المهدي لإنقاذه حين روى للمأمون حكايته إذ تطفل وما جرى له .

مخطوط التاريخ ورقة ٨٤ أ ، المستجاد ٥٣ ـ ٦٣ ، فقد رويت في كليهما عن عبد الرحمن بن عمر الفهري عن رجال سماهم ، وأوردها المسعودي عن ثمامة بن أشرس (١٢/٧ ـ ٢٥) .

ومثل هذا التشابه يصحّ على كثير من الروايات المشتركة بين كتاب التاريخ والفرج والمستجاد ، مثل حكاية عمرو بن مسعدة مع الصيرفي البغدادي فروى التنوخي في الفرج (صفحة ٢٤٤) قصة الكاتب المتعطل ثم أردفها بقوله : « قال مؤلف هذا الكتاب : بلغني لعمرو بن مسعدة في زلاله خلاف حدثني به عبد الله بن الحسن العبسي وهو يذكر . . ان عمرو بن مسعدة

كان مصعداً من واسط إلى بغداد ... » فقد رويت قصة الصيرفي البغدادي حرفياً في كتاب التاريخ إلا أن مصنفه أو لعل ناسخه اكتفى بـ : « حدّث عبيد الله بن محمد بن الحسن الحنفي العبسي قال ... » بدلا من : « حدثني ... » (ورقة ٩٥ ب) .

٣ ـ هل كان المحسن التنوخي معتزليا ؟

لقد ذكر مارجليوث وتبعه كلُّ مَنْ كتب عن التنوخي أنه كان معتزليا لأنه أورد في النشوار حكايات عن المعتزلة أو عن صبيانهم وأسندها إلى جماعة من أصحابه مما يدل على قبوله لها ، وان أثر الاعتزال واضح في كتب التنوخي حيث أورد أخبار بعض المعتزلة وبعض قصصهم التي تظهر فيها المبالغات والتي لايتقبلها سوى صاحب الميل كقوله : « سمعت جماعة من أصحابنا يقولون : من بركة المعتزلة أن صبيانهم لا يخافون الجن » . ذكر هذا كلّه بدرى محمد فهد في كتابه : القاضي التنوخي و كتاب النشوار (بغداد ١٩٦٦ ، صفحة ٢٣) ولكي يُمين قوله هذا بحجة فقد أحال على كتاب الفرج (صفحة ٣٤٦) والنشوار (٢٧٠/١) ، ولما تصفحنا الفرج وجدنا التنوخي يروي قصة العتابي منقولة من كتاب الوزراء للجهشيارى : « ذكر محمد بن عبدوس في كتابه كتاب الوزراء قال حدثني ... حدثني يموت بن المزَرّع قال : كان العتابي يقول بالاعتزال فاتصل ذلك بالرشيد(٨) ... » فيا عجبي ! كيف نصف المحسن التنوخي بالاعتزال لأنه أورد أخبار بعض المعتزلة ولا نصفه بالزندقة لأنه أورد حكايات بعض المجوس والزنادقة ؟ ولو يصحّ مثل هذا القياس لتغيرت معالم العلماء ونِحَل المصنفين . والتنوخي نفسه روى في حكاية إبراهيم بن عبد الله الهبيري الذي كان يلتمس تصرفاً من الوزير محمد بن عبد الملك الزيات فقال : « وكان ابن الزيات » يرى أي المعتزلة ويقول إن الأرزاق بالاكتساب » مع أن مدلول القصة يعني أن الرزق بالتقدير الإلهي وليس اكتساباً لأن الهبيري أخذ رزقه رغم أنف الزيات .

(مخطوطة الفرج ٣٤٠ - ٣٤١ ، ولم ترد في المطبوعة[٩]) . فلو كان الرجل معتزلياً لأعرض عن مثل هذا القدح في رأي يراه مع أن أحداً من أصحاب التراجم لم يصمه بالاعتزال كما وصموا أباه أو ابنه ، ولعل السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢ هـ كان أول من قال في أبيه : « وكان يعرف الكلام في الأصول على مذهب المعتزلة ، ويعرف النجوم وأحكامها معرفة ثاقبة » (ورقة ١١٠ب) فحرّف ابن الأثير هذا القول فقال عنه : « وكان عالماً بأصول المعتزلة والنجوم » (الكامل ٨/٣٨٠) . وشتان ما بين الكلامين ، ولكنهما يتفقان مع غيرهما من أصحاب التراجم في أن والد المحسن كان فقيهاً حنفياً . وقول السمعاني إنه كان يعرف الكلام في الأصول على مذهب المعتزلة وقول ابن الأثير : إنه كان عالماً بأصول المعتزلة ، لا يجعلان منه معتزلياً ، بله ابنَه المحسِّن الذي قال فيه ابن الأثير : « وكان حنفي المذهب شديد التعصب على الشافعي يطلق لسانه فيه » (الكامل ٩/١١) . ولكن ابن الأثير لم يُعد كلامه هذا في سنة وفاة التنوخي واكتفى بقوله : « وكان فاضلاً » (٩/٧٤) ، والأدلة كثيرة على تحنف المحسن في كتبه ، نورد واحداً منها .

قال التنوخي في النشوار (٣/٥٢ - ٥٣ نشر الشالجي) : « حدثني عبد الله بن أحمد بن داسة . . . كان أبو زهير الجبائي الفقيه ورعاً حاذقاً بمذهب أبي حنيفة . . . قال لي عبد الله بن داسة : إن أبا زهير هذا هو أستاذ أبي محمد بن عبدل الذي علمه الفقه على مذاهب أصحابنا . وكان محمد بن عبدل أستاذنا نحن في الفقه وقد درست عليه وشاهدته الطويل وما سمعت منه هذه الحكاية » .

فلو صح افتراضنا في أن هذا الكتاب للتنوخي المحسن فإن فيه أكثر من دليل يثبت ان التنوخي لم يكن على الإطلاق معتزليا إلا إذا اعتبرنا هذه الأخبار (وكلها في نهاية خلافة المعتصم) مقحمة في أصل النص وأنها كانت على الحاشية فأضافها الناسخ إلى الأصل ، ولما كانت هذه النسخة الوحيدة (هذا

القسم سقط من نسخة الجزائر) فإننا لا نستطيع أن نثبت أو ننفي أصالة هذه الأخبار (وهي خمسة أخبار تحتل صفحة من المخطوط) وإن كنت لا أشك في أن أكثر من واحد منها مقحم في النص :

١ – جاء في الورقة ١١٤ أ : « وكان المعتصم مع خلاله الحميدة وأفعاله السديدة قد أغواه الشيطان ، وقال بخلق القرآن ، تقليداً لغاوٍ أغواه ، وفاسق أثبته حتى اشتمل عليه واحتواه ، وحمل الناس عليه وندبهم بالسيف وضربهم بالسياط ، ليقولوا بهذا الخباط ، وبلغ به الجدّ في ذلك والاغتباط ، على أن يضرب الإمام أبا جعفر (كذا : وهو أبو عبد الله) أحمد بن حنبل ، فأحضره في شهر رمضان وضربه نحو ثلاثين [سوطاً] وهو عريان فمالت عنقه ، فظنوا أنه قد ذهب رمقه ، فترك وطرحت عليه ثيابه ، وسبب الله له السلامة انسباب (كذا) وعصم الله الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه من اتباعه على الضلال ، وقوله بهذا المقال » ، فإن في هذا النص تكلفاً لغوياً وحماسة مذهبية حنبلية ظاهرة ، والتنوخي بعيد عن مثل هذا التكلف والتعصب .

٢ – وفي الورقة نفسها جاء : « قال أبو شعيب الحرّاني : كنا مع أبي عبيد القاسم بن سلام بباب المعتصم ، وأحمد بن حنبل يضرب ، فجعل أبو عبيد يقول : أيضرب سيدنا الأمير ، أيضرب سيدنا الأمير ، فقال أبو شعيب :

ضربوا ابنَ حنبل بالسياط بجهلهم بغيـاً فثبت بالثبات الأنـور
قال الموفق حـين مدّد بينهم مـدّ الأديم على الصعيد القرقر
إني أموت ولا أبوء بفجـره تصلى بوانقها محل المفتـري

٣ – وفي الورقة نفسها وردت حكاية عبد الله بن أحمد بن حنبل وقد دخل على أبيه فأشهده على عفوه عن المعتصم فقال : « وإني أشهدك أني جعلت المعتصم في حلّ » .

٤ ـ وفي الورقة نفسها ب : وردت حكاية أحد أصحاب أحمد بن حنبل حين رآه في النوم فقال له : مافعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ورحمني وحباني وقال لي : يا أبا عبدالله إنما أعطيتك لأنك قلت القرآن غير مخلوق ».

٥ ـ وفي الورقة نفسها : وردت الحكاية الأخيرة : « وروى عن علي ابن الموفق قال : حدثني أبو عمرو التمار قال: كان لنا جار مجوسي يقال له بهرام فمات فرأيته في أقبح صورة فقلت : بهرام ! فقال بصوت ضعيف: نعم بهرام يا أبا عامر ، فقلت له : إلى أي شيء صرت ؟ فقال : إلى قعرها ، فقلت: أيجيكم أحد ؟ قال : هؤلاء الذين يقولون : القرآن مخلوق ».

وفي خلافة الواثق بالله أورد مؤلف الكتاب خبرين أحدهما عن المسعودي وكلاهما في الرد على من قال بخلق القرآن :

١ ـ قال عبادة المخنث : دخلت على الواثق أمير المؤمنين والناس يمتحنون، بعضهم بضرب ،وبعضهم بقتل، وبعضهم بحبس ،قال عبادة : ... فقلت : أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين ،فقال لي : ويحك في من ؟ قلت : يامولاي في القرآن ، فقال لي : والقرآن يموت ؟ فقلت : يامولاي أليس كل مخلوق يموت ؟ فإذا مات القرآن في شعبان بم تصلي في الناس في رمضان ؟ فقال : أخرجوه . وقيل : إنه رجع عن القول بخلق القرآن من ذلك اليوم .

٢ ـ الحكاية التي رواها المسعودي في مروجه (٨/٢٢ - ٢٧) وهي حكاية الشيخ الذي قدم على الواثق من أدنة ، وما جرى له مع أحمد بن أبي دؤاد (ورقة ١١٥أ وما بعدها) . وأعاد ذكر هذه الحكاية في خلافة المهتدي محمد بن الواثق بالله (ورقة ١٣٥ ب) حين همّ صالح بن علي الهاشمي أن يسأله فقال المهتدي : « كأني بك وقد استحسنت مارأيت من مجلسنا؟ فقلت : أي خليفة خليفتنا إن لم يكن يقول بخلق القرآن . . . فقال : قد كنت على ذلك برهة من الدهر حتى أقدم على الواثق شيخ طوال

حسن السبلة من أهل الفقه والحديث من أهل أدنة ... فرجعت من ذلك الوقت عن تلك المقالة ، ورجع الواثق عنها » .

فنحن بين أمرين لا ثالث لها ، إما أن نقبل افتراضنا في أن هذا الكتاب هو من تصنيف المحسن التنوخي فيتعين عندنا أنه لم يكن معتزلياً وإن عدّه ابن المرتضى (المتوفى سنة ٨٤٠ هـ) وعدّ أباه من المعتزلة ، لأن ابن المرتضى عدّ محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة والإمام الشافعي ودعبل الخزاعي في من عدّ من القائلين بالعدل ، وكلٌّ واحد من هؤلاء له مشربه المعروف به ، ثم قال في ترجمة دعبل الخزاعي : « ونظراؤه من فحول الشعراء من القائلين بالعدل أكثر من أن يُحصَوْا ، كالكميت في المتقدمين ، وعلي بن محمد التنوخي وابنه وغيرهم » (طبقات المعتزلة ١٣٢) فقد عدّهم في الشعراء ، والشعر أقلّ شيء عرفوا به ، هذا إذا قلنا : إنه أراد بهذين الاسمين المحسّن وأباه .

والأمر الثاني : أو أن نرفض نسبة هذا الكتاب له ، وهنا يتعين علينا أن نجد تفسيراً معقولاً للأدلة التي أوردتها في نسبة الكتاب له ، وهي أقوى من دفعه عنه .

إضافةً إلى كل ماذكرت من الأدلة فإن هناك إشارتين وردتا في الكتاب:

الأولى : في كلامه على الوزير أبي عبيد الله معاوية بن عبيد الله الأشعري ، وزير المهدي قال : « وهو جد محمد بن عبد الوهاب الكاتب » ، ورقة ٥١ ب.

الثانية : في خلافة المقتدر ، ورقة ١٥٧ ب ورد ما يأتي : « وفي سنة أربعة عشر وثلاثمائة عزل المقتدرُ أحمدَ بن إسحاق بن البهلول القاضي وكان على قضاء مدينة المنصور أحمد بن سهل الأشناني ثم ندم على ذلك ، فأنفذ بقهارمته مهلة وأم موسى وغيرهما ،يأمره بالرجوع إلى القضاء فقال :

قد كبر سني وفي رقبتي علمٌ أحبّ أخرجه إلى الناس وإلقاؤه إليهم ، وأنا أسأل أمير المؤمنين إعفائي منه ، ثم أخرج رقعة من تحت وسادته فقرأها عليهن وأنفذها مع الذي كتبه من المسألة له في الإعفاء عن القضاء وفيها :

تركت القضاء لأهل القضاء وأقبلت اسموا إلى الآخرة
فان يك فخراً يعيد الثناء فقد نلت منه يداً فاخرة
وان يك وزراً فأبعدْ به فلا خير في نعمة وازرة »

لقد نقلت هذا النص بما فيه من أخطاء بأنواعها ، فإن المشهور عند أصحاب التراجم أن القاضي أحمد بن إسحاق بن البهلول صرف عن القضاء بمدينة المنصور سنة ست عشرة وثلاث مائة بأبي الحسين عمر بن الحسن بن علي بن الأشناني الذي عزل بعد ثلاثة أيام من توليه القضاء[١٠] ، وأن أحمد ابن سهل الأشناني لم يكن قاضياً وإنما كان أحد القراء المجوّدين كما يقول الخطيب (٤/١٨٥) ، فلا بد أن شيئاً سقط من النص وهذا ظاهر بيّن ، لأن أحمد بن إسحاق بن البهلول هو الذي كان قاضياً على مدينة المنصور ، ولأن أحمد بن سهل الأشناني كان قد توفي سنة ٣٠٧ هـ وقبل أن يعزل ابن البهلول ، فلعل الساقط من النص كان : . . . قضاء مدينة المنصور [بأبي الحسين عمر بن الحسن الأشناني وهو صهر ، ختن] أحمد بن سهل الأشناني ، أو شيء من هذا حتى يستقيم النص تاريخياً في الأقل . وقد رويت حكاية هذا العزل في مصادر عديدة كتاريخ بغداد ، والمنتظم ومعجم الأدباء ، وكلها روت الحكاية عن أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي عن طلحة ابن محمد بن جعفر الشاهد ، وأضاف ياقوت أن ابن عبد الرحيم التنوخي سمع الحكاية من أبي القاسم علي التنوخي وكان له بأمره (أحمد بن إسحاق ابن البهلول) الخبرة التامة لما يجمعها من النسب في الصناعة (معجم الأدباء

٩٢/١) . أما الخطأ في تاريخ العزل فلعله خطأ من الناسخ .

أوردت هذه الحكاية لأنها الحكاية الوحيدة في المخطوط تذكر شيئاً عن قاضٍ عباسي ، وأهمية هذه الحكاية تأتي من أن ابن البهلول يتصل بالنسب مع التنوخيين .

أما محمد بن عبدالوهاب الكاتب فلم أعثر على ذكر له في ما لديّ من مصادر ، فلعل أحداً من الإخوة القراء له علم به ، فإن فوق كل ذي علم عليم .

وبعد ، ألا يحق لنا أن نقول : إن أبا علي المحسن بن علي التنوخي صنف كتاباً في التأريخ ؟ .

الدكتور قاسم السامرائي

لايدن — هولندا .

التعليقـــات

(١) منه نسخة في مكتبة بودليان باكسفورد ، ذكر هذا بروكلمان في الملحق ٢٥٣/١ ، رقم ٤

(٢) من هؤلاء : رشدي فكار كتب رسالة جامعية عن التنوخي وكتابه الفرج بعد الشدة ، وبدري محمد فهد كتب كتاب القاضي التنوخي وكتاب النشوار ، وشكري فيصل كتب مقالاً طريفاً عن النشوار ورحلته في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، وقبله كتب أحمد تيمور عن ألفاظ النشوار في المجلة نفسها ، وكتب المستشرق الألماني فينر عن أدب الفرج بعد الشدة في مجلة در إسلام الألمانية ، وباريت في الموسوعة الإسلامية وغير هؤلاء . وانظر كتاب بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ملحق ٢٥٢/١ – ٢٥٣ عمن كتب عن التنوخي .



بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

ذكر بني العباس وسبب ظهورهم

قال [illegible] بن صوحان مررت [illegible] بني عبد المطلب كانهم بروج
فضة وكان عما يحسم الزينة وكان العباس رضي الله عنه من بينهم كطلعة
البدر فسالت عنهم فقيل لي هؤلاء بنو عبد المطلب فقلت ان الله اذا اراد ان
يبني دولة انشا لها مثل هؤلاء هذا غرس الله لا غرس البشر وحج فمر بني
ساعدة [illegible] فقال والله لكن [illegible] عظيم وامر جسيم
وكان العباس رضي الله عنه وكنيته ابو الفضل كان رئيسا
في الجاهلية وكان يقوم بالسقاية والرفادة في الجاهلية فاقره رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ذلك في الاسلام وكانت له عمارة المسجد الحرام
ولا يقول فيه هجرا فكان يحملهم على عمارته في الخير لا يستطيعون لذلك
امتناعا لان ملا قريش اجتمعوا وتعاقدوا على ذلك فكانوا له اعوانا
عليه وسلموا ذلك اليه وكان رضي الله عنه من اوسع الناس صدرا واكرمهم
اخلاقا واحلمهم وكان له ثياب لعاري قريش وجفنة لجايعهم وسلسلة
لعاصيهم وجاء الاسلام وهو كذلك فقال عمر رضي الله عنه
هذا والله هو الشرف يطعم الجايع ويكسو العاري ويؤدب الجاهل
وفيه وفي [illegible] وسلسلة يقول [illegible]

نموذج الصفحة الأولى من كتاب « ذكر بني العباس وسبب ظهورهم »

انظر وصف المخطوطة في ص ٥٢٩

(٣) نشر صديقي شورد فان كوننكزفلد فهرساً لطيفاً لهذه المجموعة مع وصف مقتضب لها في مجلة :

Bibliotheca Orientalis , Sept - Nov . 1973 , No : 5 - 6 , PP . 370 - 385

Nederlands Instituut voor het Nabije Oosten , Leiden — Holland .

(٤) وفيات الأعيان ، نشر وستنفلد ، رقم الترجمة : ٤١٦ ، وحكاية عبد الحميد الكاتب والبعلبكي المؤذن والحادي لم ترد في مخطوطة الوفيات المحفوظة في لايدن برقم ١٥٩١ شرقي* ، ورقة ٤٨٤ ، ولا في تلك التي نشرها محمد محيي الدين عبد الحميد رحمه الله بالقاهرة ١٩٤٨ ، ٣٩٤/٢ — ٣٩٥ ، لكنها وردت عند الثعالبي في كتابه : ثمار القلوب ١٩٨ — ١٩٩ ، ٣٥٩

(٥) النجوم الزاهرة ٢١٨/٢ ، المنتظم ١٦٨/٨

(٦) تاريخ بغداد ١٥٣/٤

(٧) لسان الميزان ٢٥٢/٤ — ٢٥٣

(٨) أما في النشوار ٢٧٠/١ ، فهناك ثلاث حكايات ولعله أراد التي فيها : أخبرني غير واحد من أصحابنا ... أو قوله الآخر : سمعت جماعة من أصحابنا يقولون : من بركة المعتزلة ... إذ ليس في هذين القولين دليل على اعتزاليته ، فكم روى عن متكلم شيعي أو حنبلي أو متزندق أو شاعر أو أمير أو وزير فإن قوله : سمعت جماعة من أصحابنا لا يعني إطلاقا : من أصحابنا المعتزلة .

(٩) وقد ذكر التنوخي حكاية الهبيري في النشوار (٢١١/١ — ٢١٤) إلا أنه ذكر أن الوزير كان ابن أبي خالد الأحول ، ولم يذكر في الحكاية ماسبق أن نقلناه من كتاب الفرج المخطوط ، بيد أن قصد القصة واحد في الحكايتين .

(١٠) تاريخ بغداد ٢٧٨/١ ، ٣١/٤ ، ٢٣٧/١١ ، المنتظم ١٤٦/٢ ، ١٦٦ ، ٢٣٢ ، معجم الأدباء ٨٢/١ — ٩٤ ، وكيع ٢٨٥ ، مروج الذهب ٣١٠/٤ ، الجواهر المضية ٥٧/١ — ٥٩

(*) وردت الحكاية في نشرة الدكتور إحسان عباس للوفيات ج ٣ ص ٢٣٠ ومابعدها . وانظر تعليق الاستاذ المحقق .

كتاب المتوارين

للحافظ عبد الغني بن سعيد الأزدي

٣٣٢ - ٤٠٩ هـ

تحقيق

الشيخ محمد حسن آل ياسين

من الرسائل الصغيرة التي أثارت اهتمامي وأنا أتصفح فهرست المجاميع المخطوطة التي تضمها دار الكتب الظاهرية بدمشق : رسالة « المتوارين » تأليف الحافظ المصري عبد الغني بن سعيد الأزدي ، المتوفّى سنة ٤٠٩ هـ .

والرسالة — كما يرشد اسمها — تُعنى بأخبار عددٍ من المشاهير اضطرتهم السلطة إلى التواري والتخفي والتنكر والهروب عن أعين الناس . وقد وردت تلك الأخبار فيها مدعمةً بأسانيد رواتها فرداً فرداً ، وبأنباء أولئك المتوارين أثناء تواريهم وما جرى عليهم خلالها من شؤون وشجون .

ولم يجهد الأزدي نفسه في استيعاب أخبار المتوارين في التاريخ الإسلامي ، وإنما اقتصر على خصوص مَنْ توارى في فترة الحجاج بن يوسف الثقفي والروايات التاريخية تدلنا على أنّ المؤلف قد ذاق مرارة

التواري بعض الوقت خوفاً من جبار مصره في عصره ، لأنه « كانت بينه وبين أبي أسامة جنادة اللغوي وأبي علي المقري الأنطاكي مودة أكيدة ، واجتماع في دار الكتب ومذاكرات ، فلما قتلهما الحاكم صاحب مصر استتر بسبب ذلك الحافظ عبد الغني خوفاً أن يلحق بهما لاتهامه بمعاشرتهما . وأقام مستخفياً مدة حتى حصل له الأمن فظهر »[1] ، وقد يرجح في الظن أن تأليف الكتاب قد تمّ خلال هذه المدة التي أقام فيها مستخفياً ، وكانت — على وجه التحديد — سنة ٣٩٩ هـ ، وهي سنة مقتل صديقَيْه السالفي الذكر .

وعندما يجمع كتابٌ ما طرافة الموضوع وأهمية المؤلف ومعاناته التي أملتْ عليه التأليف يكون — في ظني — أهلاً للتحقيق والنشر ، ليطلع عليه المعنيون ويستفيد منه المتتبعون ، ويُضَمّ — من ثَمّ — إلى مجموعة التراث الخالد .

إنّ مؤلف الرسالة هو الحافظ الشهير أبو محمد ، عبد الغني بن سعيد ابن علي بن سعيد بن بشر بن مروان بن عبد العزيز ، الأزدي ، الحَجْري ، المصري .

ولد لليلتين بقيتا أو خلتا من شهر ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وقيل : سنة ثلاث وثلاثين . وتوفي والده سعيد — وكان من كبار الفرضيين — سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة .

سمع من عثمان بن محمد السمرقندي ، وأحمد بن بهزاذ السيرافي ، وإسماعيل ابن يعقوب الجراب ، وعبد الله بن جعفر بن الورد ، وأحمد بن إبراهيم بن جامع ، وأحمد بن إبراهيم بن عطية ، ويعقوب بن مبارك ،

(١) وفيات الأعيان ٢/٣٩٠

وحمزة بن محمد الحافظ . وبالشام من أبي بكر الميانجي ، والفضل بن جعفر المؤذن ، وأبي سليمان بن زَبْر ، وطبقتهم .

روى عنه محمد بن علي الصوري ، ورَشأ بن نظيف ، وأبو عبد الله القضاعي ، وعبد الرحمن بن أحمد البخاري ، وأبو علي الأهوازي ، وأبو إسحاق النعماني الحبال ، وخلق كثير .

أثنى عليه لفيف من علماء عصره كأبي الوليد الباجي والبرقاني والدارقطني والطرسوسي والطيوري والعتيقي وأضرابهم .

وله من المؤلفات :

١ ـ كتاب إيضاح الإشكال في الرواة

٢ ـ كتاب الرباعيات في الحديث .

٣ ـ كتاب الغوامض والمبهمات .

٤ ـ كتاب الفوائد المنتقاة عن الشيوخ الثقات .

٥ ـ كتاب كشف الأوهام.

٦ ـ كتاب المتوارين « وهو هذا الذي نقدم له » .

٧ ـ كتاب مشتبه النسبة « طبع بالهند سنة ١٣٢٧ هـ » .

٨ ـ كتاب المؤتلف والمختلف في أسماء الرجال « طبع بالهند مع الكتاب السابق في مجلد واحد في سنة ١٣٢٧ » .

توفي في سابع شهر صفر ، ليلة الثلاثاء ، سنة تسع واربعمائة ، بمصر ، وفي رواية السمعاني : سنة نيف وعشرة واربعمائة ، وكانت له جنازة عظيمة تحدّث بها الناس (١) .

* * *

(١) رجعنا في ترجمة المؤلف إلى الكتب الآتية :
الأنساب : ١٨١/١ ، والمنتظم : ٢٩١/٧ ، ومرآة الجنان : ٢٢/٣ ، والبداية والنهاية : =

تحتفظ دار الكتب الظاهرية بدمشق بأصل الرسالة[1] ضمن المجموع ذي الرقم (٧١) . تبدأ الرسالة من الورقة ٢١/أ وتنتهي مع سماعاتها بالورقة ٢٨/أ ، قياس كل صفحة ١٦ × ١٢ سم ، ٢٠ سطراً في المعدّل . خط الرسالة تعليق وكتب بالقلم الأحمر على أوائل الأبواب . ليس فيها ذكر لاسم الناسخ ولا لتاريخ النسخ ولكنّ أقدم سماع فيها مؤرخ ٥٩٨ هـ . أهمل الناسخ إثبات الهمزة كما أهمل إثبات الألف في كثيرٍ من الأسماء فكتب « خلد » يعني خالد ، وكذلك أهمل النقط في أكثر الكتاب .

والرسالة موقوفة بدار الحديث بالضيائية ، ويقول مفهرس قسم التاريخ من مخطوطات الظاهرية إن الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي هو صاحب النسخة وواقفها .

وقد وُشّحَتْ الصفحة الأولى من الرسالة بخط نصر الله بن الصفار (وهو أحد أصحاب السماعات ، وسيأتي ذكره) ويوسف بن عبد الهادي (ت ٩٠٩ هـ .شذرات الذهب : ٤٣/٨) .

* * *

حفلت النسخة في آخرها بعدة سماعات كتبها بخطه عدد من المحدّثين المعروفين ، وتلك ميزة ذات أهمية كبرى في تعزيز قيمة الرسالة وتصحيح روايتها وتثبيت نصّها واضفاء القيمة العلمية عليها . ونسرد في أدناه نص تلك السماعات كما وردتْ في الكتاب :

● « بلغتُ قراءةً لجميعه على الشيخ الصالح أبي عبد الله محمد بن حامد

= ٧/١٢ — ٨ ،وتذكرة الحفاظ : ١٠٤٧/٣ — ١٠٤٩ ،ووفيات الأعيان : ٣٩٠/٢ — ٣٩١ والنجوم الزاهرة : ٢٤٤/٤ ، وشذرات الذهب : ١٨٨/٣ — ١٨٩ وتاريخ الأدب العربي « الترجمة العربية » ٢٣٠/٣ — ٢٣١ ، وتاريخ التراث العربي « الترجمة العربية » ٥٤٩/١ — ٥٥٠

(١) فهرس مخطوطات الظاهرية (قسم التاريخ : ٩٦)

الارتاحي [ت ٦٠١ هـ . شذرات الذهب : ٦/٥] ، فسمع الإمام الحافظ المتقن ضياء الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي [ت ٦٠٠ هـ . شذرات الذهب : ٣٤٥/٤] والفقيه أبو الحرم مكي بن عمر بن نعمة الحنبلي [ت ٦٣٤ هـ . شذرات الذهب : ١٦٩/٥] وأبو القاسم عبد الغني بن قاسم [ت ٦١٨ هـ . شذرات الذهب : ٨١/١٥] والشيخ عشير بن أحمد بن ثابت وعبد الرحمن بن الحسين بن عبد الرحمن وولده محمد . وذلك يوم الأربعاء الثامن من شهر الله رجب سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وصلّى الله على محمد وآله . »

«قرأتُ هذا الجزء على الشيخ أبي عبد الله محمد بن حمد بن حامد الارتاحي ، بإجازاته من الفرّاء ، فسمعه أبو عبد الله بن عبد الرحمن العسقلاني ، في يوم الأحد سابع عشري محرم سنة ستمائة .

كتبه عبد الله بن عبد الغني المقدسي [ت ٦٢٩ هـ . شذرات الذهب : ١٣١/٥]» .

● « سمع جميع هذا الجزء على الشيخ الفقيه الإمام العالم الحافظ جمال الدين أبي موسى عبد الله بن الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ، بسماعه فيه ، بقراءة الإمام أبي موسى عيسى بن سليمان بن عبد الله بن عبد الملك الرعيني [ت ٦٣٢ هـ . شذرات الذهب : ١٥٦/٥] : الإمام الأوحد نجيب الدين أبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن أبي طالب الشيباني الصفّار [ت ٦٥٦ هـ . شذرات الذهب : ٢٨٥/٥] وسيف الدولة أحمد ابن حمدان بن مرزبان الهدبالي(١) وحسين بن فارك بن باد الهدبالي وكاتب السماع

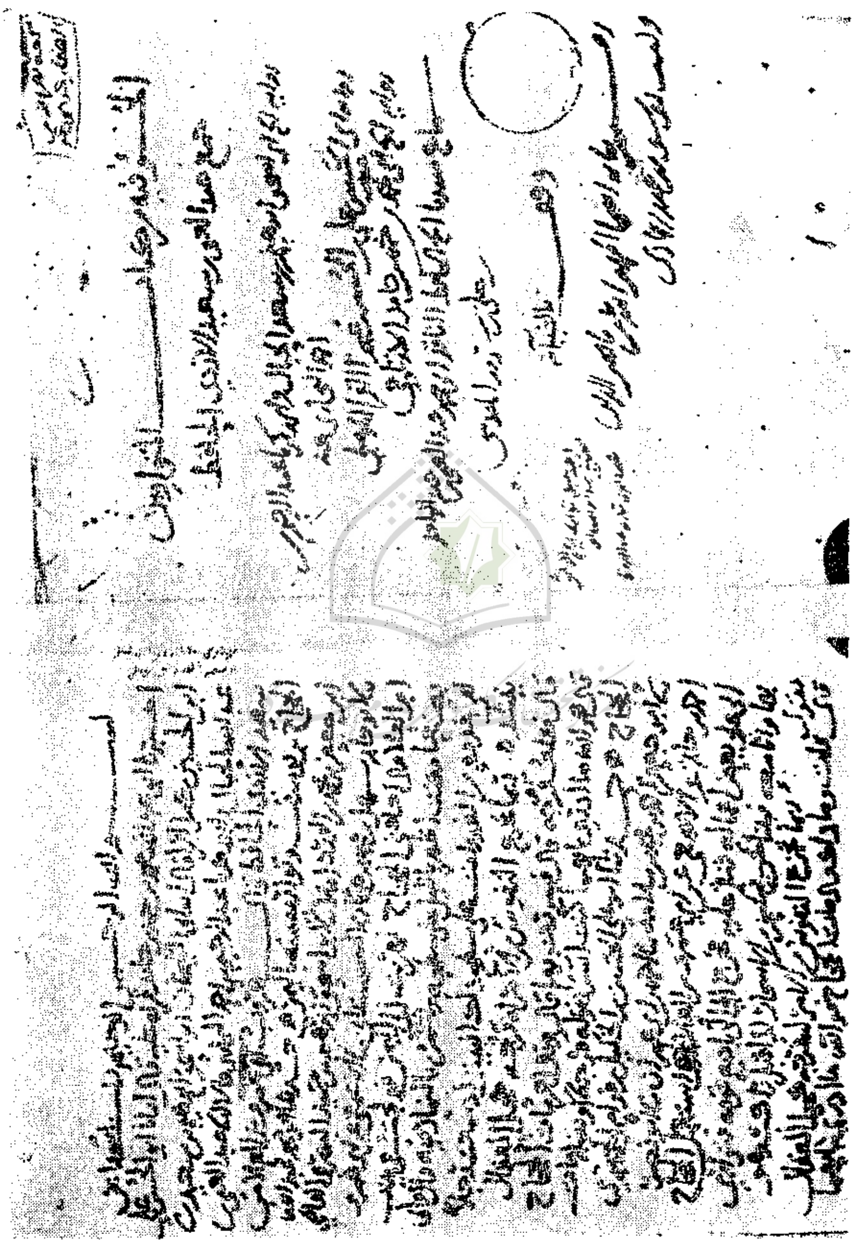
(١) الكلمة في الأصل غير منقوطة ، ولم نقف في كتب الأنساب المعروفة على هذا الاسم ، وفي شذرات الذهب : ٢٧٤/٥ « الهذباني » ولكن المفهرس كتبها في الفهرست « الهدباني » . والله العالم .

إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز بن الحسن بن علي القرشي [ت ٦٦٣ هـ . شذرات الذهب : ٣٢١/٥] عفا الله عنه . وذلك في يوم الخميس خامس عشري شعبان سنة ست وعشرين وستمائة ، بمسجد المسمع ، بمدينة دمشق، والحمد لله ، وصلاته على محمد وآله » .

● « قرأت جميع هذا الجزء على الشيخ ناصر الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن داود بن حمزة المقدسي [ت ٧٩٩ هـ . شذرات الذهب : ٣٦٢/٦] ، بإجازاته من القاضي تقي الدين سليمان بن حمزة [ت ٧١٥ هـ . شذرات الذهب : ٣٥/٦] ، بإجازته من الحافظ جمال الدين أبي موسى [عبد الله بن عبد الغني المذكور في السماع السابق] : يوم الثلاثاء ، سلخ [ذي] الحجة ، سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ، بمنزل المسمع بدير الحنابلة. وكتب محمد بن عبد الرحمن بن محمد المقدسي [ت ٨٠٣ هـ . شذرات الذهب : ٣٦/٧] » .

وإلى القارىء الكريم أصل الرسالة(١) :

(١) يجد القارىء على الصفحة التالية صورة الورقة الأولى من الرسالة بوجهيها : الأول الذي يتضمن عنوانها والثاني الذي يتضمن بدايتها .



الجزء فيه من :

[٢١/أ] كتاب المتوارين

جَمْـــع

عبد الغني بن سعيد الأزدي الحافظ

رواية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال وأبي زكريا عبد الرحيم بن أحمد البخاري ، عنه .

رواية أبي الحسن علي بن الحسين بن عمر الفراء الموصلي .

رواية الشيخ أبي عبد الله محمد بن حمد بن حامد الارتاحي .

سماع سيدنا الشيخ الحافظ الناقد أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي ابن سرور المقدسي .

[٢١/ب] بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ يَسِّرْ وأعِنْ

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن حمد بن حامد(١) ، قراءةً عليه ، قال : أنبأنا أبو الحسن علي بن الحسين بن عمر ، الفراء(٢) ، قال :

---

(١) الارتاحي ، المصري ، المولود حوالي سنة ٥٠٧ هـ والمتوفى سنة ٦٠١ هـ بمصر. شذرات الذهب ٥/٦

(٢) الموصلي ثم المصري ، المولود سنة ٤٣٣ ، والمتوفي سنة ٥١٩ هـ . شذرات الذهب ٤/٥٩

أنبأني الشيخان أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد بن عبد الله الحبال[١] وأبو زكريا عبد الرحيم بن أحمد البخاري[٢] ، قالا :

أنبا عبد الغني بن سعيد ، الأزدي ، الحافظ ، قال :

هروب أبي عمرو بن العَلاء[٣] من الحجاج بن يوسف[٤]

وتواريه منه باليمن

حدّثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد بن الورد[٥] إملاءً ، ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن حميد البصري القاضي[٦] ، ثنا أبو حاتم سهل بن محمد ابن عثمان السجستاني[٧] ، ثنا الأصمعي[٨] ، عن أبي عمرو بن العلاء قال :

« أخافني الحجاج فهربتُ إلى اليمن ، فولجتُ في بيتٍ بصنعاء ، فكنت

---

(١) النعماني ، المصري ، المتوفى سنة ٤٨٢هـ عن تسعين سنة . شذرات الذهب ٣٦٦/٣

(٢) الحافظ ، المتوفى سنة ٤٦١هـ عن تسع وسبعين سنة . شذرات الذهب ٣٠٩/٣

(٣) التميمي ، المازني ، البصري ، المتوفى سنة ١٥٤هـ عن أربع وثمانين سنة ، المترجم في طبقات النحويين ٢٨ — ٣٤ ، ونور القبس ٢٥ — ٣٧ ، ووفيات الأعيان ١٣٦/٣ — ١٣٩ ، وفوات الوفيات ٣٣١/١ — ٣٣٢ ، وشذرات الذهب ٢٣٧/١ — ٢٣٨

(٤) الثقفي ت سنة ٩٥هـ . شذرات الذهب ١٠٦/١

(٥) ت ٣٥١هـ . شذرات الذهب ٨/٣

(٦) لعله إبراهيم بن حماد القاضي المتوفي ٣٢٣هـ كما في تاريخ بغداد ٦١/٦

(٧) ت ٢٥٠هـ . شذرات الذهب ١٢١/٢

(٨) ت ٢١٦هـ . شذرات الذهب ٣٦/٢

أظهر بالليل على سطحه وأكمن بالنهار فيه . قال : فإني لفي غدوة من الغدوات على سطح ذلك البيت إذْ سمعتُ رجلًا ينشد :

ربما تجزع النفوس من الأمـ ـرِ له فَرْجَةٌ كحلّ العقالِ

قال : فقلت « فَرْجَة » ! ، قال : فسررتُ بها . قال : وقال آخر : مات الحجاج ، قال : فوالله ماأدري بأيهما كنتُ أسرّ ؟ بقوله : « فَرْجَة » أو بقوله : مات الحجاج » .

حدثنا أبو علي الحسن بن الخليل بن قوام الحميري ، ثنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة[1] ، ثنا أحمد بن أبي عمران[2] ، ثنا أبو نصر أحمد بن حاتم[3] ، عن الأصمعي ، عن أبي عمرو بن العلاء قال :

استعمل الحجاج أبي على بعض أعماله ، فنقم عليه ، فخرج أبي إلى بادية قومه فتوارى بها وأنا معه ، فبينا نحن في سحرٍ من الأسحار إذْ أقبل راكب وهو يقول :

ربما تجزع النفوس من الأمـ ـرِ له فَرْجَةٌ كحلّ العقالِ

قال : قلت : وماذاك ؟ قال : مات الحجاج . فوالله ماأدري بأيهما كنت [٣٢/أ] أشدّ فرحاً ! بقوله : « مات الحجاج » أو بقوله : « فَرْجَة[4] » .

---

(١) ت ٣٢١هـ . شذرات الذهب ٢/٢٨٨

(٢) ت ٢٨٠هـ . شذرات الذهب ٢/١٧٥

(٣) ت ٢٣١هـ ، طبقات النحويين ١٩٨

(٤) الروايات مختلفة في كون الهارب أبا عمرو أو أباه ، وتراجع في قصة بيت الشعر : المصادر التي أسلفنا ذكرها في الإشارة إلى ترجمة أبي عمرو ، كما يراجع أيضاً التصحيف والتحريف ٢١٣

ذكر تواري الحسن بن أبي الحسن البصري[١]

من الحجاج بن يوسف

وكان تواري الحسن في منزل أبي خليفة الحجاج بن عتاب[٢] ، وكان من التابعين ، وله ولد يُحدّث يقال له عمر بن أبي خليفة[٣] يحدث عن محمد ابن زياد أبي الحارث الجمحي[٤] .

حدثنا هشام[٥] ، ثنا أبو جعفر الطحاوي[٦] ، ثنا أحمد بن داود[٧] ، ثنا ابن عائشة[٨] ، ثنا حماد بن سلمة[٩] ، عن حميد[١٠] قال :

قرأتُ القرآنَ كلّه على الحسن وهو متوارٍ في بيت أبي خليفة ،

---

(١) توفي سنة ١١٠هـ ، وله ترجمة مفصلة في وفيات الأعيان ٣٥٤/١ — ٣٥٦ ، وتذكرة الحفاظ ٧١/١ — ٧٢ ، وتهذيب التهذيب ٢٦٣/٢ — ٢٧٠ وشذرات الذهب ١٣٦/١ — ١٣٧

(٢) المذكور في تهذيب التهذيب ٤٤٣/٧

(٣) ت ١٨٩هـ • تهذيب التهذيب ٤٤٣/٧

(٤) المترجم في تهذيب التهذيب ١٦٩/٩

(٥) الرعيني ، ت ٣٧٦هـ . المشتبه ٢٢٠

(٦) هو أحمد بن محمد بن سلامة السابق الذكر .

(٧) لعله السراج ، ت ٢٨٦هـ . تاريخ بغداد ١٤٠/٤

(٨) عبيد الله بن محمد ، ت ٢٢٨هـ . شذرات الذهب ٦٤/٢

(٩) ت ١٦٧ هـ . شذرات الذهب ٢٦٢/١

(١٠) الطويل ، ت ١٤٣ هـ . شذرات الذهب ٢٢١/١ وقد ورد خبره هذا عن قراءة القرآن على الحسن وتفسير الحسن له على الإثبات — أي إثبات القدر — في تهذيب التهذيب ٢٧٠/٢

ففسّره لي على الإثبات ، وكان مالك بن دينار(١) يغشى الحسنَ في ذلك التواري . يُصدّق(٢) ذلك حديثٌ حدثني بـــه الوليد بن القاسم ، ثنا الحسن بن علي بن موسى النخاس(٣) ، ثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب(٤) ، ثنا جعفر بن سليمان الضبعي(٥) قال :

كنّا عند الحسن ـ رحمة الله عليه ـ عند أبي خليفة العبدي قال : فجاءه رجل فقال : ياأبا سعيد ! رأيتُ على أبي حمزة(٦) جبة خزٍّ ، فقال الحسن : لأنْ أقطّـع مسيحي(٧) فألبسه أحبُّ إليّ من أنْ ألبس جبة خزّ .

حدثنا محمد بن جابر الحجري(٨) ، ثنا إسحاق بن أحمد بن جعفر القطان(٩) ، ثنا أبو سعيد الأشج(١٠) ، ثنا عيسى بن يونس(١١) ، ثنا العلاء ابن المغيرة البندار قال :

بشرتُ الحسن بموت الحجاج فسجد .

(١) ت ١٢٧ هـ . شذرات الذهب ١/١٧٣

(٢) الكلمة في الأصل مشوشة ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٣) المذكور في المشتبه ٦٣٣

(٤) ت ٢٤٤ هـ . شذرات الذهب ٢/١٠٥

(٥) ت ١٧٨ هـ . شذرات الذهب ١/٢٨٨

(٦) أظنه : أنس بن مالك نزيل البصرة ، ت ٩٣ هـ . شذرات الذهب ١/١٠٠

(٧) كذا في الأصل ، والمَسيح : المنديل الأخشن ، والمُسَيَّح من العباء : المخطط .

(٨) المذكور في الإكمال ٣/٨٩ ، والمشتبه ٢١٩

(٩) ت ٣١٥ هـ . تاريخ بغداد ٦/٣٩٣

(١٠) عبد الله بن سعيد ، ت ٢٥٧ هـ . شذرات الذهب ٢/١٣٧

(١١) ت ١٨٨ هـ . شذرات الذهب ١/٣٢٠

حدّثنا عبد الله بن جعفر بن الورد، ثنا علي بن محمد بن حيّون[١] ثنا محمد بن هشام[٢]، ثنا سفيان بن عيينة[٣]، عن أبي عثمان[٤] قال:

قال الحسن حين بلغه موت الحجاج: اللهم أنتَ قتلتَه فاقطعْ سنّته. وكان يقول: أتانا أخَيْفِش أعَيْمِش له جُمَيْمَةٌ ينقضها[٥]، شقي من الأشقياء، لا والله ماعرق تحت ثيابه غبارٌ قط في سبيل الله[٦] [٢٢/ب].

قال عبد الغني: أبو عثمان هو عمرو بن عبيد[٧]، والله أعلم.

تواري عبد الله بن الحارث الهاشمي «ببَّه»[٨]
عن الحجاج بن يوسف

قال محمد بن سعد[٩] كاتب الواقدي:

---

(١) لعله علي بن عبد الله بن محمد بن حيون، ت ٢٨٧ هـ. الإكمال ٥٨٠/٢

(٢) ت ٢٤٥ هـ. شذرات الذهب ١٠٩/٢

(٣) ت ١٩٨ هـ. شذرات الذهب ٣٥٤/١

(٤) سيأتي ذكره.

(٥) ولعلها: ينفضها وفي أمالي المرتضى «يرجلها».

(٦) كلام الحسن، مع بعض الاختلاف، في الموفقيات ١٠٤ وأمالي المرتضى ١٥٥/١ وفيها: «ماعرق فيها عنان في سبيل الله».

(٧) ت ١٤٢ هـ. شذرات الذهب ٢١٠/١

(٨) ت ٨٤ هـ. له ترجمة في الإكمال ١٨٢/١، وتهذيب التهذيب ١٨٠/٥ — ١٨١، وشذرات الذهب ٩٤/١، ويرجع في أخباره إلى تاريخ الطبري ٥١٢/٥ — ٥١٤ و ٥١٧ و ٥٢٩ و ٥٦٧ و ٦١٥

(٩) ٢٣٠ هـ. شذرات الذهب ٦٩/٢

عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم . يُكتنى أبا محمد ، وهو الذي لقّبه أهل البصرة « بَبَّه » . هلك بعُمان عند انقضاء فتنة [ا] بن الأشعث ، وكان خرج إليها هارباً من الحجاج. وولد في زمن النبي صلّى الله عليه وسلم ، وسمع من عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - خطبته بالجابية[١] .

تواري إبراهيم بن يزيد النخعي ، أبي عمران ، الفقيه[٢] من الحجاج

حدثنا هشام بن محمد الرعيني ، ثنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة ، ثنا محمد بن علي بن داود[٣] ، أنبا سعيد بن سليمان[٤] ، عن أبي شهاب[٥] ، حدّثني الجبر بن عمرو[٦] قال :

خبأنا إبراهيم في داره[٧] حين توارى من الحجاج ، وكان لا يصلي في جماعة مخافة من الحجاج .

---

(١) الترجمة مقتبسة من طبقات ابن سعد ٥/١٥ - ١٦

(٢) ت ٩٥ أو ٩٦ هـ . له ترجمة في وفيات الأعيان ١/٦ ، وتذكرة الحفاظ ١/٧٤ ، والوافي بالوفيات ٦/١٦٩ ، وشذرات الذهب ١/١١١

(٣) ت ٢٦٤ هـ . تاريخ بغداد ٣/٦٠

(٤) سعدويه ، ت ٢٢٥ هـ . شذرات الذهب ٢/٥٦

(٥) عبد ربه بن نافع ، ت ١٧١ هـ . شذرات الذهب ١/٢٨٠

(٦) كذا في الأصل ، وأظنه تصحيف : الحسن بن عمرو الفقيمي الراوي عن إبراهيم النخعي ، المتوفى ١٤٢ هـ . تهذيب التهذيب ٢/٣١٠

(٧) كذا في الأصل ، ولعل في العبارة سقطاً أو تصحيفاً .

حدثنا هشام بن محمد ، ثنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة ، ثنا ابن أبي داود[١] ، ثنا سعيد بن منصور[٢] ، ثنا مهدي بن ميمون[٣]، عن شعيب بن الحبحاب[٤] قال :

كان إبراهيم متوارياً من الحجاج ، فتوفي ، فدفن ليلاً ، فحضرت الصلاة عليه ثم أتيتُ الشعبي[٥] فقال : لقد توفي في هذه الليلة رجل ماترك بعده مثله ، قلتُ : بالكوفة ؟ ، قال : لا بالكوفة ولا بالبصرة ولا بالمدينة ولا بمكة ، قال : وكان إذا تكلّم يسجع .

وفي مشافهة علي بن عمر[٦] إياي بإجازاته لي ، عن عثمان بن أحمد ابن السماك[٧] عن حنبل[٨] ، عن محمد بن داود[٩] ، عن عيسى بن يونس ، عن الأعمش[١٠] قال :

رأيتُ على إبراهيم خفتاناً[١١] وقباءً أعور[١٢] ، كأنه نبطيٌ قدم من الرستاق

(١) إبراهيم بن سليمان ، ت ٢٧٢ هـ . شذرات الذهب ٢/١٦٢

(٢) ت ٢٢٨ هـ . شذرات الذهب ٢/٦٢

(٣) ت ١٧٢ هـ . شذرات الذهب ١/٢٨١

(٤) ت ١٣٠ هـ . شذرات الذهب ١/١٧٧

(٥) ت ١٠٤ هـ . شذرات الذهب ١/١٢٦

(٦) الدارقطني ، ت ٣٨٥ هـ . شذرات الذهب ٣/١١٦

(٧) ت ٣٤٤ هـ . شذرات الذهب ٢/٣٦٦

(٨) ابن إسحاق ، ت ٢٧٣ هـ . شذرات الذهب ٢/١٦٣

(٩) لعله ابن أبي ناجية ، ت ٢٥٠ هـ. وتهذيب التهذيب ٩/١٥٣

(١٠) ت ١٤٨ هـ .شذرات الذهب ١/٢٢٠

(١١) في الأصل : خفتان أ والظاهر أن الألف في الأخير متصل بالنون علامة لنصب الكلمة . ويراجع في خفتان: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ١٣٣

(١٢) الأعور : الرديء من كل شيء ؛ والعوار ــ بفتح العين وضمها ــ خرق أو شقّ في الثوب وقيل هو عيب فيه . اللسان (عور)

[٢٣/أ] ، قال : وذلك أن الحجاج كان يطلبه .

حدّثنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن سالم ، ثنا إسحاق بن أحمد ابن جعفر - هو القطّان - ثنا زياد بن أيوب[١] ، ثنا إسماعيل بن علـيّة[٢] ، عن ابن عون[٣] قال :

بشرتُ إبراهيم بموت الحجاج فبكى[٤] ، وما ظننتُ أحداً يبكي من الفرح . بَيَّنَ هذا أنّ موت إبراهيم كان بعد موت الحجاج ، وهو صحيح .

تواري مجاهد بن جبر أبي الحجاج[٥] وأبي عياض[٦] من الحجـاج

حدثنا أبو الطاهر السدوسي[٧] ، حدثني أبي[٨] ، حدّثني أيوب بن

(١) ت ٣٥٢ هـ . شذرات الذهب ٢/١٢٦

(٢) ت ١٩٣ هـ . شذرات الذهب ١/٣٣٣

(٣) ت ١٥١ هـ . شذرات الذهب ١/٢٣٠

(٤) الخبر في تذكرة الحفاظ ١/٧٤ ، ونصه هناك : « فسجد وبكى من الفرح ».

(٥) ت ١٠٣ هـ ، له ترجمة في طبقات ابن سعد ٥/٣٤٣ - ٣٤٤ ، وطبقات خليفة ٢/٧٠٢ ، وتذكرة الحفاظ ١/٩٢ ، وتهذيب التهذيب ١٠/٤٢ - ٤٤

(٦) عمرو بن الأسود ، المذكور في طبقات خليفة ٢/٧٠١ ، والمترجم في تهذيب التهذيب ٨/٤ - ٦ و ١٢/١٩٤ - ١٩٦

(٧) محمد بن أحمد ، ت ٣٦٧ هـ . تاريخ بغداد ١/٣١٤

(٨) أحمد بن عبد الله ، ت ٣٢٢ هـ . تاريخ بغداد ٤/٢٢٩

الوليد[١] ، نا يحيى بن السكن[٢] ، أنبا شعبة[٣] ، ثنا الحكم[٤] قال :

كان مجاهد وأبو عياض متواريين من الحجاج ، فلمّا كان يوم الفطر أمّهم[٥] أبو عياض .

تواري سليمان بن مهران ، أبي محمد ، الأعمش[٦] من الحجـــاج

حدثنا محمد بن أحمد بن جابر ، ثنا إسحاق بن أحمد بن جعفر ، ثنا أبو سعيد الأشجّ ، ثنا ابن فضيل[٧] ، عن الأعمش قال :

كنّا نختبىء أيام الحجاج في الآجـــام ، وكنتُ في أجمة كثيرة الطير ، وكنت افرّج القصب وآخذ الصيد فأذبحه بالقصب ، فسألتُ إبراهيم[٨] والشعبي[٩] عن ذلك فقالا : لا يضرك بأي شيء ذبحتَ إذا ذكّيت .

(١) ت ٢٦٠ هـ . تاريخ بغداد ١١/٧

(٢) ت ٢٠٢ هـ . تاريخ بغداد ١٤٦/١٤

(٣) ت ١٦٠ هـ . شذرات الذهب ٢٤٧/١

(٤) ت ١١٥ هـ . شذرات الذهب ١٥١/١

(٥) كذا ورد بضمير الجمع في الأصل

(٦) ت ١٤٨ هـ . له ترجمة في تاريخ بغداد ٣/٩ — ١٣ ، ووفيات الأعيان ١٣٦/٢ — ١٣٨ وتذكرة الحفاظ ١٥٤/١ ، وشذرات الذهب ٢٢٠/١ — ٢٢١

(٧) محمد . ت ١٩٥ هـ . شذرات الذهب ٣٤٤/١

(٨) النخعي ، المارّ الذكر .

(٩) عامر بن شراحيل ت ١٠٤ هـ . شذرات الذهب ١٢٦/١

تواري سعيد بن جبير[١] من الحجاج وفراره منه إلى أنْ ظفر به

حدّثنا أبو علي الوسي[٢]، ثنا أحمد بن عبد الله بن شابور[٣]، ثنا واصل وهو ابن عبد الأعلى[٤]، ثنا أبو بكر بن عياش[٥]، عن أبي حصين[٦] قال:

أتيتُ سعيد بن جبير بمكة فقلتُ إنّ هذا الرجل قادم - يعني خالد ابن عبد الله[٧] - ولِمَ يقدم، ولا آمنه عليك، فأطعني واخرج، قال: واللهِ لقد فررتُ حتى [٢٣/ب] استحييتُ من الله عزّ وجل، فقلتُ: واللهِ إني لأراك كما سمّتْكَ أمُّك[٨].

قال أبو بكر بن عيّاش: وأخبرني يزيد أبو عبد الله[٩] قال:

(١) ت ٩٥ هـ. وله ترجمة في وفيات الأعيان ١١٢/٢ – ١١٦، وتذكرة الحفاظ ٧٦/١، وتهذيب التهذيب ١١/٤ – ١٤، وشذرات الذهب ١٠٨/١ – ١١٠

(٢) الكلمة في الأصل مطموسة لم نهتد إلى الصواب فيها.

(٣) ت ٣١٣ هـ. شذرات الذهب ٢٦٦/٢

(٤) ت ٢٤٤ هـ. تهذيب التهذيب ١٠٤/١١

(٥) ت ١٩٣ هـ. شذرات الذهب ٣٣٤/١

(٦) عثمان بن عاصم، ت ١٢٨ هـ. شذرات الذهب ١٧٥/١

(٧) القسري، والي مكة، ت ١٢٦ هـ. شذرات الذهب ١٦٩/١

(٨) الخبر – مروياً عن حصين أيضاً وبتفصيل أكثر – في الطبري ٤٨٨/٦

(٩) ابن أبي زياد، ت ١٣٧ هـ. تهذيب التهذيب ٣٣٠/١١

أتينا سعيد بن جبير حين جيء به ، فإذا هو طيب النفس وبُنَيَّة له في حجره ، فنظرتْ إلى القيد فبكتْ ، قال : فشيّعناه إلى باب الحبس[١] ، قال له الحرس : أعطنا كفيلاً[٢] فإنّا نخاف أنْ تغرق نفسك ، قال يزيد : فكنتُ فيمن كفل به[٣] .

قال أبو بكر : قال سليمان[٣] : قال بعض أصحابنا قال : قال الحجاج حين قتل سعيد بن جبير :

إئتوني بسيف رغيب[٤] - يعني عريضاً - اضربوا قُصاص[٥] المنكبين، قال : ثم ركب ساعةَ ضَرْبِ عنقه . فمرّ به رجل من قريش ، فطرح عليه جِذْمَ حائط ، يعني سعيد بن جبير .

حدّثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن الورد ، ثنا يحيى بن أيوب[٦] وعبد الرحمن بن معاوية العتبي[٧] قالا : ثنا عمرو بن خالد[٨] قال : سمعتُ

---

(١) في رواية الطبري ٤٨٩/٦ إلى الجسر ، وهو الذي ينسجم مع خوف إغراق نفسه .

(٢) في الأصل : « كفلا »،وما أثبتناه من الطبري .

(٣) ابن فيروز، ت ١٣٨ هـ . شذرات الذهب ٢٠٧/١

(٤) والنص نفسه في لسان العرب (رغب) منسوبا للحجاج لمّا أراد قتل سعيد بن جبير .

(٥) قصاص كتفيه : منتهاهما حيث التقيا . أساس البلاغة (قصص)

(٦) ت ٢٨٩ هـ . شذرات الذهب ٢٠٢/٢

(٧) المذكور في المشتبه ٤٤٣

(٨) ت ٢٢٩ هـ . تهذيب التهذيب ٢٦/٨

عتاب بن بشير[١] ، عن سالم الأفطس[٢] قال :

أتى سعيد بن جبير إلى الحجاج وفي رجله قيود ، فلمّا دخل عليه أمر بضرب عنقه ، فما قام الحجاج من مجلسه حتى خلط وجعل يقول : قيودنا قيودنا[٣] .

حدّثنا أبو الطاهر ، ثنا إبراهيم قال[٤] :

قيل لسعيد بن جبير : [ما تقول في][٥] مايقول الحسن : إذا أخذ الحجاج الرجل فيقول له اكفرْ ، فرخَّص له أنْ يقول ذاك ؟ فقال سعيد ابن جبير : يرحم الله الحسن ، لاتقية في الإسلام .

حدّثنا الحسن بن رشيق[٦] ، ثنا علي بن سعيد[٧] ، ثنا ابن أبي عمر[٨] ثنا سفيان[٩] ، عن سالم بن أبي [٢٤/أ] حفصة[١٠] قال :

(١) ت ٢٨٨ هـ . شذرات الذهب ٣٢٠/١

(٢) ت ١٣٢ هـ . شذرات الذهب ١٨٩/١

(٣) الخبر – مروياً عن عتاب عن سالم مع بعض الاختلاف ـ في الطبري ٤٩٠/٦

(٤) هكذا ورد السند في الأصل ، وربما كان فيه سقط .

(٥) زيادة يستدعيها السياق .

(٦) ت ٣٧٠ هـ . شذرات الذهب ٧١/٣

(٧) ت ٢٩٩ هـ . لسان الميزان ٢٣١/٤

(٨) محمد بن يحي ، ت ٢٤٣ هـ . شذرات الذهب ١٠٤/٢

(٩) ابن عيينة ، ت ١٩٨ هـ . شذرات الذهب ٣٥٤/١

(١٠) ت حوالي ١٤٠ هـ . تهذيب التهذيب ٤٣٤/٣

لما دخل سعيد بن جبير على الحجاج قال له : ما اسمك ؟ قال : سعيد ابن جبير ، قال : شقي بن كسير ، قال سعيد : إني أعوذ منك بما عاذتْ به مريم بنت عمران بالرحمن إن كنتَ تقياً ، قال : لأقتلنَّك ! ، قال : أنا إذن كما سمَّتْني أمي . فلما ذهب به للقتل قال : دعوني أصلي ركعتين ! قال الحجاج : وجهوه لقبلة النصارى ، فلما وُجّه قال : فأينما تولّوا فثمَّ وجه الله[١] .

قال محمد بن عمر الواقدي[٢] :

في سنة أربع وتسعين كتب الحجاج بن يوسف إلى خالد بن عبد الله : أن ابعث إلي سعيد بن جبير وطلق بن حبيب[٣] ، فبعث بهما إليه[٤] .

هذا في الكتاب الذي أعلمني علي بن عمر أنه سمعه من محمد بن عبد الله المستعيني[٥] عن العباس بن عبد الباكسائي[٦] ، عن محمد بن محمد بن عمر الواقدي[٧] ، عن أبيه ، عن عمر بن سعيد بن أبي حسين[٨] ، عن ابن أبي مليكة[٩] .

---

(١) الخبر بالتفصيل في وفيات الأعيان ٢/١١٤ – ١١٥

(٢) ت ٢٠٧ هـ . شذرات الذهب ٢/١٨

(٣) ت قبل ١٠٠ هـ . تهذيب التهذيب ٥/٣١ – ٣٢

(٤) يراجع في هذا الخبر تاريخ الطبري ٦/٤٨٨

(٥) ت ٣٢٥ هـ . اللباب ٣/١٣٦

(٦) ت ٢٦٧ هـ . تهذيب التهذيب ٥/١٢٠

(٧) المترجم في تاريخ بغداد ٣/١٩٦

(٨) في الأصل « عمر بن سعيد بن جبير » . وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه ، ويراجع تهذيب التهذيب ٧/٤٥٣

(٩) عبد الله ت ١١٧ هـ . شذرات الذهب ١/١٥٣

قال : وحدثني ابن [أبي] سبرة[١] ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم[٢] قال :

رأيت سعيد بن جبير وطلق بن حبيب يطوفان بالبيت في كبول حين خرج بهما إلى الحجاج .

وقال : ثنا عبد الله بن جعفر[٣] ، عن زكريا بن عمرو قال :

أخذ خالد[٤] سعيد بن جبير فقال : أنتَ ممّن يطلب أمير المؤمنين وأنتَ مقيم في جواري ؟ ! ، فبعث به إلى الحجاج .

حدّثنا أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن محمد بن أحمد بن خلاد التميمي الجوهري القاضي ابن بنت نعيم بن حماد ، ثنا محمد بن زبان[٥] ، ثنا سلمة بن شبيب[٦] ، ثنا عبد الرزاق[٧] ، أنبا معمر[٨] ، أخبرني الزهري[٩] قال[١٠] :

(١) أبو بكر ت ١٦٢ هـ . شذرات الذهب ٢٥٦/١ ، والزيادة على الأصل منه .

(٢) ت ١٣٢ هـ . شذرات الذهب ١٨٩/١

(٣) لعله المخرمي المتوفى ١٧٠ هـ أو المديني المتوفى ١٧٨ هـ . تهذيب التهذيب ١٧٢/٥ و١٧٥

(٤) في الأصل جلد ، والصواب ما أثبتناه .

(٥) ت ٣١٧ هـ . شذرات الذهب ٢٧٦/٢

(٦) ت ٢٤٧ هـ . تهذيب التهذيب ١٤٧/٤

(٧) ابن همام ت ٢١١ هـ . تهذيب التهذيب ٣١٤/٦

(٨) ابن راشد ت ١٥٣ هـ . تهذيب التهذيب ٢٤٥/١٠

(٩) محمد بن عبد الله ، ت ١٢٤ هـ . شذرات الذهب ١٦٢/١

(١٠) تكررت كلمة « قال » في الأصل مرتين .

حججتُ مع عمر بن عبد العزيز - وحجّ بالناس في خلافة الوليد - ، فلمّا كنّا بمنى أتاني [٢٤/ب] سعيد بن جبير ليلاً وهو متوارٍ من الحجاج ، قال : فقال لي : أتخاف عليّ صاحبك هذا ؟ قال : قلتُ لا ولن آمن .

حدّثنا أبو أحمد السعدي[١] ، ثنا جعفر بن أحمد العبدي[٢] ، ثنا إسحاق ابن أبي اسرائيل[٣] قالا[٤] : ثنا هشيم[٥] ، عن أبي بشر[٦] قال :

قال لي سعيد بن جبير : إنّ الحجاج قاتلي ، قال : قلتُ : ولِمَ ذاك ؟ قال : رؤيا رأيتُها .

حدّثنا هشام بن [أبي] خليفة محمد بن قرة الرعيني[٨] ، ثنا أبو جعفر أحمد بن سلامة ، ثنا محمد بن جعفر بن [محمد] بن حفص[٨] قال : سمعتُ الرمادي[٩] يقول : سمعتُ مسدداً[١٠] يقول سمعتُ يحيى القطان[١١]

(١) لعله ابن الناصح المتوفى بمصر ٣٦٥ ه أو الحاكم المتوفى ٣٧٨ ه أو السامري المتوفى ٣٨٦ ه . شذرات الذهب ٣/٥١ و ٩٣ و ١١٩

(٢) لعله الغافقي المصري المتوفى ٣٠٤ ه .لسان الميزان ٢/١٠٨

(٣) ت ٢٤٠ ه . تهذيب التهذيب ١/٢٢٤

(٤) كذا في الأصل ، والتثنية لاوجه لها إلا إذا كان هناك سقط

(٥) ابن بشير ، ١٣٨ ت ه . تهذيب التهذيب ١١/٦٢

(٦) جعفر بن إياس ت ١٢٣ ه . تهذيب التهذيب ٢/٨٤

(٧) مر ذكره ، والزيادة من الأنساب ٤/٧٤ ، والمشتبه ٢٢٠

(٨) ت ٣٠٠ ه . تاريخ بغداد ٢/١٣١

(٩) أحمد بن منصور ، ت ٢٦٥ ه . شذرات الذهب ٢/١٤٩

(١٠) ابن مسرهد ، ت ٢٢٨ ه . شذرات الذهب ٢/٦٦

(١١) ت ١٩٨ ه . شذرات الذهب ١/٣٥٥

يقول : سمعتُ سفيان الثوري[١] ذكر سعيد بن جبير فقال :

ما أعدلُ به من التابعين أحداً ، مازال على بصيرةٍ من أمره حتى قُتِل ، ما أشبِّهُه إلا بعمّار .

حدّثنا هشام ، ثنا أبو جعفر ، ثنا روح بن الفرج[٢] ، ثنا عبد الله ابن محمد الفهمي[٣] ، ثنا عبد الرحمن بن القاسم[٤] ، عن مالك بن أنس[٥] قال .

أخرج الحجاج سعيد بن جبير وطلْق بن حبيب من الكعبة فذبحها ذبحاً[٦] .

حدّثنا الحسن بن رشيق ، ثنا أبو بشر الدولابي[٧] ، ثنا إبراهيم ابن يعقوب الجوزجاني[٨] ثنا الحسن بن واقع[٩] ، ثنا ضمرة[١٠] ، عن ابن

---

(١) ت ١٦١ هـ . شذرات الذهب : ٢٥٠/١

(٢) ت ٢٨٢ هـ . تهذيب التهذيب : ٢٩٧/٣

(٣) لعله عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن فهم ، المترجم في تاريخ بغداد : ٨٦/١٠

(٤) ت ١٩١ هـ . تهذيب التهذيب : ٢٥٣/٦

(٥) ت ١٧٩ هـ . شذرات الذهب : ٢٨٩/١

(٦) وفي رواية الطبري : ٤٨٨/٦ : أن طلقاً قد مات في الطريق .

(٧) محمد بن أحمد ، ت ٣٢٠ هـ . اللباب : ٤٣١/١

(٨) ت ٢٥٩ هـ . شذرات الذهب : ١٣٩/٢

(٩) ت ٢٢٠ هـ . تهذيب التهذيب : ٣٢٤/٢ . وفي الأصل : نافع ، والصواب ماأثبتناه .

(١٠) ابن ربيعة ، ت ٢٠٢ هـ . تهذيب التهذيب : ٤٦١/٤

شوذب[١] قـال :

أعْظَمَ الناسُ أخْذَ سعيد بن جبير بمكة ، وكان القسري أخذه فصعد المنبر وهو جانب الكعبة فقال : لو أنَّ أمير المؤمنين كتب اليَّ أن انقض هذا حجراً حجراً - ووضع يده على الكعبة - لنقضتُه حتى أدعه غديراً ترده الإبل .

حدَّثنا الحسن ، ثنا أبو بشر ، ثنا إبراهيم بن يعقوب ، حدَّثني إبراهيم بن موسى[٢] ، ثنا عيسى بن يونس ، ثنا أبي[٣] ، قال : سمعتُ شمر بن عطية[٤] يقول :

لمَّا ثقل الحجاج جعل يقول [٢٥/أ] : مالي ولسعيد بن جبير[٥].

حدَّثنا أبو أحمد السمدي ، ثنا محمد بن جعفر بن أعين[٦] ، ثنا ابن أيوب المقابري[٧] ، ثنا خلف بن خليفة[٨] ، ثنا رجل من الحرس - يعني حرس الحجاج - :

---

(١) عبد الله ، ت ١٥٦ هـ . شذرات الذهب : ٢٤٠/١

(٢) ت بعد ٢٢٠ هـ . تهذيب التهذيب ١٧١/١

(٣) يونس بن إسحاق ، ت ١٥٩ هـ . شذرات الذهب ٢٤٧/١

(٤) المترجم في تهذيب التهذيب ٣٦٤/٤

(٥) الخبرفي الطبري ٩١/٦ ؛

(٦) ت ٢٩٣ هـ . تاريـخ بغداد ١٢٩/٢

(٧) يحيى ، ت ٢٣٣ هـ . شذرات الذهب ٧٩/٢

(٨) ت ١٨١ هـ . شذرات الذهب ٢٩٥/١

أنْ سعيد بن جبير لمّا سقط رأسه إلى الأرض قال : لاإله إلا الله ، ثلاث مرات ، قال مرّتين كلاماً بيّناً ، وقال الثالثة بلسانٍ منكسر[١] .

تواري عمران بن حطان السدوسي[٢]

من الحجاج بن يوسف

سألتُ أبا الحسن الخطابي عن خبره ، وكانتْ تمسّه منه ولادة من قبل بناته ، فكتبه لي بخطه ، وقال فيه :

ذكر بعضُ أهله أنه لما اشتدّ طلبُ الحجاج لعمران ، وأخاف قومه وراعهم بسببه ، فاختلفوا عليه وذكروا له خوف عبد الملك وعمّاله والحجاج وغيره[٣] ، فارق قومه وتنقّل من حيٍّ إلى حيٍّ ، إلى أنْ نزل برَوْح بن زِنباع الجُذامي[٤] ، فبينا رَوْح ذات ليلة في سمر عبد الملك إذْ قال عبد الملك : هل تدرون مَنْ يقول هذا البيت وفيمن قيل :

أكرِمْ بقومٍ بطونُ الطير أقبرهم   لم يخلطوا دينهم بغياً وعدوانا

(١) الخبر — مروياً عن خلف بن خليفة — في الطبري ٤٨٩/٦ ونصه فيه : « مرة يفصح بها وفي الثنتين يقول مثل ذلك فلا يفصح بها » .

(٢) ت ٨٤ هـ . وله ترجمة في الأغاني ١٠٩/١٨ — ١٢٠ ، والمؤتلف والمختلف ٩١ ، وتهذيب التهذيب ١٢٧/٨ — ١٢٨ ، وخزانة الأدب ٤٣٦/٢ — ٤٤١

(٣) في الأصل : « وعيره » . ولعل صواب الجملة ، عبد الملك وأعماله والحجاج وغيرَهُ .

(٤) ت ٨٤ هـ . شذرات الذهب ٩٥/١

هل تدرون مَنْ قاله ؟ وهل أحد منكم يزيدنا عليه أبياتاً ؟ فقالوا : لا ، قال : فمن أتاني بعلم ذلك فله عندي ماسأل بعد(١) ، ألاّ يشطط ، فخرج روح حتى أتى منزله فقال لعمران(٢) : ياعبد الله ! هل تدري مَنْ يقول هذا الشعر ؟ وأعاده ، فقال : عمران بن حطان ، وأنشد القصيدة بطولها، فلما غدا رَوْح على عبد الملك أنشده [٢٥/ب] الشعرَ الذي أنشده عمران، فقال له عبد الملك : من أين أصبتَ هذا الشعر ؟ فقال : من ضيفٍ لي مارأيتُ أحفَظَ منه بشيء قط ، مارويتُ له شيئاً إلاّ وسابقني إليه وزادني منه مالا أعرفه ، ورأيتُ نعته ونمته(٣) ، ورأيتُ رجلاً عابداً كثير الصلاة ، واني لأظنه من الحرورية أهل العراق . قال عبد الملك : ياغلام ائتني بطومار الحجاج ، فأتى به ، فإذا رقعة ، فقرأ حليته فإذا حلية عمران، فقال عبد الملك : فانطلقْ فاتني بضيفك وأعلمه أنه آمن ليحدّثني مجلساً واحداً فلمّا رجع روح إلى منزله قال له : أيها الشيخ ! إنّ أمير المؤمنين استزارك فَنَزُرْه ، فقال : مالي وللأمير ؟ قال : إنه قد أحبّ ذاك ، قال : فَخُذْ لي كتاب أمانٍ بخط يده أسكن إليه ، قال : نعم ، ثم أتى روح عبد الملك فقال : يا [أ] مير المؤمنين ! إنه قد أحبّ أن يكون معه كتاب أمانٍ بخط يدك وخاتمك ، قال عبد الملك : هذه بعض خدع أهل العراق، ذهبَ الرجل وتركك ، أما أنـّي أراك سترجع ولا تجده .

فانصرف روح إلى منزله ، وقد خرج عمران وخلـّف في منزله رقعة فيها أبيات شعر ، وهي :

(١) كذا في الأصل .

(٢) في الأصل « عمران » ، والسياق يستدعي إضافة اللام .

(٣) كذا في الأصل .

يارَوْح كم من أخي مثوًى نزلتُ به قد ظنَّ ظنَّك من لخم وغسانِ
حتي إذا خفته زايلتُ منزلـــه من بعد ماقيل : عمران بن حطّانِ
قد كنتُ ضيفَك حيناً لايؤرقني فيه طوارقُ من إنس ومن جانِ
حتى أردتَ بيَ العظمى فأوحشني مايوحش الناس منجور ابن مروانِ
[٢٦/أ]فاعذرأخاك ابن زنباعٍ ـ فإنَّ له في الحادثات هناتٍ ذات ألوانِ
يوماً يمانٍ إذا لاقيتُ ذا يمنٍ وإنْ لقيتُ معـدّيّـاً فعدناني
لو كنتُ مستغفراً يوماً لطاغيـــةٍ كنتُ المقدَّمَ في سري وإعلاني
لكن أبتْ ليَ آياتٌ مطهرة[١] عند الولاية[٢] في طه وعمرانِ[٣]

وسار حتى أتى زفر بن الحارث الكلابي فأقام عنده زماناً وهو ينتسب إلى الأوزاع ـ حيٍّ من اليمن ـ ، وهم أخوال زفر ، وقدم رجل ممَّن كان في ضيافة روح إلى زفر ، فلما رأى عمران عرفه ، فقال له زفر : أتعرف هذا الرجل ؟ قال : نعم ، قال : وأين عرفته ؟ قال : عند روح ابن زنباع ، قـــال زفر : فمِمَّنْ هو ؟ قال رجل من أزد شنوءة ، قال : فإنه قد زعم أنه من الأوزاع . قال : ونظر اليه زفر متعجباً فقال: أزديٌّ مرة وأوزاعي مرة ! لو صدقتنا عن خبرك ! أَخْبِرْنا ممَّن أنت ؟ فإنْ كنتَ خائفاً آمنّاك وإنْ كنتَ طريداً آويناك ، قال : فنظر إليه عمران فضحك فقال : إن الله عزَّ وجل هو المؤوي الساتر . وأولعَ

(١) في الأصل : « مقطعة » . وماأثبتناه من الكامل والأغاني والخزانة .
(٢) في الأصل : « عنك الولاه » ، وما أثبتناه من الكامل والخزانة .
(٣) الأبيات وقصتها ـــ مع بعض الاختلاف ـــ في الكامل ٣/١٦٩ ، والأغاني ١٨/ ١١٠ ، والخزانة ٢/٤٣٨

به فتيان زفر وشبابٌ من بني عامر ، وكان كثير الصلاة ، وكان إذا صلّى يهزأون[١] ويقولون : أخْبِرْنا يرحمك الله[٢] ، فلما أكثروا عليه ارتحل عنهم وقال :

إنَّ التي أصبحتْ يعيا[٣] بها زفرٌ أعيا عَياها على روح بن زنباعِ
مازال يسألني حولاً لأخبره والناس ما بين مخدوع وخدّاعِ
حتى إذا انجذمتْ منّي حبائله كفَّ السؤالَ ولم يولع بإهلاع
فاكففْ كما كفَّ رَوْحٌ إنني رجل إمّا صريحٌ وإما فقعة القاعِ[٤]
واكففْ لسانك عن شتمي ومنقصتي ماذا تريد إلى شيخٍ لأوزاع[٥]
[٢٦/ب] أكرِمْ بروح بن زنباع وأسرته حيّاً إذا مادعاهم للهدى داعِ
جاورتُهم سنةً فيما ذعرتُ[٦] به عرضي صحيحٌ ونومي غير تهْجاعِ
أمّا الصلاة فإني لستُ تاركَها كل امرىءٍ بالذي يُعنى به ساعِ
إعملْ فإنّك معنيّ[٧] بحادثة حسب اللبيب بهذا الشيب من داعِ[٨]

---

(١) في الأصل ، « يهزلون » ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٢) كذا في الأصل ، والجملة لاتخلو من تشويش أو سقط .

(٣) في الكامل والأغاني والخزانة « يعيا » .

(٤) في الأصل : « إما صريح وإما نقعة العاع » وما أثبتناه من الأغاني ، ويقال لمن لا أصل له : فقعة القاع .

(٥) في الأصل : « لأوزاعي » ،

(٦) في الأصل : « دعرت » ، وفي الأغاني : « دعوت » .

(٧) في الكامل والأغاني والخزانة : « منعي » .

(٨) في الكامل والأغاني والخزانة : « من ناعي » . وقد وردت الأبيات وقصتها — مع بعض الاختلاف — في الكامل ٣/١٧١ — ١٧٢ ، والأغاني ١٨/١١٣ ، والخزانة ٢/٤٣٩

ثم خرج فنزل بالسراة بحيّ من الأزد يرونَ رأيه ، فسرّه ما رأى عندهم وقال :

نزلتُ بحمد الله في خير أسرةٍ أُسَرُّ بما فيهم من الانس والخَفَر(١)

نزلتُ بحيٍّ يجمع الله شملهم فليس لهم عود سوى الحق يُعتَصَرْ

من الأزد ، إنّ الأزد أكرمُ أسرةٍ يمانيةً يوماً إذا انتسب البشرْ

فأصبحتُ فيهم آمناً لا كمعشرٍ عَدَوْالي(٢) فقالوا: من ربيعة أو مضر

أو الحي قحطانٍ ، وتلك سفاهةٌ كما سالني(٣) رَوْحٌ وصاحبه زُفَرْ

ونحن بنو الإسلام والدين واحدٌ وأَوْلى عباد الله بالله مَنْ شَكَرْ

وما منهمُ(٤) إلاّ يُسَرُّ بنسبةٍ تقرّ بني منه وإنْ كان ذا نَفَرْ

وهذا ما كان من خبره.

حدّثنا أبو الطاهر السدوسي قاضي مصر ، أخبرني محمد بن الحسن بن

---

(١) في الأصل : « اسربها من الخفر » وفي الوسط بياض ، وقد أثبتنا نص الأغاني .

(٢) كذا في الأصل ، ولها وجه من الصحة ، وربما كان المقصود « غدوالى » ورواية الأغاني : « بَدَوْني » ، والكامل الخزانة « أتوني » .

(٣) في الأغاني والخزانة : « كما قال لي » .

(٤) في الأصل : « وحامسهم » ، و في الكامل : « ومامنها » .

(٥) الأبيات وسبب نظمها ــ عدا الأخير ــ في الأغاني ١٨/١١٤ وبأجمعها في الكامل ٣/١٧٢ ، والخزانة ٢/٤٣٩

دريد[١] ، ثنا أبو حاتم[٢] ، عن أبي عبيدة[٣] قال :

أطرد الحجاجُ عمرانَ بن حطان ـ وكان ببلاد بكر بن وائل بين الكوفة والبصرة يحرض ولا يشهد القتال ـ فقدم بريد من الشام من عند عبد الملك يريد الحجاج ، فصحبه عمران ببعض الطريق ، فرآه فصيحاً عالماً ، فأعجب البريدَ فقال له : إن لي ناحيةً من الأمير أفلكَ حاجة أكفيكها وأقوم لك بها ؟ قال : نعم ! تبلغه هذا الكتاب ، وأعطاه كتاباً . فلمّا صار إلى الحجاج وقضى حوائجه أخبره خبر الرجل ؛ وقد حملني كتاباً [٢٧/أ] فإذا فيه :

أسدٌ عَلَيّ وفي الحروب[٤] نعامة ... فتخاء تفزع من صفير الصافرِ
هلاّ برزتَ إلى غزالة في الوغى ... بل كان قلبك في جوانح طائرِ
ذعرتْ غزالةُ قلبَه بفوارسٍ ... تركتْ فوارسَه كأمسِ الغابرِ[٥]

فقال له الحجاج : أتدري مَن هو ؟ قال : لا ولكنّي أعجبني مارأيتُ من طُرَفهِ[٦] ، قال ذاك عمران بن حطان .

---

(١) ت ٣٢١ هـ . شذرات الذهب ٢/٢٨٩

(٢) هو سهل السجستاني المار الذكر .

(٣) معمر بن المثنى ، ت ٢١٠ هـ . شذرات الذهب ٢/٢٤

(٤) في الأصل : الحروف .

(٥) الأبيات — مع بعض الاختلاف — في الأغاني ١١٦/١٨

(٦) كذا في الأصل ، ولها معنى مقبول ، وربما كان المقصود « ظرفه » .

هرب عون بن عبد الله[1] من الحجاج

ذكر محمود بن محمد الأديب في تاريخه (٢) : أن هلال بن العلاء (٣) حدّثهم ، ثنا سعيد بن سلم بن قتيبة (٤) قال :

خرج عون بن عبد الله مع ابن الأشعث (٥) ، فطلبه الحجاج ، فهرب إلى محمد بن مروان (٦) بالجزيرة ، فأجاره وضمّ إليه ابنه يزيد ابن محمد يؤدبه ، وسأله عنه بعد حين فقال : إن أتيته (٧) حجب وإن

---

(١) عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، ت ١١٠ هـ . له ترجمة في تهذيب التهذيب ٨/١٧١ — ١٧٣ ، وشذرات الذهب ١/١٤٠ ، ووردت شذرات من أخباره في البيان والتبيين ١/٢٣٣ و ٢٦١

(٢) لم نعرف هذا التاريخ ولا مؤلفه ، وتاريخ الرقة المعروف إنما هو تأليف أبي علي محمد بن سعيد القشيري الحراني ؛ الراوي عن هلال بن العلاء أيضاً . انظر تذكرة الحفاظ ٣/٨٤٦ ، وشذرات الذهب ، ٢/٣٧٧ ، وكشف الظنون ١/٢٩٥ . أما تاريخ الجزيرة فقد صنف فيه علي بن علان الحراني المتوفى ٣٥٥ هـ والحسن بن محمد الحراني المتوفى ٣١٨ هـ وغيرهما ممن لم نعرف اسمه ، ويراجع معجم البلدان ٣/٢٤٣

(٣) ت ٢٨٠ هـ . تهذيب التهذيب ١١/٨٤

(٤) ت ٢١٧ هـ . تاريخ خليفة ٢/٧٨٠

(٥) في الأصل : « أبي الأشعث » ، والصواب ماأثبتناه ويعني به عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث ، الثائر ، قتل ٨٤ هـ . شذرات الذهب ١/٩٤

(٦) أمير الجزيرة ، ت ١٠١ هـ . شذرات الذهب ١/١٢١

(٧) في الأصل : « ابنته » ، والتصويب من البيان والتبيين ١/٢٦١

بعدْتَ عنه عتب، وإن عاتبته غضب، وإن جاوبته صخب. ثم ولاه نصيبين، وتزوج بها امرأة، ثم قدم عليه فسأله: كيف نصيبين؟ قال: قليلة الأقارب كثيرة المقارب (١).

هرب بني العباس من بني أمية
قبل مصير الأمر اليهم

في كتاب محمود بن محمد الأديب الذي صنَّفه في تاريخ أهل الجزيرة: أنّ أبا وهب عبيد اللهَ بن المثنى بن عبيد الله بن عمرو (٢) حدَّثه عن أبيه عن جده قال:

أقبل أبو العباس (٣) وأبو جعفر (٤) وعمرومهما (٥) من الحُمَيْمَة يريدون الكوفة فنزلوا بدير القائم غربي الرقة خوفاً من زائدة بن أبي يحي مولى الوليد وهو يومـ [ـئذٍ] يخلف عثمان بن سفيان بن حرب العامري [٢٧/أ] على الرقة، وكان متشدداً على الهاشميين وشيعتهم، فعلم بهم جماعة من أهل الرقة، قال: فدفعوا إليَّ صلة وسألوني أن أؤديها إليهم وأعتذر لهم في

(١) النص في البيان والتبيين ١/٢٣٣

(٢) عبيد الله بن عمرو بن أبي الوليد، مفتي الجزيرة، ت ١٨٠ هـ. تذكرة الحفاظ ١/٢٤١

(٣) السفاح، الخليفة، ت ١٣٦ هـ. شذرات الذهب ١/١٩٥

(٤) المنصور، الخليفة، ت ١٥٨ هـ. شذرات الذهب ١/٢٤٤

(٥) كذا في الأصل، ولم أهتد لقراءتها، ولعلها « هروبهما » أو « مسيرهما » أو « ومواليها »

التخلف من تشدُّد[١] زائدة وكثرة أنصاره بالرقة وانحرافهم عن بني هاشم، ففعلت ، وحذّرتهم أن يعلم بهم أحـد ، وعرّفتهم أنّ الحزم في سرعة رحيلهم ، فسمعتُ أبا جعفر يقول لأبي العباس : إن أفضى الأمر إلينا لم ننتفع بالجزيرة أو نبني إلى جانب الرقة مدينة وأوما إلى موضع الرافقة. فلما استخلف أبو جعفر بناها سنة خمس وخمسين ومائة[٢] .

آخره : والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله .

(١) في الأصل : « متشدد » ، ولعل الصواب ماأثبتناه .

(٢) معجم البلدان ٤/٢٠٨

فهرست المراجـــع

١ ـ أساس البلاغة : للزمخشري   القاهرة ١٣٧٢ هـ

٢ ـ الأغاني : للأصبهاني ، جـ ١٨   القاهرة ١٣٩٠ هـ

٣ ـ الإكمال : لابن ماكولا   الهند ١٣٨١ هـ

٤ ـ أمالي المرتضى   القاهرة ١٣٧٣ هـ

٥ ـ الأنساب : للسمعاني   الهند ١٣٨٥ هـ

٦ ـ البداية والنهاية : لابن كثير الدمشقي   القاهرة ١٣٥١ هـ

٧ ـ البيان والتبيين : للجاحظ   القاهرة ١٣٥١ هـ

٨ ـ تاريخ خليفة   دمشق ١٩٦٨ م

٩ ـ تاريخ الطبري   القاهرة ١٩٦٢ م

١٠ ـ تاريخ الأدب العربي : لبروكلمان ـ الترجمة العربية ـ القاهرة ١٩٦١ م

١١ ـ تاريخ بغداد : للخطيب البغدادي   بيروت طبعة مصورة

١٢ ـ تاريخ التراث العربي : لسزكين ـ الترجمة العربية ـ القاهرة ١٩٧١ م

١٣ ـ تذكرة الحفاظ : للذهبي   بيروت طبعة مصورة

١٤ ـ التصحيف والتحريف : للعسكري   القاهرة ١٣٨٣ هـ

١٥ ـ تهذيب التهذيب : لابن حجر   بيروت طبعة مصورة

١٦ ـ خزانة الأدب : للبغدادي   بيروت طبعة مصورة

١٧ ـ شذرات الذهب : لابن العماد الحنبلي   القاهرة ١٣٥٠ هـ

١٨ ـ طبقات ابن سعد   ليدن ١٣٢١ هـ

١٩ ـ طبقات خليفة   دمشق ١٩٦٧ م

٢٠ ـ طبقات النحويين : للزبيدي — القاهرة ١٣٧٣ هـ

٢١ ـ فوات الوفيات : لابن شاكر الكتبي — القاهرة ١٩٥١ م

٢٢ ـ فهرس مخطوطات الظاهرية ـ قسم التاريخ ـ : ليوسف العش — دمشق ١٣٦٦ هـ

٢٣ ـ الكامل : للمبرد — القاهرة (دار نهضة مصر)

٢٤ ـ كشف الظنون : لحاجي خليفة — تركية ١٣٦٠ هـ

٢٥ ـ اللباب : لابن الأثير — القاهرة ١٣٥٧ هـ

٢٦ ـ لسان العرب : لابن منظور — بيروت ١٩٥٥ م

٢٧ ـ لسان الميزان : لابن حجر — بيروت طبعة مصورة

٢٨ ـ المؤتلف والمختلف : الآمدي — القاهرة ١٣٥٤ هـ

٢٩ ـ مرآة الجنان : لليافعي — بيروت طبعة مصورة

٣٠ ـ المشتبه : للذهبي — القاهرة ١٩٦٢ م

٣١ ـ المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب : لدوزي ـ الترجمة العربية — بغداد ١٣٩١ هـ

٣٢ ـ معجم البلدان : لياقوت — القاهرة ١٣٢٤ هـ

٣٣ ـ المنتظم : لابن الجوزي — الهند ١٣٥٨ هـ

٣٤ ـ الموفقيات : للزبير بن بكار — بغداد ١٩٧٢ م

٣٥ ـ النجوم الزاهرة : لابن تغري بردي — القاهرة طبعة مصورة

٣٦ ـ نور القبس : لليغموري — بيروت ١٩٦٤ م

٣٧ ـ الوافي بالوفيات : للصفدي — طهران طبعة مصورة

٣٨ ـ وفيات الأعيان : لابن خلكان — القاهرة ١٩٤٨ م

أشعار اللصوص وأخبارهم[1]

القسم الثالث

[١٠]

السَّمْهَرِيُّ بنُ بِشْرٍ العُكْلِيُّ

أخبـــاره وأشعاره

جمع وتحقيق

الأستاذ عبد المعين الملوحي

ترجمتـــه :

جاء في مختار الأغاني لابن منظور (ط . دمشق) ٦ : ٩٨ - ١٠٣:

هو السمهري بن بشر بن أويس[2] بن مالك بن الحارث بن أقيش العكلي ، ويكنى : أبا الديلم ، لقي هو وبهدل ومروان ابنا قرفة الطائيان ، وقرفة أمها ، وأبوهما حبان الطائي ، عونَ بن جعفر بن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ابن لأي بن غالب ، ومعه عدة من أعوانه ، خاله أحدُ بني حارثة بن

(١) نشر القسم الأول من هذا البحث في ج٢ م ٤٩ .

(٢) وورد أقيش

لأم من طيىء ، بالثعلبية صادراً ، وهو يريد الحج أو يريد المدينة ، فقالوا له : العُراضة (١) ، أي : مُر لنا بشيء ، فقال : يا غلام جفّن (٢) لهم ، فقالوا : لا والله ما الطعامَ نريد ، فقال : عرضهم (٣) ، فقالوا : ولا ذاك نريد ، وعلم أنهم لصوص ، فارتاب بهم ، وأخذ السيف فشدّ عليهم وهو صائم ، وكان بهدل لا يسقط له سهم ، فرمى عوناً فأقصده ، فلما قتلوه ندموا فهربوا ولم يأخذوا إبله ، فتفرقت فنجا خاله الطائي ، إما عرفوه وكفّوا عن قتله ، وإما هرب . ولم يُعرف القتلة ، فوجُد بعض إبله في يدي شافع بن واتر الأسدي . وبلغ عبد الملك بن مروان الخبرُ ، فكتب إلى الحجاج بن يوسف ، وهو عامله على العراق ، وإلى هشام بن إسماعيل ، وهو عامله على المدينة ، وإلى عامل اليمامة : أن يبالغوا في طلب قتلة عون ، وأن يجعلوا لمن دلّ عليهم جعالة (٤) ، وانشام (٥) السمهري في بلاد غطفان ما شاء الله .

سجنه :

ثم مرّ بنخل ، فقالت عجوز من بني فزارة : أظن والله هذا العكلي الذي قتل عوناً ، فوثبوا عليه فأخذوه ، ومرّ أيوب بن سلمة المخزومي بهم ، فقالت له بنو فزارة : هذا العكلي الذي قتل عوناً ابن عمك

(١) العراضة : الهدية يقدمها القادم من السفر .

(٢) جفن لهم : ضع لهم جفان الطعام .

(٣) أي أعطهم شيئاً

(٤) جعالة : مكافأة

(٥) انحاز ودخل .

فأخذه منهم ، فأتى به هشام بن إسماعيل المخزومي عاملَ عبد الملك على المدينة فجحد ولم يقرّ ، فحبسه .

هربه من السجن :

فألحوا على بهدل في الطلب ، وضيقوا على السمهري في القيود والسجن ، بالمدينة فأيقن السمهري أنه غير ناجٍ ، فجعل يلتمس الخروج من السجن ، فلما كان يوم جمعة ، والإمام يخطب ، وقد شغل الناس بالصلاة كسر إحدى حلقتي القيد ، ثم رمى بنفسه من فوق السجن ، والناس في صلاتهم ، فقصد الحرة ، فولج غاراً في الحرة ، وانصرف الإمام من الصلاة فخاف أهل المدينة عامتهم اتباعه . وغلقوا أبوابهم . وقال لهم الأمير : اتبعوه . فقالوا : وكيف نتبعه وحدنا ؟ فقال لهم : أنتم ألفا رجل ، فكيف تكونون وحدكم ؟!

فقالوا : أرسل معنا الأبليين ، وهم حرس وأعوان من الابلة . فلما أمسى كسر الحلقة الأخرى ، [ثم همس[1] ليلته طلقا] وأصبح وقد قطع أرضاً بعيدة ، فبينما هو يمشي إذ نعب غراب عن شماله فتطير ، فإذا بالغراب على شجرة بانٍ ينشنش ريشه ويلقيه ، فاعتاف شيئاً في نفسه ، فمضى وفيها ما فيها ، فاذا هو قد لقي راعياً في وجهه ذلك ، فسأله : من أنت ؟فقال: رجل من لهب أنتجع أهلي ، فقص عليه حاله ، وخبره عن الغراب والشجرة . فقال اللهبي : هذا الذي فعل ما فعل ، ورأى الغراب على البانة يطرح ريشه ، سيصلب ، فقال السمهري : بفيك الحجر . فقال اللهبي : بفيك أنت الحجر[2] ، استخبرتني فأخبرتك ، ثم تغضب . فمضى حتى أتى أرض بني عذرة

(١) همس : بلافتور

(٢) لاحظ تقارب الروايات في القبض على اللصوص .

ابن سعد يستجير القوم فجاء إلى القوم متنكراً ، ويستحلب الرعيان اللبن فيحلبون له ، ولقيه عبد الله الأحدب بن بغيض السعدي ، أحد بني مخزوم ، من بني عبد شمس ، وكان أشد منه وألص ، فجنى جناية فطلب، فترك بلاد بني تميم ، ولحق ببلاد قضاعة وهو على نجيبة لأتُسايَر[1] ، فبينا السمهري يماشي راعياً لبني عذرة ، ويحدثه عن خيار إبلهم ويسأله السمهري عن ذلك ، وإنما يريد أنه يستدله على أنجاهن[2] ليركبها فيهرب بها ، لئلا يفارق الأحدب ، فأشار له إلى ناقة ، فقال السمهري : هذه خير من التي تفضلها ، هذه لا تُجارى ، فتحين الغفلة ، فلما غفل وثب عليها ثم صاح بها ، فخرجت تطير به ،وذلك في آخر الليل فلما أصبحوا فقدوها وفقدوه فطلبوه في الأثر .

وخرجا حتى استقبلتهما سعة وهي أوسع من الطريق ، فظنا أن الطريق فيها ، فسارا ملياً ، فلما عرفا أنهما جائران[3] والتقت الجبال أمامها ، ووجد الطلبُ أثر بعيريها ورأوه قد سلك النقب في غير الطريق ، عرفوا أنه سيرجع فقعدوا له بفم النقب ، ثم كرا راجعين ، وجاءت الناقة وعلى رأسها مثل الكوكب من لُغامها وأبصر القوم ، فهم أن يعقر ناقتهم ، فقال له الأحدب : ما هذا جزاؤها . فنزل ونزل الأحدب ، فقاتلها القوم حتى كادوا يغشون السمهري فهتف بالأحدب ، فطرد عنه القوم حتى توقلا في الجبل ، وفي ذلك يقول الأحدب :

---

(١) لاتساير : لاتلحق

(٢) أسرعهن .

(٣) جار عن الطريق : ضل .

لما دعاني السمهري أجبته بأبيض من ماء الحديد صقيل
وما كنت ما اشتدت على السيف قبضتي
لأسلم من حب الحياة زميلي

القبض عليه مرة ثانية :

فرجع إلى صحراء منعج ، وهي إلى جنب أضاخ ، والحلة قريب منها ، وفيها منازل عُكل ، فكان يتردد ولا يقرب الحلة ، وقد كان أكثر الجعل فيه ، فمر بابني فائد بن حبيب ، من بني أسد ، ثم من بني فقعس ، فقال : أجيرا متنكراً فحلبا له فشرب ، ومضى ولا يعرفانه ، وذهبا هما ، ثم لبث السمهري ساعة وكر راجعاً ، فتحدث إلى أخت ابني فائد ، فوجداه منبطحاً على بطنه يحدثها ، فنظر أحدهما إلى ساقه مكدحة(١) وإذا كدوح طرية . فأخبر بذلك أخاه ، فنظر فرأى ما أخبره به أخوه ، فقال أحدهما : هذا والله السمهري الذي جُعل فيه ما جُعل ، فوثبا عليه ، فقعد أحدهما على ظهره ، وأخذ الآخر برجليه ، فوثب السمهري فألقى الذي على ظهره تحت إبطه ، وعاجل الآخر ، فجعل رأسه تحت إبطه أيضاً ، وجعل الرجلان يعالجانه ، فناديا أختهما أن تعينهما ، فقالت : لي الشرك في جعلكما ؟ قالا : نعم . فجاءت بجرير فجعلته في عنقه بأنشوطة ، ثم جذبته حتى رنحته ، وهو مشغول بالرجلين يمنعهما ، فلما استحكمت العقدة ، خلى عنهما ، وشد أحدهما ، فجاء بحبل فألقاه في رجله ، وهو يداور الآخر . والأخرى تخنقه . فخر لوجهه فربطاه ، ثم انطلقا به إلى عثمان بن حيان المري ، أمير المدينة وأخذا ما جُعل لأخذه .

---

(١) مكدحة : فيها خدوش من آثار القيد .

قتـــله :

فكتب فيه إلى الخليفة ، فكتب أن أدفعه إلى ابن أخي عون ، فدفع إليه ، فقال له السمهري أتقتلني وأنت لا تدري أقاتلُ عمك أنا ، أم لا ؟ أدنُ أخبرك ، فأراد الدنو منه فنودي : إياكَ والكلبَ . وإنما أراد أن يقطع أنفه ، فقتله .

مصير رفيقيه بهدل ومروان :

وأما بهدل ومروان فإن طيئاً أخذت بها أسداً فقالوا : إن حبسنا لم نقدر عليهما ونحن محبوسون ، ولكن خلوا عنا حتى [نتحسس(٢) عنهما] فنأتيكم بهما وكانا قد تأبدا مع الوحش ، يرميان الصيد ، فهو رزقهما ، فلما طال ذلك على مروان ، هبط إلى راعٍ فتحدث إليه فسقاه وبسطه حتى عرفه ولم يخبره أنه عرفه ، فجعل يأتيه بين الأيام فلا ينكره ، حتى إذا جاء مروان إليه كما كان يفعل سقاه وحدثه فلم يشعر حتى أطافوا به فأخذوه ، فأتوا به عثمان بن حيان أيضاً فأعطى الذي دل جُعله وقتله .

وأما بهدل فإنه كان يأوي إلى هضبة سلمى ، فبلغ ذلك سيداً من سلمى فقال : قد أخيفت طيىء ، وشردت من أجل هذا الفاسق الهارب، فجاء حتى حل بأهله أسفل تلك الهضبة . ومعه أهلات(١) من قومه ، فقال لهم : إنكم بعيني الخبيث فإذا كان النهار فليخرج الرجال من البيوت ، وليخلوا النساء ، فإنه إذا رأى ذلك انحدر إلى القباب ، وطلب الحاجة ، فكانوا يخلون الرجال نهاراً ، فإذا أظلموا ثابوا إلى رحالهم أياماً ، فظن

(١) نبحث :

(٢) جماعة .

بهدل أنهم يفعلون ذلك لشغل نابهم فانحدر إلى قبة السيد ، وقد أمر النساء : إذا انحدر إليكن رجل فإنه ابن عمكن فأطعمنه وادهن رأسه . وفي قبة السيد بنتان له ، فسألهما : من أنتما ، فأخبرتاه وأطعمتاه ، ثم انصرف ، فلما راح أبوهما أخبرتاه ، فقال : أحسنتما إلى ابن عمكما ، فجعل ينحدر إليهما حتى اطمأن ، وغسلتا رأسه ، ودهنتاه ، فقال الشيخ لابنتيه : افلياه إذا أتاكما هذه المرة ، واعقدا خُصل لمته إذا نعس رويداً بجمل القطيفة ، ثم إذا شددتما عليه ذلك فاقلبا القطيفة على وجهه وخذا أنتما بشعره من ورائه فمدا به إليكما ، ففعلتا ، وشدوا عليه فربطوه ، فدفعه إلى عثمان ابن حيان فقتله ، فقالت ابنة بهدل ترثيه .

فيا ضيعة الفتيان إذ يعتلُونه ببطن الشرى مثل الفنيق المُسدم
دعا دعوة لما أتى أرض مالك ومن لا يُجب عند الحفيظة يكلم
فَيَقتُل جبراً في فتى لم يكن له بواءً [1] ولكن لا تكايل بالدم

أي : لا يكون الدم مثل الدم في الكثرة ، والقلة . وجبر هذا : هو الذي أخذ بهدلاً وحمله إلى السلطان حتى قتل ، وهو جبر بن عبيد من بني مالك بن نبهان .

ويورد صاحب الأغاني بعد ذلك أخبار رثاء ابن دارة للسمهري ، وأخذ أخيه مالك لثأره من قتلة السمهري في شعر كثير وحوادث مفصلة ، يرجع إليها من يشاء .

(١) البواء : الكفء

أشـعاره

— ١ —

قال ، وهو سجين (*) :

١ ـ فَمَنْ مُبْلِغٌ عني خَليليَ مالِكاً رسالَةَ مشدودِ الوَثاقِ غَريبِ
٢ ـ ومَنْ مُبْلَغٌ حَزْماً وتَيْماً ومالِكاً وأربابَ حامي الجفرِ رهطَ شبيبِ
٣ ـ لِيَبْلوا التي قالتْ بصحراءِ مَنْعجٍ لي الشِّرْكُ يا ابنيْ فائدِ بنِ حببِ
٤ ـ لتضربَ في لَحْمي بسهمٍ ، ولم يَكُنْ لها في سهامِ المسلمينَ نصيبُ

(*) التخريج : الأغاني (ساسي) ٢١ : ٥٤

١ و ٢ ـ مالك وحزم وتيم : أصدقاؤه .

الجفر ، في معجم ما استعجم : مفتوح الأول ، ساكن الثاني موضعان ، أحدهما في رسم جفاف ، والثاني في رسم جنفاء .

٣ ـ منعج ، بكسر العين : واد في رسم ضرية وخزاز حيث قبض على السمهري .

ابنا فائد بن حبيب : الرجلان اللذان قبضا عليه وأسلماه مع أختهما التي عاونتهما لقاء اشتراكها في الجعل عند القبض عليه .

ومعنى الأبيات : يشير إلى حادثة القبض عليه ، وقد اشتركت فيها أخت ابني فائد مع أخويها ، فهو يستصرخ في السجن أصدقاءه للانتقام له منها ، فقد أرادت أن تأكل من لحمه ، وليس لها حق في لحوم المسلمين .

– ٢ –

قال (*)

١ ـ لَقَدْ جَمَعَ الحَدَّادُ بَيْنَ عِصابَةٍ تَساءَلُ في الأَسْجانِ : ماذاذُنُوبُها؟
٢ ـ مُقَرَّنَةُ الأَقْدامِ في السِّجْنِ تَشْتَكي ظَنابِيبَ قَدْ أَمْسَتْ مُبيناً عُلُوبُها
٣ ـ بِمَنزِلَةٍ أَمَّا اللئيمُ فآمِنٌ بِها ،وكِرامُ القَومِ بادٍ شُحوبُها

(*) تخريج الأبيات :
الأبيات السبعة ما عدا الخامس في الوحشيات : ٢٢٢
وفي الأغاني ٢١ : ٥٤ (بولاق) وفي الخالديين : ٢٢٩
والأبيات ١ و٣ و٤ في مجموعة المعاني ١٣٨ – ١٣٩
وزادت بيتاً تفردت به وهو الخامس .
١ – الحداد : السجان ، وروي تساءل في الأقياد .
٢ – الظنابيب : جمع ظنبوب : حرف العظم اليابس من الساق .
وفي الوحشيات : الظنانيب ، وهو تصحيف أو خطأ مطبعي .
العلوب : ج علب : أثر الضرب ، والجمع علوب . يقال ذلك في أثر الميسم وغيره .
ومعنى الأبيات : جمع السجن فئات شتى من الناس ، تتساءل ماذا جنت حتى تسجن ، وقد قرنوا أرجل المساجين بعضها ببعض ، حتى اشتكت عظام الأقدام ، وظهرت عليها آثار القيود .
ان هذا السجن يأمنه اللئيم أن يدخله ، أما الرجال الكرام فهو مأواهم .

٤ ـ إذا حَرَسِيٌّ قَعْقَعَ البـــابَ أُرْعِدَتْ
فَرائِصُ أَقْوام ، وطـــارَتْ قُلوبُهـــا

٥ ـ نَرى البابَ ، لا نسطيعُ شَيْئاً وَراءَهُ
كَأَنَّا قُنِيٌّ أَسْلَمَتْهـــا كُعُوبُهـــا

٦ ـ أَلا لَيْتَني مِنْ غَيرِ عُكْلٍ قَبيلَتي
وَلَمْ أُدْرِ ما شُبَّانُ عُكْلٍ وشِيبُهـــا

٧ ـ قُبَيِّلَةٌ لا يَقْرَعُ البـــابَ وَفْدُهـــا
بِخَيْرٍ ولا يَـــأْتِي السَّدادَ خَطيبُهـــا

٨ ـ فَـإِنْ تَكُ عُكْلٌ سَرَّهـــا ما أَصابَني
فَقَدْ كُنْتُ مصْبُوباً عَلى مَنْ يَرِيبُهـــا

---

٤ ـ الحرسي : الحارس والسجان .

٥ ـ القني : ج قناة . الكعوب : ج كعب وهو عقدة ما بين الأنبوبين من القصب والقنا .

ومعنى البيتين : إذا حرّك السجان الباب سرت فينا رعدة ، وطارت قلوبنا خوفاً ، ونحن ننظر إلى الباب في حسرة ، فلسنا نستطيع أن نتجاوزه ولا نستطيع أن نفعل شيئاً وراءه ، فكأنا قناة قد تكسرت الأنابيب التي تجمع بين عقدها ، فهي عاجزة جوفاء .

٧ ـ في الأغاني : ولا يهدي الصواب خطيبها .

ومعنى الأبيات : ينعي السمهري على قبيلته عكل خذلانها له ، وإسلامها إياه ، فليت له بقبيلته قبيلة تنصره ، فقبيلته لا تفعل الخير ولا تهتدي إلى صواب ، ولئن سرها ما أصابني من أسر وقيد وتهديد بالقتل فطالما دافعت عنها ورددت كيد أعدائها .

- ٣ -

وقال (*) :

١ - تَمَنَّتْ سُلَيْمى أنْ أُقيم بأَرْضِها
وأَنَّى ، لِسَلمى ، - ويْبَها - ما تَمَنَّتِ

٢ - ألا ليتَ شِعري ! هَلْ أَزُورَنَّ ساجِراً
وقد رَوِيَتْ ماءَ الغوادي وعَلَّتِ

٣ - بني أسدٍ هل فيكُم من هَوادَة
فَتعفوا، لَو اَن كانت بِيَ النَّعْلُ زَلَّتِ

(*) التخريج : البيتان ١ و ٢ في معجم البلدان (ساجر) للشاعر . والثلاثة في الأغاني (بيروت) ٢٦٤

الويب : كلمة مثل ويل . ويباً لهذا الأمر : عجباً له .

الغوادي : ج : غادية : السحابة الممطرة .

١ و ٢ - ساجر في المعجم : ماء في بلاد بني ضبة وعكل ، وهما جيران .

ومعنى البيتين : تمنت سليمى أن أبقى معها في أرضها ، وأنى لها أن أحقق لها ما تمنت ، ويحها ألا تدري أني أضرب في الآفاق طلباً للرزق ولست غنياً لأقيم في دارنا كما يقيم الأغنياء في ديارهم .

ليت شعري ! متى أزور أرض بلادي وقد روتها السحب ، وأخصبت .

٣ - يرقق بني أسد عليه ، لعلهم يعفون عنه .

ثم جاء في الأغاني : وبنو تميم تزعم أن هذا البيت لمرة بن محكان السعدي ، وروي في المطبوع من الأغاني (سامي) فتغفرَ إن كانت ...

— ٤ —

وقال يذكر سجنه في اليمامة (*) :

١ ـ كانَتْ منازِلُنا الَّتي كُنَّا بِها
شَتَّى ، فَأَلَّفَ بَيْنَنَا دَوَّارُ

— ٥ —

وقال (*) :

١ ـ ألا أيُّها البيتُ الذي أنا هاجِرُهُ فلا البيتُ مَنْسِيٌّ، ولا أنا زائِرُهُ
٢ ـ ألا طَرَقَتْ ليلىٰ ، ورِجْلي رَهينَةٌ
بأشهَبَ مَشْدودٍ عَليَّ مسامِرُهُ

تخريج البيت : لم أجد غير هذا البيت فيما راجعت من مصادر ، ووجدته في معجم ما استعجم . قال : دوار : مفتوح الأول ، وهو اسم سجن في اليمامة ، وكذلك قال ياقوت ، ولم يورد هذا البيت ، وأورد أبياتاً كثيرة للصوص آخرين يشتكون فيها هذا السجن الرهيب .

ومعنى البيت :

كانت منازلنا مختلفة متفرقة ، فجمع سجن دوار بيننا ، فنحن فيه من كل قبيلة ، ومن كل أرض .

(*) التخريج : الأغاني (ساسي) ٢١ : ٥٣ (بيروت) ٢١ : ٢٦٣
ومعنى الأبيات : ورد هذا المعنى مراراً في شعره ، ووردت الألفاظ نفسها مكرورة .

٣ ـ فإنْ أَنْجُ يا لَيْلىٰ ، فَرُبَّ فتىً نَجا
وإنْ تَكُنِ الأُخْرىٰ ، فَشيءٌ أحاذِرُهْ

٥ ـ وما أَصْدَقَ الطيرَ الَّتي بَرَحَتْ بنا
وما أَعْيَفَ اللِّهْبِي ، لا عَزَّ ناصرهْ

٦ ـ رأَيتُ غُراباً ساقطاً فوقَ بانةٍ
يُنَشْنِشُ أعْلى ريشهِ ويُطايِرُهْ

٧ ـ فقالَ : غُرابٌ باغترابٍ مِنَ النَّوىٰ
وبانٌ ببَيْنٍ مِنْ حَبيبٍ تُحاذِرُهْ

٨ ـ فكانَ اغترابٌ بالغُرابِ ونِيَّةٌ
وبالبانِ بَيْنٌ بَيِّنٌ لَكَ طائِرُهْ

يا بيت الحبيبة ، أنا أهجرك ، لا أني أنساك ، ولكني لا أستطيع زيارتك . لقد زارني طيف ليلى وأنا في السجن ، والقيود تثقل رجلي ، وأنا أمام الموت ، فإما أن أنجو ، وقد ينجو الفتى من المهالك ، وإما أن أموت ، ولا مفرّ من الموت رغم كل حذر .

(٣) الأخرى : يريد القتل أو البقاء في السجن

٥ و ٨ — برحت : بفتح الراء مرت عن اليمين ، وهي البارح .

ينشنش : ينتف .

النية : الرحلة والسفر .

ومعنى الأبيات واضح .

- ٦ -

وقال (*) :

١ - نَجَوْتُ ، ونَفْسي عنـدَ ليلى رَهينَةٌ
وَقَدْ عَمَّني داج ، من الليـلِ ، دامِسُ

٢ - وغامَسْتُ عَنْ نفسي بأَخلَقَ مقْصِلٍ
ولا خيرَ في نفسِ امرئٍ لا تغامِسُ

٣ - ولَوْ أَنَّ ليلىٰ أَبْصَرَتْنيَ غُدْوَةً
وَصَحْبِيَ ، والصَّفَّ الذينَ أُمارِسُ

٤ - إذَنْ لَبكَتْ لَيْلىٰ عَلَيَّ ، وَأَعْوَلَتْ
وَما نالتِ الثَّوْبَ الّذي أنا لابِسُ

(*) التخريج : في الحماسة الشجرية (تحقيقنا) ص : ١٤٢ ، وذكر ابن الشجري السمهري العكلي ، وقال : وهو من اللصوص . وفي الأغاني (بيروت) ٢١ : ٢٦١

١ - في بعض النسخ : غمني . بالغين المعجمة .

٣ - في الأغاني : ومطواي .

ومعنى الأبيات : نجوت من السجن في ليل داج ، ولكن نفسي ما تزال رهينة عند ليلى ودافعت عن نفسي بسيفي ،ولا خير فيمن لا يدافع عن نفسه ، ولو رأتني ليلى وما أكابد من أهوال ، وما أعالج من حراس وأقفال لبكت علي ولم تستطع أن تنال ثوبي ، وتحتفظ به من أثري .

وقال يرثي نفسه (*) :

- ٧ -

١ ـ ألا طَرَقَتْ لَيْلَى ، وسـاقي رَهِينَةٌ
بأسمرَ ، مَشْدودٍ ، عَـلَيَّ ثقيلِ

٢ ـ فما البينُ يا سلمى بأنْ تشحطَ النَّوى
ولكنَّ بَيْناً مـا يريـدُ عَقِيلُ

٣ ـ فانْ أنْجُ مِنْها ، أنْجُ مِنْ ذي عَظيمةٍ
وإنْ تكنِ الأُخْرى ، فتلكَ سَبيـلُ

٤ ـ وما كُنْتُ مِحياراً ، ولا فَزِعَ السُّرى
ولكنْ حـذا حُجْراً بغير دليـلِ

(*) التخريج : وردت الأبيات الثلاثة في الأغاني (ساسى) ٢١ : ٥٤ وورد البيت الرابع فيها ٢١ : ٥٢ ، ويظهر أنها من قصيدة واحدة أو من قصيدتين ففي الأبيات بيتان فيهما إقواء .

١ ـ الأسمر يريد القيد . ٢ ـ تشحط : تبعد .

٣ ـ محياراً : كثير الحيرة والتردد .

٤ ـ حجر : بفتح الحاء : مدينة باليمامة وبضمها : قرية باليمن .

ومعنى الأبيات : زارتني ليلى في نومي فلم أستطع السير إليها ، لأنني موثق بالقيود الثقيلة .

يا ليلى ! ليس بعدنا ، ونحن حيان ، بالبعد ولكنِ البعد أن يفرقِ بيننا الموت .

- ٨ -

وقال أيضاً وهو طريد (*) :

١ ـ فلا تَيْأَسا من رَحْمَةِ اللهِ وانظُرا
بوادي جَبُونا أنْ تَهُبَّ شَمالُ

٢ ـ ولا تَيْأَسا أنْ تُرْزَقا أَرْحَبِيَّةً
كَعينَ المَها أَعْنَاقُهُنَّ طِوالُ

٣ ـ من الحارِثيينَ ، الذينَ دِماؤهُم
حَرامٌ ، وأَمّا مالُهُمْ فَحَلالُ

فإن أنج منه فقد نجوت من أمر عظيم ، وإن قتلت فسبيل الموت طريق الناس جميعاً .

لم أكن في حياتي متردداً أخاف الأهوال ولكني كنت أقطع الفيافي دون دليل فضللت .

(*) التخريج : الأغاني (ساسي) ٢١ : ٥٣ (بيروت) ٢١ : ٢٦٥ — ٢٦٦

١و٢و٣ - جبونا : لم أجدها في البلدان ولا في معجم ما استعجم ، ووجدت جبوب . ولعله جبوب بدر أو حصن باليمن . الأرحبية : الإبل التي تنتسب لقبيلة أرحب ، أو إلى فحل بعينه .

لعله في الأبيات يخاطب صديقيه المتشردين بهدلاً ومروان يدعوهما إلى الثقة برحمة الله ، وبكرم بني الحارث .

- ٩ -

وقال (*) :

١ ـ أعاذلُ! بَكِّيني لأضيافِ لَيْلةٍ نَزورِ القِرى، أمْسَتْ بليلٍ شَمالُها

٢ ـ أعامرُ مهلاً لا تَلُمْني، ولا تَكُنْ خَفِيًّا إذا الخيراتُ عُدَّتْ رِجالُها

٣ ـ أرى إبلي تَجزي مَجازي هَجْمَةٍ كَثيرٍ، وإن كانَتْ قليلاً إفالُها

(*) التخريج : الأبيات في الحماسة (شرح المرزوقي) ص : ١٧٠٧ـ ١٧٠٩ ورقمها : ٧٥٤ ، وفيها وقال آخر . وقال التبريزي : وقال العكلي : وذكر الأبيات .

١ ـ ورد في التبريزي في شرح البيت مختصراً : أكثري البكاء من أجل أضياف ليلة قليلة القرى ، لإمساك الناس عن الإنفاق .. وقد أمست ريح الشمال فيها ذات بلل وبرد .

٢ ـ في التبريزي مختصراً : جمع على نفسه لائمة ولائماً ، فيقول : يا عامر ! رفقاً في عتبك علي ، ولومك إياي ، واقتد بي في طلب السموّ والاعتلاء على الأقران ، وفعل الخيرات .

٣ ـ الهجمة : القطعة من الإبل بين الستين إلى المائة . الإفال : ج أفيل : صغار الإبل .

ومعنى البيت : إن إبلي قليلة ، مفجعة بأولادها ، ومع ذلك فهي تغني غناء الإبل الكثيرة عند بخيل لا يصرفها إلى الحقوق والضيفان .

٤ ـ مثاكيلُ ، مــا تَنْفَكُّ أرْحلَ جُمَّةٍ
تُرَدُّ عليهــمْ نوقُهــا وجِمالُهــا

- ١٠ -

قال (*) :

٤ - مثاكيل : ج مثكال ، التي تثكل أولادها . جمة : الجماعة من الناس .

ومعنى البيت : إن إبلي لا يعيش أولادها إلا ريثما تنمو للأضياف، وهي ما زالت مثوى الجماعة الكثيرة من الناس ، تصرف إليهم إناثها للحلب واللبن ، وذكورها للنحر واللحم .

(*) التخريج : الأبيات ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ١١ - ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ في الأغاني (ساسي) ٢١ : ٥٤ ، ومختار الأغاني لابن منظور ٦ : ١٠١ — ١٠٢

والبيتان ٦ - ٧ في الأمالي ١ : ٤٤ ، والسمط ١٧٨ ، والحماسة الشجرية : ٦٧٣ - ٦٧٤ ، ونسبت تصحيفاً للنمري ، والبيتان ١١ - ١٢ في مجموعة المعاني : ١٣٩

والأبيات ٨ - ٩ - ١٠ في معجم البلدان (الغوريان) و (بيشة) وزادت الحماسة في التخريج : التشبيهات : ١٠٧ - الحماسة البصرية ٢ : ١٦٠ ومنتهى الطلب : ١٥٤ كما زاد السمط الخزانة ٣ : ٤٨٣ ، والبيت ٧ في قواعد الشعر لثعلب : ١٦

١ ـ ألا حَيِّ لَيْلىٰ، إذْ أَلَمَّ لِمامُها وكانَ مَعَ القَومِ الأعادي كَلامُها
٢ ـ تَعَلَّلْ بلَيْلىٰ، إنَّما أنْتَ هامَةٌ من الغَدِ، يَدنُو كُلَّ يَوْمٍ حِمامُها
٣ ـ وبادِرْ بلَيْلىٰ أوبةَ الرَّكْبِ، إنَّهُمْ
مَتى يَرْجِعوا يَحْرُمْ عَليكَ لِمامُها
٤ ـ وكَيْفَ تُرَجِّيها، وقَدْ حِيلَ دونَها
وأَقْسَمَ أقْوامٌ مَخُوفٌ قَسامُها
٥ ـ لَأَجْتَنِبَنْها أوْ لَيَبْتَدِرُنَّني
بِبِيضٍ، عليها الأَثْرُ، فُقْمٌ كِلامُها

١ ـ اللمام: الزيارة في الأحايين.

ومعنى الأبيات: ألمت بك ليلى، في سجنك، وتوسلت إلي الحراس من أعدائك، لتستطيع مقابلتك، فحيها وتعلل بها حيناً فأنت غداً ميت، وعجل لقاءها قبل أن يعود الركب فلا تراك ولا تراها.

٤ ـ القسام من القسم: والقسامة اليمين.

٥ ـ الأثر: في السيف فرنده ورونقه. الفقم: الواسعة. الكلام: الجروح.

ومعنى البيتين: وكيف ترجي لقاءها وبينك وبينها أقوام أقسموا، وقسمهم مخيف، لأتركنها أو ليقتلنني بسيوف عليها آثار الضراب، جراحها واسعة قاتلة.

٦ ـ وبَيْضاءَ ، مِكسالٍ ، لَعوبٍ ، خَريدةٍ
لذيذٍ ، لَدى ليلِ التَّمامِ ، شِمامُها

٧ ـ كَأَنَّ وميضَ البَرْقِ ، بَيْني وبَيْنَها
إذا حانَ ، مِنْ خَلْفِ الحِجابِ ، ٱبتسامُها

٨ ـ ونُبِّئْتُ لَيلىٰ بالغَرِيَّيْنِ سَلَّمَتْ
عَلَيَّ ودوني طَخْفَةٌ ورِجامُها

٩ ـ فإنَّ التي أَهْدَتْ ، علىٰ نَأْيِ دارِها ،
سَلاماً ، لَمَرْدُودٌ عَلَيْها سَلامُها

١٠ ـ عديدَ الحَصىٰ والأَثْلِ مِن بَطْنِ بِيشةٍ
وطَرْفائِها ، ما دامَ فيها حَمامُها

٦و٧ ـ معنى البيتين : ليلى فتاة بيضاء ، مترفة ، لعوب ، يلذ شمها وضمها في الليالي المقمرة ، كأن بسمتها وراء الحجاب ، وميض البرق .

٨ ـ الغريان : مثنى الغري ، وهو المطلي ، والغريان بناءان كالصومعتين.

٩ ـ طخفة : في معجم البلدان ، مكان في البصرة إلى مكة .

١٠ ـ بيشة : قرية غناء في واد كثير الأهل من بلاد اليمن ، وفي وادي بيشة موضع مشجر كثير الأسد .

ومعنى الأبيات : علمت أن ليلى ، وهي قاطنة في الغريين ، سلمت علي وبيني وبينها طخفة وأحجارها ، فعليها سلامي مكروراً ، عدد الحصى وأشجار الأثل والطرفاء في وادي بيشة ، وقد غنت حمائمه على الأغصان.

١١ ـ لَقَدْ طَرَقَتْ ليلىٰ ، ورِجْلي رهينةٌ
فما راعَني ، في السِّجْنِ ، إلا سَلامُها

١٢ ـ فَلَمَّا ارتفقتُ للخيالِ الّذي سَرىٰ
إذِ الأرْضُ قَفْرٌ ، قَدْ عَلاها قَتامُها

١٣ ـ فإلا تَكُنْ لَيْلىٰ طَوَتْكَ فَإنَّهُ
شبيهٌ بِليلىٰ حُسْنُها وقَوامُها

١٤ ـ ألا لَيْتَنا نَحْيا جَميعاً بِغِبْطَةٍ
وتَبْلىٰ عِظامي ، حِينَ تَبْلىٰ عِظامُها

١٥ ـ لذلكَ ما كانَ المحِبُّونَ قَبْلَنا
إذا ماتَ مَوْتاها تزاوَرُ هامُها

١١و١٢و١٣ – ارتفق : اتكأ على مرفقه أو على وسادة .

معنى الأبيات : زارتني ليلى ، وأنا في السجن ، ففاجأني سلامها علي ، وانتبهت وحاولت القيام لتحيتها ، فإذا هي حلم ، وإذا السجن مظلم ، وإذا الأرض يغطيها الليل . لعمري لئن لم تكن ليلى هي التي زارتني وضمتني ، فإن من زارتني تشبهها في جمالها وقوامها .

١٤و١٥ – ومعنى البيتين : ليتني أنجو من الموت ، وأحيا مع ليلى في سرور وغبطة ، فإذا متنا متنا في يوم واحد . فأما إذا مت قبلها فلها علي أن تزورها هامتي في قبري ، وكذلك كان المحبون قبلنا يتزاورون بعد الموت .

- ١١ -

وقال (*) :

١ ـ أقولُ لأَدْنى صـاحِبَيَّ نَصِيحَةً
وللأَسْمَرِ المِغْوارِ : ما تَرَيانِ ؟!!

٢ ـ فقالَ الذي أبدى لي النُّصْحَ مِنهما :
أرى الرأيَ أنْ تَجتازَ نَحْوَ عُمانِ

٣ ـ فإن لا تَكُنْ في حاجِبٍ وبلادِهِ
نجاةٌ ، فَقَدْ زَلَّتْ بِكَ القَدَمانِ

٤ ـ فَتًى من بني الخَطّابِ يَهْتَزُّ للندى
كما اهْتَزَّ عَضْبُ الشَّفرتينِ يمانِ

(*) تخريج الأبيات : الأمالي ٣ : ٧٧

قال : وأنشد رجل من عكل يقال له : السمهري بن بشر . وفي ذيل السمط ٣٨ : وهو ابن بشر (لا ابن أسد . كما قال الشيباني) ... شاعر لص خبيث ...

الأسمر في الأمالي : رجل من طيىء .

٣ ـ حاجب هذا ـ في الأمالي ـ هو حاجب بن خشينة العبشمي .

٥ ـ هُوَ السَّيْفُ إنْ لايَنْتَـهُ لانَ مَسُّهُ
وغَرْبـاهُ إنْ خاشَنْتَهُ خَشِنانِ

ـ ١٢ ـ

وقال (*) :

١ ـ أَعِنِّي على بَرْقٍ أُرِيـكَ وَميضَهُ
يَشُوقُ ، إذا أستَوْضَحْتَ بَرْقاً يمانيا

---

٥ ـ الغرب : حد كل شيء .

وورد في ذيل السمط : ٣٨ :

والبيت الأخير ـ أي هذا البيت ـ سائر.

ونسبه ابن سعيد لليلى الأخيلية وقبله :

كريم يغض الطرفَ فضلَ حيائه ويدنو ، وأطراف الرماح دوان

ومعنى الأبيات : ينصحه صديقه أن يهرب إلى عمان .

(*) التخريج : جمعت المقطوعة بيتين وردا في معجم البلدان (طمية) وأبياتاً خمسة وردت في الأغاني ٢١ : ٥٥ (الساسي) و ٢١ : ٢٦٦ (بيروت) وأظن أن الأبيات السبعة من قصيدة واحدة .

١ ـ في معجم البلدان : ورد : إذا استوضحتُ برقاً عنانيا

وأظن فيه تصحيفاً ، ولذلك أوردته كما أرى .

ومعنى البيت : إذا كنت يا صاحبي تستوضح برقاً من اليمن فدعني أرقب برقاً نجديًا يشوقني وميضه .

٢ ـ أَرِقْتُ لَهُ ، والبَرْقُ دُون طَمِيَّةٍ
وذي نَجَبٍ ، يا بُعْدَهُ من مَكانِيا !

٣ ـ أَلَمْ تَرَ أَنِّي وابنَ أَبْيَضَ قَدْ خَفَتْ
بنا الأَرضُ ، إلا أَنْ نَؤُمَّ الفيافيا

٤ ـ طَرِيدَيْنِ من حَيَّينِ شتى ، أَشَدَّنا
مَخَافَتُنا ، حتى عَلَلْنا التَّصافِيا

٢ ـ طمية : جبل لبني فزارة ، وهو من نواحي نجد بالإجماع .
ذو نجب : واد قرب ماوان في ديار بني محارب .

ومعنى البيت : لقد أرقني البرق يلمع ما بين أرض فزارة وأرض بني محارب . فما أبعدك عني يا برق بلادي .

٣ ـ خفت الأرض : سكنت وهدأت .

أنا وابن أبيض نمشي في الأرض خفاتاً جزعين ساكنين ، إلا أن ندخل الفيافي والقفار فتعود إلينا أصواتنا وحركاتنا .

٤ ـ نحن طريدان من عشيرتين مختلفتين ، ولكن الذي جمع بيننا السجن والهرب واللصوصية ، حتى أصبحنا صديقين مخلصين .

٥ ـ وما لمتُه في أمْرِ حزمٍ ونَجْـدةٍ
ولا لامني في مِرَّتي واحتياليا

٦ ـ وقلتُ له ـ إذْ حلَّ يسقي ويَسْتقي ـ
ـ وقد كان ضَوْءُ الصبح لليلِ حاديا ـ :

٧ ـ لعمري لقد لاقتْ رِكابُك مَشْرَباً
ـ لئن هي لمْ تصبـح عَلَيْهِنَّ ـ عاليا

عبد المعين الملوحي

● ● ●

ـ للبحث صلة ـ

---

٥ ـ المرّة : الشدة والقوة .

وفي الأبيات الثلاثة يصف تعاونه مع صديقه ، وصفاءَ الأخوة بينهما ، ومعناها واضح .

تاريخ وفاة ابن النديم

الدكتور رودولف زلهايم

تعريب الأستاذ حسام الصغير

ما الماضي إلا حياة غابرة ، وما أسرع ما يقلب الموت الذي نخشاه على أنفسنا حاضرَنا إلى ماضينا . لقد وجد المسلمون عزاءهم عن ذلك في إيمانهم العميق بأن الموت باب الحياة الآخرة (١) ، يعبره كل مخلوق حيّ في هذه الدنيا . وما إن أخذت القبائل العربية بعد وفاة الرسول ﷺ وفي موجة الفتوحات الكبرى بالاستقرار في مدن بلاد الشرق الأوسط ذات

(*) يعتمد هذا التعريب على مقال للمؤلف نشر في الكتاب التذكاري لوفاة المستشرق S. M. Stern باللغة الألمانية قبل سنين ، وعلى حواشي نسخته الشخصية ، وبذا فقد غدا أصلاً جديدا ، قرأه المؤلف وأجازه ، كما أجاز من قبل تعريبي لمقاله الموسع « فتنة عبد الله بن الزبير » ، والذي نشر في هذه المجلة ٤٩/١٩٧٤/٨٢٩ – ٨٧٠ (المترجم) .

(١) قارن مثلاً : « الموت باب الآخرة » في كتاب الآداب لابن المعتز ، تحقيق I. Kratchkovsky في مجلة المستشرقين الإسكندنافيين Le Monde Oriental ، ١٨/١٩٢٤/٧٣

الحضارات العريقة ، حتى بدأت ضمن نمو وتطور مجالات حضارتها الإسلامية العديدة بتدوين تاريخ وفاة موتاها على أحجار القبور باليوم والشهر والعام تبعاً للتقويم الإسلامي (١) لم يؤرخوا وفقاً لأي تقويم ما ، وإنما حسب ذلك التقويم الذي ابتدأ بهجرة الرسول ﷺ إلى مدينة يثرب ، وارتبطت الأحداث به بعد دعوة خاتم الأنبياء إلى الإسلام في طريقها إلى يوم القيامة .

إن هذا التصور الزمني ، كوحدة قياسية للبعد بين الدنيا والآخرة ، هو الذي أمدّ المؤرخين بالإطار الذي رتبوا فيه أخبارهم عندما تقيدوا بشكل الحوليات . وكذا انطلق مصنفو تراجم الرجال من النبي ﷺ ونظروا إلى صحابته وتابعيه وأولادهم وأحفادهم تبعاً لتدرجهم عنه وترتيبهم الزمني والمكاني : أي تبعاً لطبقاتهم (٢) . ولما اتسعت المادة وأدى غناها إلى ترتيبها على حروف الهجاء ، ازدادت أهمية تاريخ الوفاة ، وأضاف المصنفون عمر المترجم له وتاريخ ولادته ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، كما ذكروا في تراجم العلماء أسماء أساتذتهم وتلاميذهم .

---

(١) قارن : Catalogue Général du Musée Arabe du Caire Stèles Funéraires ، ١ — ١٠ . القاهرة ١٩٣٢ — ١٩٤٢ ؛ أيضاً : Répertoire (Musée National de l'art Arabe) Chronologique d، épigraphie Arabe ، ١ - ١٦ ، القاهرة ١٩٣١-١٩٦٤ (publications de l' Institut Français d' Archéologie Orientale

(٢) قارن O. Loth في مقاله : Ursprung und Bedeutung der Tabakat , Vornchmlich der des Ibn Sa'd في مجلة جمعية المستشرقين الألمانية Zeitschrift der Deutschen Morgenlaendischen Gesellschaft ٢٣/١٨٦٩/٥٩٣ — ٦١٤

وفي عام ٣٧٧هـ/٩٨٧ - ٩٨٨م صنف الوراق والناسخ البغـدادي أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بابن النديم كتاب الفهرست الشهير ، والمعتمد في الماضي والحاضر . كما تدلنا مخطوطاته الموجودة (١) فقد جعله على شكلين ، مقتضب ومطول ، وأثبت فيه التراث العربي الذي وصل إليه ، أو تناهى إليه وصفه عن طريق الثقـــات (٢) . لقد وجه ابن النديم اهتمامه في الدرجة الأولى لأسماء الكتب ، وكثيراً مـا وصف محتواها ومقدمتها وحجمهـا أو أعطى لمحات حول فرع من فروع الآداب والعلوم ؛ وإلى ذلك كله فقد جمـع وأورد قسماً من تراجم العلماء وضمنها

---

(١) قارن J. Fueck في مقاله Eine Arabische Literaturgeschichte: aus dem 10. Jahrhundert n. Chr. Der (Fihrist des Ibn an - Nadim) ، في مجلة جمعية المستشرقين الألمانية المذكورة ٨٤/١٩٣٠/ ١١١ - ١٢٤ ، وخصوصاً ص ١١٣ ومايليها .

(٢) راجع : كتاب الفهرست ١ (النص) - ٢ (التعليق) ، حققه وعلق عليه G. Fluegel ، ليبزج ١٨٧١ - ١٨٧٢ ، الجزء الأول ، مقدمة ص ٢٠ ؛ راجع أيضاً J. Lippert في مقاله : Ibn al - Kufi, ein Vorgaenger Nadim's, ، في مجلة المستشرقين النمساويين Wiener Zeitschrift fuer die Kunde des Morgenlandes ١١/١٨٩٧/١٤٧ - ١٥٥ ؛ وقارن مقال V. V. Polosin بعنوان About one of the Written sources of the « Fihrist » by Ibn an - Nadim وقـد طبـع باللغة الروسية في نشرات معهد موسكو للدراسات الشرقية Pis' mennyje Pamjatniki Vostoka ، ١٩٧١ (موسكو ١٩٧٤) / ٨٦ - ١٠٨ ، (وهو يعني بهذا المصدر المكتوب كتاب الورقة لابن الجراح) .

تواريخ حياتهم ووفاتهم (راجع مقدمته) . وما أشدّ ما تثير هذه الأخبار بالذات اهتمام الباحثين في تاريخ الأدب العربي ، وخصوصاً لأن بعضها أحياناً هو الشاهد الوحيد المتوفر لما دُوّن بالعربية في القرون السابقة لعصر ابن النديم .

وبعد ، أليس من المدهش حقاً ، أن يستبين لنا أن أخبار حياة ابن النديم نفسه تكاد تكون معدومة ، إن استثنينا بعض إشارات عابرة نثرها في كتابه (١) . كما أننا نكاد لا نعلم – كما يبدو – سنة وفاته علم اليقين ، مع أن المصنفين العرب لتراجم الرجال لم يغفلوا عنه (٢) ، وهم الدقيقون عادة في مثل هذه الأمور . وإن رجعنا إلى كتاب بروكلمن « تاريخ الأدب العربي » (الذيل الأول ١٩٣٧ ، ص ٢٢٧) ، أي إلى أكثر المراجع الحديثة استعمالاً ، لما وجدنا أكثر من العبارات التالية : لقد صنف ابن النديم كتاب الفهرست سنة ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م ، ووسّعه في العام ذاته وظل يلحق به بعدها إضافات وصلت إلى بداية القرن الخامس الهجري ،

(١) راجع J. Fueck في مقاله المذكور آنفاً ، ص ١١١ – ١٢٤ ؛ وراجعه أيضاً في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الجديدة) Encyclopaedia of Islam ٣ (١٩٧١) ، مادة ابن النديم » التي نشرت في العدد الصادر ١٩٦٨ ، (حيث تفسر « دار الروم ») الواردة في الفهرست ١/٣٤٩ سطر ١٧ (صواباً بالمحلة الرومية في بغداد ،) وليس بالقسطنطينية كما لدى Fluegel في الفهرست ، الجزء الأول ، مقدمة ص ١٣ ، والجزء الثاني ص ١٨٤ ملاحظة رقم ٩ ، أو في مقال Fueck المذكور ص ١١٧) .

(٢) راجع : معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٩/١٩٦٠/١/٤١ وما بعدها ؛ ومراجع تراجم الأدباء العرب لخلدون الوهابي ١ /١٩٥٦/ ١٢٩ – ١٣١

أما « عام وفاته فمجهول »[١] . إن هذه المعلومات ترجع إلى أقوال مماثلة لمحقق كتاب الفهرست G. Fluegel (عام ١٨٧١ م) وذلك في مقدمته للجزء الأول ص ١٢ و ١٣ ، والتي ذكر فيها أن ابن النديم قد صنف – كما قال بنفسه – كتاب الفهرست سنة ٣٧٧ ﻫ على شكلين ، مقتضب ومطول ؛ ولا بد وأنه عاش طويلاً بعد ذلك ، إذ أن المحقق عثر في كتابه هذا على تواريخ تتجاوز ذلك العام وتصل إلى سنة ٣٩٩ أو ٤٠٠ ﻫ[٢] . أما حاشية مخطوطة مكتبة ليدن رقم ١٩ (or. 1221)[٣] ، والتي تستند إلى ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » ، وتنص على وفاة ابن النديم يوم الأربعاء في ٢٠ شعبان ٣٨٥ (!) ، فلم ير فيها Fluegel أهمية تذكر ، لما وجده

(١) وفي كتاب « تاريخ التراث العربي للأستاذ فؤاد سزكين ، والذي يعتبر محوراً جديداً للدراسات العربية ، نرى المؤلف يتعرض لمسألة الاختلاف حول تاريخ وفاة ابن النديم ، واحتمال حياته حتى مطلع القرن الخامس الهجري أيضاً ، ولكنه لايتخذ موقفاً إزاءها ويقول : « إن سنة ٣٧٧ ﻫ التي صنف فيها كتاب الفهرست هي التاريخ الوحيد الثابت » ، راجع Fuat Sezgin Geschichte des Arabischen Schrifttums الجزء الأول ، ليدن ١٩٦٧ ، ص ٣٨٥

(٢) راجع أيضاً G. Fluegel في مقاله Ueber Muhammad bin Ishak' s Fihrist al - ulum ، في مجلة جمعية المستشرقين الألمـانية المذكورة ١٨٥٩/١٣/٦٠٠ ، ملاحظة رقم ١ ، حيث يقول : « وتدل أقوال متفرقة على أن ابن النديم كان لايزال على قيد الحياة بعد عام ٤٠٠ ﻫ/١٠٩٩ م » .

(٣) ١٩ وليس ٢٠ كما لدى Fluegel في الفهرست ، الجزء الأول ، مقدمة ص ١٦ و ١٨ (إقرأ تبعاً لذلك ٢١ عوضاً عن ٢٢ و ٢٠ عوضاً عن ٢١ ، وذلك في المقدمة ص ١٦ ومايليها) .

في كتاب الفهرست من تواريخ تتجاوز هذا العام (الفهرست : الجزء الأول ، مقدمة ص ١٢ ملاحظة رقم ٢ ، و ص ١٩) (١) . أما J. Fueck فلم يجزم بذلك أولاً في مقاله في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى : الجزء الثالث ١٩٣٦ ، مادة : النديم) ، وترك مجالاً لاحتمال إضافة هذه

(١) لقد نشر Fluegel هذا التاريخ — تبعاً للحاشية القديمة في مخطوطة ليدن ١٩ (or. 1221) : « ومات يوم الأربعاء لعشر بقين من شعبان سنة ٣٨٥ (راجع ملاحظة رقم ١٦ في هذا المقال) — وذلك في Jahresbericht der Deutschen Morgenlaendischen Gesellschaf t fuer **1845 - 1846** ليبزج ١٨٤٦ ، ص ٥٩ ، فتقبله الجميع غرباً وشرقاً ؛ ففي الغرب مثلاً : D. Chwolsohn في كتابه Die Ssabier und der Ssabismus ، الجزء الثاني (١٨٥٦) مقدمة ص ١٩ ؛ J. Fueck ، في مقاله المذكور في مجلة جمعية المستشرقين الألمانية ٨٤/ ١٩٣٠/١١٦ ؛ ذاته أيضاً في مقاله Neue Materialien zum Fihrist ، في المجلة المذكورة آنفاً ٩٠/١٩٣٦/٣٠٠ ؛ أو أخيراً ذاته أيضاً في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الجديدة) ، الجزء الثالث ١٩٧١ ، مادة ابن النديم (التي نشرت في العدد الصادر عام (١٩٦٨) . وفي الشرق مثلاً : إسماعيل باشا (١٨٣٩—١٩٢٠) في هدية العارفين (فرغ منه ١٩٠٧) ، الجزء الثاني ص ٥٥ ، (وتبعه ناشراً كشف الظنون لحاجي خليفة ، طبعة استانبول ١٩٤٢/٢/١٣٠٣ ، مادة : فوز العلوم) ؛ جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، الجزء الثاني (الطبعة الثانية) ١٩٣٠ ، ص ٣١٥ ؛ فهرست ابن النديم ، القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، بدون تاريخ ، مقدمة ص ٣ ؛ محمد علي مدرس ١٨٧٩ — ١٩٥٣ : ريحانة الأدب (الطبعة الثانية ١٣٤٩ شمسي) ٢٥٢/٨ ومايليها ، بمادة ابن النديم .

التواريخ بيد أخرى ؛ ولكنه قطع في هذا الأمر في طبعة دائرة المعارف الإسلامية الجديدة (١٩٦٨) ، حيث قال : « كل تاريخ يتعدى سنة ٣٨٥ هـ [عام وفاة ابن النديم المزعوم] هو إضافة من الناسخ ، مثلاً : ص ٨٧ سطر ٦ ؛ وص ١٦٩ سطر ١٣ ، وكلاهما ساقط من مخطوطة ب [أي مخطوطة Chester Beatty والتي سيأتي ذكرها] »[١] .

لعمري لقد علمتنا الخبرة في مصنفات التراجم العربية الوافرة ، أنه يمكن الوثوق عموماً بتاريخ السنة إذا رافقه تاريخ الشهر واليوم ، ولاسيما إذا عُيِّن اسم اليوم أيضاً ؛ فلطالما صدرت هذه التواريخ عن تقييدات مباشرة كملاحظات كتبها أصدقاء وزملاء ، أو أقارب ومعارف على ظهور كتبهم المختلفة ، أو أوراقهم المتفرقة ، أو على أحجار القبور ، كما يمكن البرهنة على ذلك[٢] . ولربما حصل ابن النجار (٥٧٨ هـ / ١١٨٣ م - ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م) على التاريخ الصحيح لوفاة ابن النديم عن هذا الطريق . ومن

(١) قارن : الفهرست ، الجزء الأول : مقدمة ص ١٣ ، حيث يرد Fluegel على O. Loth الذي سبقه في هذا الرأي ، أي في احتمال إضافة هذه التواريخ بيد أخرى ، وذلك في كتابة Das Classenbuch des Ibn Sa'd ليبزج ١٨٦٩ ، ص ٣ ملاحظة ٨

(٢) راجع أمثلة على ذلك في فهرس المواد من كتابنا حول المخطوطات العربية في ألمانيا (تحت الطبع) ؛ وكذلك مقالنا حول أحجار القبور في مكة ، والذي سيصدر في مجلة Oriens ؛ كما نود أن نشير إلى كتاب أبي الحسن القفطي « نهزة الخاطر ونزهة الناظر في أحاسن مانقل من ظهور الكتب » ، والذي لم يصل إلينا كما يبدو ، (قارن مجلة Oriens ٨ / ١٩٥٥/٣٤٩) .

المؤسف أن ما يدعى « بالذيل » لتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م) لما يصل إلينا منه إلا قطع قليلة ، وعلى قدر ما تبين لنا فهي لا تتضمن ترجمة لابن النديم [١] .

وفي الآونة الأخيرة جاءنا B . Ddge بدليل آخر على التاريخ الصحيح لوفاة ابن النديم ، وذلك في مقالة « حياة ابن النديم » (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٤٥/١٩٧٠/٥٤٥ – ٥٥٥) والذي ترجمه عن الانكليزية الدكتور أ . ج . شوريز ، معتمداً على مقدمة Dodge في ترجمته لكتاب الفهرست إلى الإنكليزية الصادرة في نفس العام أيضاً . لقد وجد Dodge في مخطوطة الفهرست الأصلية الموجودة في مكتبة Chester Beatty تحت رقم ٣٣١٥ [٢] ، أن المقريزي قد أضاف بخطه عام ٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م الحاشية التالية : « توفي يوم الأربعاء لعشر بقيت من شعبان سنة ثمانين وثلثمائة » مقال Dodge المذكور آنفاً ص ٥٥٥) .

---

(١) راجع Caesar E. Farah في مقاله : Ibn - al - Najjar a neglected Arabic historian في المجلة الأميركية Journal of the American Oriental Society ٨٤/١٩٦٤/٢٢٠ – ٢٣٠ خصوصاً ص ٢٢٣ و ٢٢٧ ومايليها ؛ إن كتاب المستدرك على تاريخ الخطيب المذكور ص ٢٢٤ تحت رقم ٢١ ، هو قسم من « الذيل » كما يبدو ، وله عنوان آخر أيضاً وهو « تأريخ لمدينة السلام وأخبار فضلائها الأعلام ومن وردها من علماء الأنام » .

(٢) لقد وصف Dodge هذه المخطوطة مستفيداً بذلك من سابقه A. J. Arberry في مقدمة ترجمته للفهرست The Fihrist of al - Nadim a tenth - century survey of Muslim Culture والتي نشرها في مجلدين عام ١٩٧٠ (نيويورك – لندن) ونشر فيها صورة لصفحة عنوان =

إن الفرق الأساسي بين هذا التاريخ والتاريخ الذى يقرره Fluegel تبعاً لحاشية ابن النجار هو في تاريخ السنة : أي ٣٨٠ هـ عوضاً عن ٣٨٥ﻫ . فإذا ما راجعنا النص الذي اعتمده Fluegel ودققنا في أصله – وهو مخطوطة ليدن رقم ١٩ (or. 1221) (١) – وجدنا أن في الأمر تصحيفاً سببه اعتبار

= هذه المخطوطة وعليها حاشية المقريزي ؛ وهناك أمثلة أخرى لخط المقريزي ، راجع من أجلها : بروكلمن في « دائرة المعارف الإسلامية » (الطبعة الأولى) مادة المقريزي ؛ الزركلي في الأعلام ١/١٧٢ لوحة ١١٨ ؛ هذا وقد نقد S. D. Goitein ترجمة Dodge المذكورة ، وذلك في المجلة الأميركية The Middle East Journal ، ٢٦/١٩٧٢/٨٧ ومايليها . كما نقد الأستاذ محمد جواد مشكور طبعة الفهرست الجديدة التي نشرها الأستاذ رضا تجدد في طهران ١٣٥٠ شمسي ، وذلك في المجلة الإيرانية « راهنماى كتاب » ١٥ / ١٣٥١ شمسي /٢٦٣ – ٢٧٣ و ٤٤٩ – ٤٦٠ . وإنه لمن المؤسف حقاً أننا لانزال نفتقر إلى تحقيق يستوفي جميع الشروط العلمية لهذا المؤلف القيّم ، فالمستشرق الألماني J. Fueck والأستاذ العربي محمد بن تاويت الطنجي رحمها الله لم يكتب لهما إتمام عملهما في تحقيقه . فقد توفي Fueck في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٧٤ في مدينة Halle بعد أن جاوز الثانين من عمره ، وكانت جمعية المستشرقين الألمانية قد كلفته في الثلاثينيات بتحقيق كتاب الفهرست لسلسلة « النشرات الإسلامية » التي تصدرها ؛ وكما يبدو فإن عمله لم يتعد جمع جزازات وافرة لعناوين كتب واسماء مؤلفين . أما محمد الطنجي فقد بدأ في إعداد التحقيق في الخمسينيات وتوفي في شباط ١٩٧٥ في أنقرة بعد أن درّس فيها أكثر من عشرين عاماً ؛ وإننا لاندري مدى ما خلفه وراءه من هذا العمل .

(١) راجع من أجل هذه المخطوطة مقال P. S. Van Koningsveld في المجلة الألمانية Der Islam ٤٩/١٩٧٢/٢٩٤ ومايليها .

الصفر في هذا الرقم خمسة (١) . إن تعيين يوم الأربعاء يؤيد صحة تاريخ الوفاة في سنة ٣٨٠ ﻫ . فالعشرون من شعبان قد وقع ذلك العام حقاً في يوم الأربعاء ، أما في سنة ٣٨٥ ﻫ فقد صادف يوم الخميس . كما أننا نجد تاريخ السنة ٣٨٠ﻫ مكتوباً بالكلمات لا بالأرقام لدى الصفدي (ت ٧٦٤ﻫ ١٣٦٣ م) وذلك في كتاب الوافي بالوفيات ٢ (١٩٤٩) ، ص ١٩٧ رقم ٥٦٨) . أما ما نراه في لسان الميزان (٥/٧٢ رقم ٢٣٧) لابن حجر (ت ٨٥٢ ﻫ / ١٤٤٩ م) تبعاً لأبي طاهر الكرجي (في الطبعة : الكرخي) من أن ابن النديم « مات في شعبان سنة ثمان وثلاثين » ، فهو لا شك خطأ مطبعي أو سهو في نسخ « ثمانين وثلثمائة » (٢) والله أعلم .

(١) إن نقطة الصفر كبيرة نسبياً ، ولكنها صفر قطعاً ، فهي نقطة وليست دائرة ؛ راجع أعلاه ملاحظة رقم ١١ . كما أود في هذا الموضع أن أكرر شكري لمكتبة جامعة ليدن لإرسالها نسخة مصورة عن الصفحات الأولى لهذه المخطوطة .

(٢) لقد عدل الزركلي في الأعلام (٦/١٩٥٥/٢٥٣) الرقم المصحف ٣٨ إلى ٤٣٨ ، مبتعداً بذلك عن الصواب . أبو طاهر الكرخي الذي يعتمده ابن حجر ، هو أبو طاهر أحمد بن الحسن الكَرَجي (ت ٤٨٩ ﻫ/١٠٩٦ م) ؛ راجع : الأنساب للسمعاني ورقة ٤٧٧ ب ؛ المنتظم لابن الجوزي ٩/٩٨ ، حيث يروي « الكرخي » . تذكرة الحفاظ للذهبي (الطبعة الثانية) ص ١٢٢٧ : حيث يروي « الكرخي » ، والعبر للذهبي أيضاً ٣/٣٢٤ ، حيث يروي « الكُرْجي » ؛ الوافي بالوفيات للصفدي ٦/٣٠٦ ويروي« الكرجي » شذرات الذهب لابن العميد الحنبلي ٣/٣٩٢ ويروي « الكَرَخي » ؛ ومن المعلوم أن ابن النجار قد اعتمد أبا طاهر الكرجي وكتبه كمصدر من مصارده ، انظر : G. Makdisi في كتابه باللغة الإفرنسية Ibn Aqil دمشق ١٩٦٣، ص ٤١

وبالإضافة إلى ذلك كله فإن لدينا حجة أخرى تدعم تاريخ وفاة ابن النديم يوم الأربعاء في العشرين من شعبان سنة ٣٨٠هـ/١٢ تشرين الثاني ٩٩٠م[١] . فلقد دون ابن النديم نفسه (الفهرست ١٣٢/١ ،سطر ٧ وما يليه) أن المرزباني ولد « في جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين ومائتين ويحيا إلى وقتنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلثمائة » ومن المدهش أن يلي ذلك مباشرة « وتوفي سنة ثمان وسبعين وثلثمائة » . لا بد وأن هذه الكلمات الخمس حاشية تداخلت مع النص ويجب حذفها منه ، كما سبق وأشرت إلى ذلك عام ١٩٦٤ في مقدمة تحقيقي لكتاب المقتبس للمرزباني باختصار الحافظ اليغموري والمسمى بنور القبس . ما أبعد تاريخ الوفاة هذا عن الصواب ، فقد توفي المرزباني في بغداد في الثاني من شوال سنة ٣٨٤/٩ تشرين الثاني ٩٩٤م ، ولا أظن أن ابن النديم قد كتب هذه الحاشية الخاطئة ، وهو الذي كان يعرف المرزباني معرفة شخصية ويقدره حق قدره ، وما كان أحرى به أن يضيف تاريخ وفاته الصحيح ، وأن يعدل النص لو لم يكن نفسه قد فارق الحياة قبله[٢] . ومن الواضح أن ابن النديم قد اعتزم بعد إنهائه لمؤلفه عام ٣٧٧ هـ / ٩٧٨ — ٩٨٨ م أن يضيف

(١) لقد أخطأ مترجم مقال Dodge ، إذ ذكر (ص ٥٥٥) : ١٢ تشرين الأول ، والصواب : ١٢ تشرين الثاني .

(٢) هناك موضع آخر في الفهرست ٢٨٣/١ وما يليها (مادة : الكوهي) قد يدل أيضاً على أن ابن النديم لم يعش بعد عام ٣٨٠ هـ ؛ راجع مقال Dodge المذكور ، ص ٥٥٣

إليه تباعاً ، ولعله نظر إلى صحته وعموه (١) ، فتوجه إلى النـاظر في كتابه (الفهرست ١ /١٩٣ ، سطر ١٧) طــالباً منه أن يلحق به ما يتناهى إليه من معلومات جديدة : « ... فإن رأى ناظر في كتابنا شيئاً منها ألحقها بموضعها إن شاء الله تعالى » .

ترجمة : حسام الصغير

(١) ولاتذكر المصادر تاريخ ولادة ابن النديم أو عمره ؛ ويعتبر J. Fueck عام ٣٢٥ هـ/ ٩٣٦ - ٩٣٧ م أقرب نقطة يمكن تحديدها كتاريخ لولادته ، مستنداً بذلك إلى موضع الفهرست ٢٣٧/١ ، سطر ٦ ، وذلك في مقاله المذكور في مجلة جمعية المستشرقين الألمانية ١١٦/١٩٣٠/٨٤ ، كما في دائرة المعـارف الإسلامية (الطبعة الجديدة) ، مادة : ابن النديم . هـذا وإنا لم نستطع الاهتداء إلى مصدر عباس القمي (بروكلمن Gal ، ذيل ٨٤٠/٢) فى الكنى والألقاب ٤٣٢/١ ، حيث يعتبر جمادى الآخرة عام ٢٩٧ هـ تاريخاً لولادة ابن النديم (راجـع أيضاً : ريحانة الأدب للمدرس ٢٥٣/٨ ، الطبعة الثانية) ، وهذا التاريخ هو تاريخ ولادة المرزباني .

رُوّاد شرح الشِّعر

الدكتور فخر الدين قباوة

عندما نشطت حركة التدوين خرج العلماء إلى البادية ، يجمعون الشعر القديم ، محلّى بما يقتضيه من أخبار وأنساب (١) وتفسير لما أشكل من غريبه ومعانيه . ولهذا كان أبو عمرو بن العلاء يجمع ، طوال حياته ، أشعار العرب القدماء ، ملحقاً بها شروحاً مع بعض الملاحظات اللغوية (٢). وكذلك كان يفعل معاصروه ، أمثال حمّاد الراوية ، والمفضّل الضبّي، وخلف الأحمر ، الذين ألحقوا بما رووه أو دوّنوه من أشعار العرب إشاراتٍ سريعة من تفسير لغريب ، وشرح لمعنى ، وبسط لخبر أو نسب ، ونقد لشاعر.

ففي أمثال العرب ، للمفضّل الضبي (٣) أن قيس بن زهير أغار على إبل بني زياد ، واستاقها ، حتى قدم بها مكة ، وباعها . « فقال قيس في ذلك :

أَلَمْ يَبْلُغْكَ ، والأنباءُ تَنْمِي   بما لاقَتْ لَبُونُ بَني زيادِ ؟

---

(١) تاريخ الأدب العربي لبلاشير ١ : ١٢٦ ، والعصر الجاهلي ص ١٤٨

(٢) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢ : ١٢٩ حيث نسب المؤلف إلى أبي عمرو الشرح المنشور على ديوان الخرنق . والراجح أنه لشارح آخر نقل عن أبي عمرو في ص ٦ و ٧ وعن أبي مرهب في ص ٧ ، وانظر ص ٩ منه أيضاً .

(٣) أمثال العرب ص ٣٨ — ٣٩

ومَحْبِسِها ، لدَى القُرشيّ ، تُشْرَى بأدراعٍ ، وأسيافٍ ، حِدادِ
ألم يَعلمْ بَنُو الميقابِ أنّي كريمٌ ، غيرُ مُعتلثِ الزِّنادِ

أي : ليس بفاسد الأصل . الوقب : الأحمق . والميقاب مثله ، وقالوا : التي تلد الحمقى . ومعتلث : لا خير فيه .

أطوّفُ ما أطوِّفُ ، ثم آوِي إلى جارٍ ، كجارِ أبي دُؤادِ

جار قيس بن زهير : ربيعة بن قرط بن غيلان بن أبي بكر بن كلاب . ويقال : جار أبي دؤاد : الحارث بن همّام بن مرّة بن ذهل ابن شيبان . وكان أبو دؤاد في جواره ، فخرج صبيان الحي يلعبون في غدير ، فغمسوا بُنيَّ أبي دؤاد ، فمات . فخرج الحارث ، فقال : لا يبقى في الحيّ صبيّ إلا غرّقتُه في الغدير . فودى ابنَ أبي دؤاد ، بذلك عدّة ديات » .

وإذا كان أكثر ما دوّنه رجال هذه الطبقة لم يصل إلينا ، خالصاً مجرّداً صرفاً كما أثبتوه ، لنستطيع أن نتبيّن مدى أثرهم الشخصي فيه ، فإن المتأخّرين ، من علماء القرنين الثاني والثالث ، قد استوعبوا في مصنّفاتهم نبذاً كثيرة من تلك الجهود تقدّم للدارس أمثلة حيّة من آثار أسلافهم ، في تقريب الشعر القديم إلى الأفهام ، وحفظه من الاندثار بين طيات الغموض والإبهام .

ثم كان الجيل الثاني ، من أمثال الأصمعيّ ، وأبي عبيدة ، وأبي زيد ، والأخفش الأوسط ، وأبي عمرو الشيبانيّ ، وابن الأعرابيّ ، فتلقف أبناؤه تراث شيوخهم وأضافوا إليه ، من جهودهم ، ثروةً غنيّة من التفسير والشرح والنقد . وبذلك اتسع ميدان الشروح ، وتكوّن من نتاج صنيعهم

خطوة واضحة للشروح الأدبية المقصودة ، محتفظة بالبساطة القائمة على الإيجاز، والدقّة ، والإجمال ، خلا ما يورد أحياناً من أخبار مطوّلة مسهبة .

كان همّ الطبقة الأولى هو جمع الشعر العربي وحفظه من الضياع ، فانصبّت جهود رجالها في روايته وتدوينه (١) . أمّا ما ضمّوه إليه من تعليقات ، فقد كان عنصراً ثانوياً ، عارضاً غير مقصود لذاته . ذلك لأنّ حماداً ، والمفضّل ، وخلفاً ، وأضرابهم ، كانوا رواة للشعر والأخبار أكثر منهم رجال لغة ومعان ، في حين أنّ تلاميذهم كانوا أصحاب رواية ، ولغة ، وتفسير ، ونقد . فظهرت في مصنّفاتهم أصداء هذه الجوانب ، متعاونة منسجمة ، وإن كانت الرواية قد لبثت في آثارهم محتفظة بسيادتها وظهورها .

وبين رجال هاتين الطبقتين تطوّرت حركة الشروح تطوّراً ظاهراً في الإملاء والتصنيف . وقد كان أكثر مدوّني المصنّفات الأولى يثبتون ـ أو يملون ـ القصيدة ، أو المقطوعة ، كاملة ، ثم يُتبعونها تعليقاتهم . ولكن منتصف القرن الثاني استطاع أن يدفع العلماء إلى تعديل تلك الطريقة بحيث يتيسر للقارىء والسامع الفهم وصحة الاستفادة . ذلك أنّ إثبات التفسير في ذيل القصيدة ، أو المقطوعة ، يتطلب من السامع حفظَ الأبيات المفسّرة كلّها ، ومن القارىء الرجوعَ إلى الأبيات مراراً ، ليتم استيعاب المعاني . وهذا أمر يعسر تحقيقه على الشادين والضليعين (٢) . وقد أحسّ العلماء ، بضرورة إيجاد سبيل يزيل ذلك العسر . فكان أن أثبت

(١) تاريخ الأدب العربي لبلاشير ١ : ١٤١ وشرح ديوان أبي تمام ص ١٠ من مقدمة الناشر .

(٢) انظر شرح الحماسة للتبريزي ١ : ٦

الأخفش تحت كل بيت من الشعر تفسيره .

وقد اختلف في تحديد الأخفش الذي خطا هذه الخطوة بالشروح ، فقيل : هو أبو الخطّاب الأخفش الأكبر . وقيل : هو الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة ، قال السيوطيّ [١] : « أبو الخطّاب أوّل من فسّر الشعر تحت كلّ بيت . وما كان الناس يعرفون ذلك قبله ، وإنما كانوا إذا فرغوا من القصيدة فسّروها » . وقال أبو العباس أحمد بن يحيى [٢] : « أوّل من أملى غريبَ كلّ بيت من الشعر تحته الأخفش ـ وكان ببغداد ـ وكان الطوسيُّ مستمليه . ولم أدْرِكْه ، لأنه كان قبل عصرنا ، وكان يقال له: الأخفش الراوية » .

وإذا كان لا بدّ لنا من الخوض في هذا الخلاف ، فإننا نرجّحُ قول أبي العبّاس ثعلب ، على قول السيوطيّ ، للأسباب التالية :

١ ـ ثعلب من علماء القرن الثالث ، والسيوطي من علماء القرن التاسع . وللقديم في مثل هذا الموضوع حقّ الترجيح ، ولا سيّما إذا علمنا أن ثعلباً قد ولد [٣] في عصر الأخفش الأوسط ، وعاصر أصحابه وتلاميذه ، وأخذ عنهم أخباره . أما السيوطي فقد كان ينقل عن الكتب التي وقف عليها ، وليس بعيداً أن يكون قد تعجّل النقل فنسب إلى الأخفش الأكبر ما هو للأخفش الأوسط .

---

(١) المزهر ٢ : ٤٠٠ ، وبغية الوعاة ص ٢٩٦ وانظر : الأعلام ٤ : ٥٩ وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢ : ١٥١

(٢) طبقات النحويين واللغويين ص ٧٦ وإنباه الرواة ٢ : ٣٩ . وكلاهما في ترجمة الأخفش الأوسط .

(٣) ولد ثعلب سنة ٢٠٠ وتوفي الأخفش سنة ٢١٥ . بغية الوعاة ص ١٥٨ و١٧٢

٢ ــ اتصل أبو العباس ثعلب بالمصنفات الأدبية واللغوية ، منذ صباه . فاطلع على مؤلفات الأخفش الأوسط ومن تقدَّمه وعاصره . وقد ازداد بها خبرة حين رجع إليها ، وصنع الشروح على دواوين الشعر القديم(١). فكان أقدر على القول الفصل في مثل هذا الموضوع .

٣ ــ عُرف الأخفش الأكبر باللغة والنحو ، فلم يترك آثاراً في ميدان الشروح الأدبية ، يَستخلص منها الدارسُ طريقته في الشرح . بل إنه قلما ورد ذكره في مصنّفات الشروح الأدبية وغيرها . أما الأوسط فقد كان له ، بالإضافة إلى شهرته اللغوية والنحوية ، جهود في الشروح الأدبية ، خلّف منها كتاب (٢) « معاني الشعر » ، وذكراً ظاهراً في مصنّفات المتأخرين من الشراح . وحَرِيٌّ بآثاره هذه أن تقدّم لثعلب وغيره أنموذجاً من صنيعه في تاريخ الشروح الأدبية .

٤ ــ الأخفش الأكبر معاصر لرجال الطبقة الأولى من مدوّني الشعر ومفسّريه ، ولم يكن قبله من يعملون في هذا الميدان لننسب إليهم تفسير الشعر جملة . أما الأخفش الأوسط فقد تقدمه رجال الطبقة الأولى ، أمثال أبي عمرو بن العلاء ، وحماد ، والمفضّل ، وخلف . وغير بعيد أن يكون هؤلاء قد التزموا في بدء مصنّفاتهم وأماليهم أن يفسروا أبيات القصيدة بعد الفراغ من إنشادها .

وأيّاً كانت الحال فإنّ ظاهرة تفسير غريب كلِّ بيت تحته يمكننا أن نجعل منتصف القرن الثاني تاريخاً لها . فهي ـ أكانت صنيع الأخفش الأكبر أو صنيع الأوسط ـ من نتاج تلك الحقبة . فالأخفش الأوسط ، وإن كان قد أدرك العقد الثاني من القرن الثالث ، هو من معاصري الأخفش

(١) انظر مجالس ثعلب ص ١٨ — ٢٢ من مقدمة الناشر .

(٢) إنباه الرواة ٢ : ٤٢ . وانظر معاني الشعر ص ٦

الأكبر . وذلك أن الأخفش الأوسط كان من طبقة سيبويه وأقدم منه[١]. فهو ، على هذا ، مولود في العقد الثالث من القرن الثاني ، ومعاصر للأخفش الأكبر ، قريباً من نصف قرن[٢] .

فإذا اطمأننا إلى ما ذكرناه من تحديد تاريخ تلك الظاهرة ، استطعنا أن نفهم لمَ كانت بعض شروح الطبقة الأولى متّبعة نهج الأخفش ، فالمفضّل الضبيّ مثلاً ، وهو من رجال الطبقة الأولى ، غالباً ما يلزم في كتابه « أمثال العرب » طريقة الأخفش[٣] . فلعله لمس جدواها وفائدتها ، فاعتمدها في مصنفاته مؤخّراً ، وإن بقيت آثار النهج القديم في مواطن[٤] من تلك المصنفات .

وقد استطاع النهج المحدث أن يشق سبيله ويجمع لنفسه الأنصار والمريدين ، حتى استبدت سلطته بأكثر من تصدّى لتصنيف الشروح . وها نحن أولاء نعرض نماذج متفرقة لشروح الطبقة الثانية تمثل المؤرخ صورة واقعية لتلك الجهود .

ففي ديوان سلامة بن جندل شروح لأبي عمرو الشيباني مثالها ما يلي[٥]:

كنّا نَحُلُّ ، إذا هَبَّتْ شآميةٌ بكلِّ وادٍ حَطِيبِ البَطْنِ مَجدُوبِ

---

(١) قال المبرد : « الأخفش أكبر سناً من سيبويه » . إنباه الرواة ٢ : ٤٠ وانظر طبقات النحويين ص ٧٤ وبغية الوعاة ص ٢٥٨ .

(٢) لم يعرف تاريخ وفاة الأخفش الأكبر ، وحدده بروكلمان بعام ١٧٧

(٣) انظر أمثال العرب ص ٨ و ١٠ و ١٤ و ٢٤ و ٣٠ و ٣٧ و ٣٨ و٣٩ و ٤٣ . . .

(٤) انظر أمثال العرب ص ٧ و ٢١ و ٢٢ و ٤٥

(٥) ديوان سلامة بن جندل ص ١١٩ — ١٣١

قال أبو عمرو : مجدوبٌ : مَعِيبٌ . وأنشد :

أبارِقُ ، إنّي لا أريدُ أذاكُمُ   ولا ضَرْبَكُم،مالم تُعينُوا على جَدْبي

أي : عيبي . ويروى : خصيبِ البطنِ . فمن روى : خصيب ، يقول : هذا الوادي فيه مرعى ونبات ، فهو ثغر يتحاماه الناس ، فنحن نحلّه ونرعى ما فيه ، لعزّنا .

شيبِ المبَارِكِ،مَدْرُوسٍ مدافِعُهُ   هابي المَراغِ،قليلِ الوَدْقِ،مَوْظُوبِ

قال أبو عمرو : شيب : ليس به كلأ ، ولا ثَمَّ شيء ، فهو أبيض. وموظوب : واظبوا عليه ، حتى أُكل ما فيه . ويكون من : واظبتْ عليه السنون . والدّرس : الدّياس ، عند أهل الشام وعند أهل العراق . وأنشد لابن ميّادة :

يكفيكَ ، من بعضِ ازديارِ الآفاقْ   سَمراءُ ، ممّا دَرَسَ ابنُ مِخْراقْ

سمراء : حنطة . دَرَسَ : داس .

كنا إذا ما أتانا صارخٌ ، فَزِعٌ   كانَ الصُّراخُ لهُ ، قَرْعَ الظَّنابيب

قال أبو عمرو : الظُّنبوب : عظم السّاق . قال : إذا أرادوا أن يُنيخوا البعير فتعسر عليهم ، ضربوا ظنبوبه فيبرك . يقول : إذا أتانا صارخٌ ، أنخنا الإبل ، ثم ركبنا . ويروى : كانت إناختُنا . وأنشد :

إذا استرخَتْ عمادُ الحيّ شُدَّتْ   ولا يُثْنَى ، لقائمةٍ وظيفُ

يقال : جعلَ أمرَه على ظنبوبِ ساقهِ ، وعلى حبل ذراعهِ : إذا اعتزم عليه وهمَّ به . وقال النابغة :

* وقد جعَلُوا المِصاعَ على الذّراعِ *

وفي شرح النقائض نرى ، على بيت الفرزدق :

وعَضُّ زَمانٍ ، يا بنَ مروانَ ، لم يَدَعْ
من المـالِ ، إلاّ مُسْحَتاً ، أو مُجَلَّفُ

الشرح التالي[١] : قال سعدان : أخبرنا أبو عبيدة قال : سمعتُ راوية الفرزدق يروي هذا البيت : لم يَدِعْ * من المال إلاّ مُسحِتٌ ، أو مُجرّفُ ، بالرفع . يقول : لم يَدِع ، من الدّعة ، أي لم يتّدِع . قال : والمسحِتْ : الذي لا يدع شيئاً إلاّ أخذه . قال : والمجرِّف : الذي أخذ ما دون الجميع . قـال : ومن قال إلاّ مسحتاً أو مجرّف ، أراد وهو مجرّف . قال أبو عبيدة : قوله : « لم يـدِع » أي لم يثبت ويستقرّ ، من الدّعة ، إلا مسحت من المـال ، ومجرّف . قال : فارتفع مسحت ومجرف بفعلها . قال : وأنشدنا لسويد بن أبي كاهل :

* أرّقَ العينَ خَيالٌ ، لم يَدِعْ *

يقول : لم يستقرّ . وهو من الدّعة .

وقال البغدادي[٢] في شرح هذا البيت :

كفَى بالنّأيِ ، من أسماء ، كافي وليسَ لنأيِها ، إذ طال ، شافي

« هذا البيت مطلع قصيدة لبشر بن أبي خازم .. وقال أبو عبيدة شارح ديوان بشر ـ وهو عندي بخطّه ، وهو خط كوفيٌّ ـ المعنى : لا يُصيبني بعد هذا شيء أشدُّ منه ، وهو سقَم ومرَض . ويروى : وليس لسُقمه ، أي : السقمِ الناشيء من بعدها ، ويروى أيضاً : وليس لسقمها ، أي : السقمِ الذي حصل لي منها . هذا كلامه » .

---

(١) شرح النقائض ص ٥٥٦ ـ ٥٥٧
(٢) الخزانة ٢ : ٢٦٢

وقال أبو زيد الأنصاري (١) : « قال نفيع (٢) بن جرموز بن عبد شمس – وهو جاهلي – :

أطوّفُ ما أطوّفُ ثمّ آوي إلى أمّا ، ويُرْويني النّقيعُ

قال المفضّل : كذا أنشدَناه أبو المدرّج : إلى أمّا ، كما يقال : يا أبا ، موضع : يا أبي .

وفي النوادر أيضاً (٣) : « قال الأعشى :

ولستَ بالأكثرِ منهمْ حَصىً وإنّما العِزّةُ للكاثرِ

أبو زيد : أراد : بأكثر منهم حصى . والحصى : العدد الكثير . وكذلك القِبْصُ » . وقال العجاج :

وآضتِ الأعناقُ سُوقَ العُنْصُلِ مُختضِعاتٍ ، برؤوسٍ ، مُيَّلِ

فقال الأصمعيّ (٤) شارحاً : « قوله : آضت ، يقول : صارت تمشّى ، من النّعاس ، مثلَ سوق العنصل . والعنصل : نبت يشبه البصل . مختضعات ، يقول : صارت الرّقاب منكّسات » .

وقال الأصمعيّ في شرح هذا البيت ، من شعر ذي الرّمّة (٥) :

وبالشّمائلِ ، من جَلّانَ ، مُقتنِصٌ
زَوْلُ الثّيابِ ، خَفيُّ الشّخصِ ، مُنْزَرِبُ

---

(١) النوادر ص ١٨ – ١٩
(٢) وقيل هو نقيع . انظر المؤتلف والمختلف ص ٣٠٠ ؛ والنوادر ص ١٨
(٣) النوادر ص ٢٥
(٤) ديوان العجاج ص ٣٠٨
(٥) الخزانة ٢ : ٣٦٥

الشمائل : جمع شمال . وجلاّن : قبيلة من عنزة وهم رُماة [١] . وزولُ الثياب ، خلقُها . وخفيّ الشخص بمعنى ضئيل الشخص ، خلقةً . والمنزرب : الداخل في الزّرْب ، وهو قُتْرة الصائد . يقال : انزرب ، إذا دخل » .

وقالَ ذو الرُّمّة [٢] :

أعاذلَ ، عُوجي من لسانِكِ ، عن عَذْلي
فما كلُّ من يَهْوَى رَشادِي على شَكلي

فما لامَ يوماً من أخٍ ، وهْو صادقٌ ،
إخايَ [٣] ، ولا اعتلَّت على ضَيْفها إبلي

إذا كان فيها الرِّسْلُ لم تأتِ دُونَهُ
فِصالي ، ولو كانتْ عِجافاً ، ولا أهلي

وإنْ تعتذِرْ بالمَحْلِ مِن ذي ضُروعِها
إلى الضَّيفِ ، يَجرَحْ في عَراقيبها نَصْلي

وقد علّق البغدادي على هذه الأبيات ، بما يلي : « قال الأصمعي في شرح ديوانه : عوجي من لسانك ، أي : كُفّي . ولفظ « عوجي » على الحقيقة : اعطفي . والشكل : الضرب . يقول : ما كلُّ من يهوى ذلك مني على طريقي وعلى مذهبي . وقوله : فما لام يوماً من أخ ، قال الأصمعي : « اعتلّت » أطلق اللفظ على الإبل ، والمعنى على أصحابها .

---

(١) في المطبوعة : « مارة » .

(٢) الخزانة ١ : ٢٨٤ — ٢٨٥

(٣) في مطبوعة الخزانة « أخاي » .

يقول : لم أبخل ، فأعتذرَ إلى الضيف . وقوله : إذا كان فيها الرِّسل : قال الأصمعي : الرِّسل : اللبن ، حلوه وحامضه وخاثره ورقيقه . يقول : لا أسقي فصالي وأدع ضيفي ، ولو كانت عجافاً مهازيل . يقال : عَجِفَ الدابةُ ، وأعجَفَهُ صاحبُهُ . وعَجَفْتُ نفسي عن كذا ، إذا صَرفتها . وقوله : وإن تعتذر بالمحل ، قال الأصمعي : اعتذارها للضيف ألاّ يرى فيها محتَلَباً من شدة الجدْب والزمان . فإذا كانت كذلك عقرتها . قال الأصمعي : كل ذي أربع عرقوباه في رجليه ، وركبتاه في يديه . وعرقتُ الدابّةَ : قطعتُ عرقوبَها . والعرقوب من الإنسان : العصب الغليظ الموتّر فوق العقب . والنصل : حديدة السّيف والسّكّين » .

وقال ابن هشام(١) : « أنشدني أبو محرز ، خلف الأحمر ، وأبو عبيدة لعبّاس بن مرداس ، أحد بني سُلَيم بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان ، يفخر بِعَكّ :

وعَكُّ بنُ عدنانَ الذينَ تَلَقَّبوا بغَسّانَ ، حتّى طُرِّدُوا كلَّ مَطْرَدِ

وهذا البيت في قصيدة له . وغسّان : ماء بسدّ مأرب باليمن ، كان شرباً لولد مازن بن الأسْد بن الغوث ، فسُمّوا به . ويقال : غسان : ماء بالمُشلَّل قريب من الجُحْفة . والذين شربوا منه ، فسمّوا به قبائلُ من ولد مازن بن الأسْد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . قال حسّان بن ثابت الأنصاريّ : ـ والأنصار : بنو الأوس والخزرج ، ابني حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن

(١) السيرة ١ : ٥ — ٧ . وقد صنع كتاباً في شرح أشعار السير . وفيات الأعيان ٢ : ٣٤٩

عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسْد بن الغوث ـ :

إمّا سألتِ فإنّا مَعشرٌ ، نُجُبٌ الأسْدُ نِسبتُنا ، والماءُ غسّانُ

وهذا البيت من أبيات له » .

وقال أبو تمام (١) ، في شرح بيت الأخطل :

حُشْدٌ على الحقّ ، عن قولِ الخَنا خُرُسٌ وإنْ ألمّتْ بهم مَكروهةٌ صَبَرُوا

« حشد : يتحاشدون على الحقّ ، ويتعاونون عليه ، ويجتهدون فيه . والخنا : الفحش . ألمّت بهم(٢) : أصابتهم . مكروهة : داهية وشِدّة . يقول : هم يتعاونون على إقامة الحقوق ، وهم حُلماء يصمتون عن الفحش ، وإن أصابتهم الشدائد صبروا عليها » .

وقال ابن الأعرابي (٣) : « سُبَيع بن الخطيم التيميّ ، فرسه نحلة . ويقال له : فارس نحلة . خطب إلى عمه ، فقال له : نعم أزوّجك بنتي ، على أن تعطيني فرسك نحلة ! فأبى ، وقال في ذلك :

إنّي رأيتُ أبا شَيباءَ مُتَّلِيـاً إذا أُكلّمُـهُ في رأسِ أُسلوبِ

يقولُ : نحلةَ أودِعْني ، فقلتُ لهُ : عَوّلْ عليَّ بأبكارٍ ، هَراجيبِ

ماذا أقولُ ، إذا مُلّكتُ ، وابتَكروا بسَمْحَجٍ ، كقناةِ الرمحِ ، سُرحُوبِ

لجّتْ عليَّ يمينٌ ، لا أبدّلُها من ذاتِ قُرْطينِ ، بينَ النّحرِ والثّوبِ

(١) نقائض جرير والأخطل ص ١٥٥

(٢) سقط « بهم » من المطبوعة .

(٣) أسماء خيل العرب وفرسانها ص ٥٨ — ٥٩

الأبكار : التي وضعتْ بطناً واحداً . والهراجيب : الطوال السِّمان » .

وفي شرح بيتِ بشر بن أبي خازم :

تَراهـا ، من يَبيسِ الماءِ ، شُهباً
مُخالِطَ دِرَّةٍ ، منهـا ، غِرارُ

قال ابن الأعرابي [١] : « يقول : لا ينقطع عِرقُها ، فتنقطعَ [٢]، ولا يكثر فيضعفَها . والدِّرة : أن تدرَّ . والغرار : القلَّة . ويقال : غارَّت الناقةُ ، إذا قلَّ لبنُها ، بعد مجيئه » .

حلب — كلية الآداب فخر الدين قباوة

(١) المعاني الكبير ص ١٠

(٢) زيادة من شرح المفضليات للأنباري ص ٦٧٥ حيث أورد بعض شرح ابن الأعرابي .

السماع بالإفادة

الأستاذ مطاع الطرابيشي

لاحظتُ أثناء تحقيقي كتاب السؤالات للحافظ السِّلَفي (١) أنه تكرَّر في أجوبة خميس الحَوْزيّ عبارة السماع بالإفادة ، ومع تتبُّع المواضع التي وردت فيها ، قاد البحثُ إلى مثيلات لها في المصادر الأخرى ، فاجتمع لديّ بذلك قدر لا بأس به منها ، أحببتُ تسجيله مرتّباً لعل المقارنة تهدي إلى الكشف عن معنى تلك العبارة ، وإنْ كنتُ أعتقد أن هذه الدراسة الموجزة والنتائج التي انتهت إليها ليست في غاية المطاف أكثر من محاولةٍ ؛ أرجو أن تكون قد وُفقتْ لإثارة البحث في مصطلح السماع عند المحدّثين .

قال أبو نُعَيم الأصبهاني (ت ٤٣٠) :

في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن أَسيد : « سمع بفائدة والده من العراقيّين » .

(أخبار أصبهان ٢/٢٧٣)

---

(١) عنوانه الكامل : « سؤالات الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي أبا الكرم خميس بن علي الحوزي عن جماعة من أهل واسط ومن الغرباء القادمين إليها . » وقد فرغت من تحقيقه بحمد الله .

وقال الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣) :

في ترجمة أبي العلاء الواسطي : « أنبأنا القاضي أبو العلاء من كتابه في سنة (٤٢٣) ، نبَّأنا عبد الله بن موسى السلاميّ الشاعر ؛ بفائدة ابن بكير .. » وساق حديثاً بإسناده ثم قال : « أفدتُ هذا الحديثَ عن أبي العلاء جماعةً من أصحابنا مع تعجبي ؛ فإن السلاميَّ حدَّثَ ببخارى وتلك النواحي ولا علمتُ أنه قدم بغداد .

فلما حدَّثني عنه أبو العلاء جوَّزْتُ أن يكون ورد إلينا حاجّاً فظفر به أبو عبد الله بن بكير وسمع معه أبو العلاء منه .. فلما كان في سنة (٤٢٩) وقع إليَّ جزء بخط ابن بكير ؛ وفيه الحديث الذي ذكرته عن أبي العلاء عن السلامي بعينه ؛ بسياقه ولفظه » .

(تاريخ بغداد ٣/٩٨)

وقال خميس الحَوْزيّ (ت ٥١٠) :

١ – في ترجمة أبي محمد الغَنْدَجاني : « سمع بإفادة أبيه وعمّه من المُخلِّص والكَتّاني .. نبيلٌ جليلٌ صحيح الأصول صدوق » .

(السؤالات : ٢)

٢ – وفي ترجمة أبي البركات بن نفيس : « وجدنا سماعه في الأصول مع أبيه من ابن التُّبَانيّ وابن خَزَفَة » .

(السؤالات : ٣)

٣ – وفي ترجمة أبي طالب الصيرفيّ : « سمع بإفادة أخيه أبي القاسم.. وكان صحيح الأصول جيّد السماع ؛ أكثرها بخط أخيه » .

(السؤالات : ٥)

٤ – وفي ترجمة أبي الحسن بن مَخْلد : « سمع بإفادة أبيه أبي طالب ، من أبي بكر بن بيري وأبي عبد الله العَلَوي .. وكان جيّد الأصول ، ثقةً فيما يرويه ويقول » .

(السؤالات : ١٩)

٥ – وفي ترجمة أبي البركات الجُمّاري : « وولده أبو نُعيم محمد ابن إبراهيم الذي حدّثَ بمسند مُسدّد ؛ وكان سمعه بإفادته وكلاهما ثقة » .

(السؤالات : ٢٧)

٦ – وفي ترجمة أبي الحسن العطار : « صاحب أبي محمد بن السّقاء الحافظ ؛ روى عنه مُسند مُسدّد ، وحدّثَ به عنه أبو نُعيم الجمّاري ، وكان عنده الأصل بخطّه » .

(السؤالات : ٧٠)

٧ – وفي ترجمة أبي عبد الله السّقَطي : « يُعرف بابن أخت مهدي ، وكان الذي أفاده خاله أبو بكر بن مهدي » .

(السؤالات : ٧٦)

وقال ابن خلّكان (ت ٦٨١) :

في ترجمة عمر بن طَبَرْزَد : « وكان أخوه الأكبر أبو البقاء قد أسمعه الكثير من الحديث ، ثم استقلّ بإفادة نفسه ، وعُمّر حتى حدّثَ سنين ، وحفظَ الأصولَ إلى وقت الحاجة إليها وكانت بخط أخيه أبي البقاء المذكور إلا القليل .. وكان عالي الاسناد في سماع الحديث ، طاف البلاد وأفاد أهلها » .

(**وفيات الأعيان ٣/٤٥٢**)

وقال ابن الفُوَطي (ت ٧٢٣) :

في ترجمة أبي المظفَّر ضياء بن صالح البغداديّ : « أفاده عمّه المبارك ابن كامل باستجازة جماعةٍ من الشيوخ له » .

(تلخيص معجم الألقاب ٤/٧٩١)

وقال الذهبيّ (ت ٧٤٨) :

١ — في ترجمة أبي طاهر المخلِّص : « سمع بعناية والده من .. »

(سير النبلاء ١٠/ل ٢٦٧)

٢ — وفي ترجمة أبي محمد الغَنْدَجاني : « سمع باعتناء أبيه من .. »

(سير النبلاء ١١/ل ٢٠٣)

٣ — وفي ترجمة أبي طاهر السِّلَفي ؛ نقلَ قول الحافظ ابن المفضَّل فيه : « وكلُّ مَن سمع من أبي صادق المدينيّ[١] ومحمد بن أحمد الرازيّ المُعدَّل[٢] من المصريين ؛ فأكثره بإفادته » .

(سير النبلاء ١٣/ل ٥)

٤ — وفي ترجمة ابن أبي عثمان ؛ نقلَ قول المؤتمن الساجيّ فيه :

---

(١) المحدث الثقة أبو صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المديني ثم المصري ، المتوفى سنة (٥١٧) ، سمع منه السلفي في سنة وفاته — ترجمته في سير النبلاء (١٢/ل ١١٠) والعبر (٤/٤١) وانظر طبقات السبكي (ط الحسينية : ٤/٤٤) .

(٢) الشيخ العالم المعمر الثقة ؛ مسند الإسكندرية ومصر أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن إبراهيم الرازي ثم المصري ، الشروطي المعدل ، المعروف بابن الحطاب . خرّج له السلفي « السداسيات » وروى عنه . مات سنة (٥٢٥) وله (٩١) سنة — ترجمته في سير النبلاء (١٢/ل ١٣٤) والعبر (٤/٦٥) .

« أفاده أبوه مع إخوته : أبي محمد وأبي تمام ، مع شراسة أخلاقٍ ونفور طبعٍ لا وجه له » .

(سير النبلاء ١١/ل ٢٨٣)

٥ — وفي ترجمة أبي القاسم البغوي : « سمع في الصغر بعناية جدّه لأمّه أحمد بن منيع ، وعمّه عليّ بن عبد العزيز.. وأول ما كتب الحديث سنة (٢٢٥) . »

(العبر ٢/١٧٠)

٦ — وفي ترجمة عمر بن طَبَرْزَذ :« أكثر سماعه مع أخيه وبإفادته».
(ميزان الاعتدال ٣/٢٢٣)

٧ — وفي ترجمة أخيه أبي البقاء : « سمع أخوه الكثير بقراءته » .
(ميزان الاعتدال ٤/٣٠)

وقال السخاويّ (ت ٩٠٢) :

في مسألة (اشتراط بعضهم في صحة الحديث بالقراءة إقرارَ الشيخ عند تمام السماع بأنه كما قُرِىء عليه) قال السخاوي في ختام البحث :

« وبالجملة فتصريحُ المحدّث بالإقرار مُستحبٌ ؛ فقد قال الخطيب : ولو قال له القارىء عند الفراغ : كما قرأتُ عليك ؟ فأقرّ به ، كان أحبّ إلينا [١] ، انتهى . ولو كان الاعتماد في سماعه على المُفيد فالحكمُ فيه فيما يظهر كذلك » .

(فتح المغيث ٢/٣٨ — ط المكتبة السلفية)

يتبيّنُ ممّا سبق أن مسألة الإفادة هذه ذاتُ وجهين اثنين : الأول منها يتعلق بالإفادة مجرّدةً ؛ والثاني يختصُّ بها مركّبةً مع السماع .

(١) انظر الكفاية ٢٨٠

فالإفادة – وما تقلّبَ منها كالفائدة وأفادَ – كلمةٌ لم تجاوزْ مدلولها الأصليّ فتدخل في حيّز المصطلح ؛ فالسّقطيُّ أفاده خاله حين اعتنى بتعليمه ، وعُمر بن طَبَرْزَذ عُني به أخوه في صغره ، ثم كبر فاستقلّ بإفادة نفسه ، ثم طاف البلاد وأفاد أهلها علماً . أما أبو المظفّر البغداديّ فقد استجاز له عمُّه جماعةً من الشيوخ فأفاده بذلك . هذا ومرّ بنا في ترجمة الغَنْدَجاني أنّ الذهبيّ استعمل كلمة العناية في موضع الإفادة الواردة في كلام خميس الحوزيّ .

على أنّ هذه العناية تأخذ شكلاً خاصاً في قولهم : سمع بإفادة فلان أو سمع بعناية فلان ؛ إنها قد تعني أنّ أبا المُترجَم أو جدّه أو عمّه أو خاله أو أخاه الأكبر كان اعتنى به في صغره ، فأحضره مجالس العلم وسمّعه من العلماء الأعلام في وقته .

لكنّها لا تعني بالضرورة أن السامع في كلّ هذه الأحوال صغير السنّ لا يستطيع أن يستقلّ بنفسه في الطلب ، أو أن السماع مع أحدٍ من هؤلاء المذكورين معناه السماع بإفادته ؛ فابن نفيس مثلاً سمع مع أبيه ولم يقولوا سمع بإفادته ، وبالمقابل أبو طالب الصيرفيّ سمع بإفادة أخيه أبي القاسم مع أنه أصغر منه بثماني سنوات فقط ، ولقد كانت سنّه تؤهله للسماع بنفسه من الشيوخ ؛ فقد كان يناهز السادسة عشرة حين مات بعض أولئك الذين سمع بإفادة أخيه منهم (١) .

---

(١) ولد أبو طالب الصيرفي سنة (٣٦٣) ومن شيوخه : أبو حفص ابن الزيات (ت ٣٧٥) ، والحسين بن محمد العسكري (ت ٣٧٥) ، وعلي بن محمد بن لؤلؤ الوراق (ت ٣٧٧) ، وأبو بكر بن شاذان (ت ٣٧٦) ، ومحمد بن المظفر (ت ٣٧٩) . انظر : تاريخ بغداد (٣١٩/١) والعبر (٣٦٩/٢ ، ٣٧٠ و ٣/٣ ، ٤ ، ١٢) .

إنما الارتباط الوثيق قائم بلا ريب بين هذا السماع والأصول المكتوبة وكلُّ الشواهد التي مرَّت بنا تشير إلى ذاك التلازم بل تؤكِّده ، فالسامع في هذه الحال كما يبدو ليست لديه أصول خاصّة به ، وإنما اعتماده في السماع على أصول المفيد .

فالمفيد كَتبَ الأصولَ بخط يده وَضبَطَها وقابلَها ، ثم بذَلَها للمستفيد هبةً أو إعارةً . يتبيَّنُ ذلك جلياً في ترجمة عمر بن طَبَرْزَد ، فقد كان أكثر أصوله بخط أخيه أبي البقاء وبقراءته أيضاً ، وكذلك أبو طالب الصيرفيّ .

كما أن الشواهد الأخرى تؤيد هذا المعنى أيضاً ؛ فإفادة السِّلَفي للمصريين إنما كانت ببذله أصوله التي كتبها بخطه وقرأها على ذينك الشيخين ؛ بَذَلَها لهم ليكتبوا منها أو يقابلوا عليها أو يسمعوا بها . وإلى ذلك أشار الخطيب البغداديّ إذ قال في الترغيب في إعارة كتب السماع : « إذا كان لرجلٍ كتابٌ مسموع من بعض الشيوخ الأحياء فطُلب منه ليُسمَعَ من ذلك الشيخ ، فيُستَحَبُّ أن لا يمتنع من إعارته ؛ لما في ذلك من البرّ واكتساب المثوبة والأجر . وهكذا إذا كان في كتابه سماعٌ لبعض الطلبة من شيخٍ قد ماتَ ، فابتغى الطالبُ نسخَهُ استُحبَّ إعارته إياه وكُرِه أن يمنعه منه . أخبرنا الحسن بن أبي بكر .. حدثنا أبو طالب عبد الجبار ابن عاصم قال : سمعتُ يحيى بن معين يقول : مَن بخلَ بالحديث وكسرَ على الناس سماعهم لم يُفلح[١] » .

وفي هذا المعنى قال ابن الصلاح ، وصرَّح بالإفادة : « ومَن ظفرَ

(١) الجزء الرابع من كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع . نسخة الظاهرية (الصفحة الثالثة)

من الطلبة بسماع شيخٍ فكتمهُ غيرَه لينفرد به عنهم ؛ كان جديراً بأن لا ينتفع به ، وذلك من اللؤم الذي يقع فيه جهلة الطلبة الوُضعاء . ومن أول فائدة طلب الحديث الإفادة ، روينا عن مالك رضي الله عنه أنه قال: مِن بركةِ الحديث إفادةُ بعضهم بعضاً . وروينا عن إسحاق بن إبراهيم ابن (١) راهويه أنه قال لبعض مَن سمع منه في جماعةٍ : انسخ من كتابهم ما قد قرأت . فقال : إنهم لا يمكّنونني . قال : إذن والله لا يُفلحون ؛ قد رأينا أقواماً منعوا هذا السماعَ فما أفلحوا ولا أنجحوا » (٢) .

وهكذا نرى أن السماع بإفادة المفيد قد يعني السماع معه ، لكنّ الإفادة هنا لا تقتصر على الصحبة في السماع فحسب ، بل تشير إلى ما وراء ذلك من وجوه الاعتماد على المفيد في تحمّل العلم ؛ باكتساب أصوله أو باستعارتها ، ولا يخفى ما في ذلك من التعاون العلمي النبيل ؛ تدفع إليه الروح العلمية الأصيلة ؛ التي أشرقت شمسها من معالم تراثنا العظيم .

دمشق مطاع الطرابيشي

---

(١) بإثبات ألف (ابن) الثانية على أنها بدل من الأولى ، وراهويه هو إبراهيم ؛ جمعوا بين اسمه ولقبه ليتم تعريفه . انظر شرح النووي على صحيح مسلم (ط المصرية ١٣٤٧ هـ) : ج ٢/ص ١٠٢ والمطالع النصرية للهوريني (ص١٢٠) . وقد مرت هذه الكلمة في طبعات المقدمة محذوفة الألف ومن غير تعليق فحقّ التنبيه .

(٢) مقدمة ابن الصلاح (ط دار الحكمة ص : ١٢٥) .

التعريف والنقد

ملاحظات على وفيات الأعيان

المجلد السابع

تحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، مطبعة دار القلم – كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧١

الدكتور علي جواد الطاهر

١ – انتهى المجلد السادس بالترجمة رقم ٨٢٨ : يعقوب بن الليث الصفار الخارجي ، وانتظر القارئ المتتبع أن يبتدئ المجلد السابع بالترجمة رقم ٨٢٩ : يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي . ولكن المنتظر لم يقع ، والذي وقع غريب جداً في بابه ، فقد فُتحت الصفحة الأولى من المجلد السابع (ورقمها ٥) بعنوان يقول : مصادر ترجمته وأخباره . وعلى هذا العنوان إحالة في الهامش من الصفحة نفسها تقول : ذكرت المصادر أن له ترجمة في تاريخ الحافظ . . . الخ .

فمن هو هذا ؟ ومصادر من هذه ؟

ثم تتوالى المصادر : كمال الدين ابن الشعار (– ٦٥٤) ، عقود الجمان في شعراء هذا الزمان . . . ، شهاب الدين أبو شامة (– ٦٦٥) ، ذيل الروضتين . . . شمس الدين بن خلكان (– ٦٨١) وفيات الأعيان ، ويمضي في ذلك إلى مايقرب من وسط الصفحة ٧ ويصعب أن يظن ظان * يفتح

المجلد السابع هذا أن الضمير في ترجمته وأخباره يعود على ابن خلكان. ولِمَ ابن خلكان؟ وما دخله بين يعقوبين؟ وإذا كانت هذه مصادر ابن خلكان مؤلف الكتاب فلِمَ لم تذكر في أول المجلد الأول لدى حديث المحقق عن ترجمة المؤلف قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان؟ لقد كان ذلك مكانها الطبيعي الذي تقتضيه مناهج التحقيق والبحث.

٢ ـ وتنتهي المصادر فتبدأ صفحة بيضاء كتب في وسطها مقدمة في المؤلف وكتابه، فنعرف أن هذه مقدمة يكتبها المحقق عن المؤلف (ابن خلكان) وكتابه (وفيات الأعيان)، وكان اللازم ـ إذا كان لا بد من ترجمة ابن خلكان هنا معترضاً بين يعقوبين: الأول في نهاية المجلد السادس، والثاني يجب أن يكون في مفتتح المجلد السابع ـ أن تأتي هذه الصفحة البيضاء التي كتب في وسطها مقدمة في المؤلف وكتابه أولى في المجلد، لتدل بعض الدلالة على قصد المحقق. أقول: بعض الدلالة، لأنها لا يمكن أن تدل دلالة تامة على القصد، وإلا فكيف تكون المقدمة عن المؤلف والكتاب في مقدمة المجلد السابع من الكتاب، وليس في مقدمة المجلد الأول؟

يمكن لقائل أن يقول: من الممكن أن يؤخر، في تحقيق الكتاب، الحديثُ عن الكتاب ومؤلفه لكي يكون كلام المحقق متماسكاً ناضجاً. ونقول: ذلك ممكن، ولا سيما بعد أن نص المحقق في مقدمته للمجلد الأول(ص١٧) على ذلك، فقال: « وسيدرج في الجزء الثامن ترجمة تفصيلية للمؤلف ودراسة لكتاب وفيات الأعيان. وإني أرجو أن أوضح هنالك شيئاً من طبيعة التأليف المتدرج الذي جرى عليه المؤلف في كتابه هذا ».

نقول: ممكن، وننتظر الجزء الثامن ... وإن كان الأَوْلى أن تكتب المقدمة ـ كما هو طبيعي ـ في المقدمة، وأن يدفع المحقق بأجزاء الكتاب الذي يحققه بعد أن ينتهي من الحصول على المخطوطات والمقابلة وكل شيء.

نقول : ممكن ... ولكنها لاتعود ـ في هذه الحال ـ مقدمة ، وإنما تكون ذيلًا أو ملحقاً ، ومن شأن الذيل والملحق أن يأتيا في آخر الأجزاء . وليس هذا الذي حدث في تحقيق وفيات الأعيان بالمقبول ، فقد جاءت المقدمة – ولا بأس في قبول اسمها ـ في بداية المجلد السابع ، أي أنها لم تأت بعد ختام الكتاب وإنما قطعت سلسلة التراجم فوضعها المحقق معترضة بين يعقوبين ، ففصل بين كلام المؤلف بأكثر من مئة صفحة . قد يقول الدكتور إحسان عباس : إن الملاحظة شكلية ونحن نقول : إنها شكلية ، ولكنها جزء لا يتجزأ من عمل المحقق ، ولا موجب للفصل . إن المقدمة قيمة ، ولكن وضعها حيث جاءت أخلّ بها وبنظام الكتاب، وإذا صعب أو استحال وضعها في مقدمة الكتاب كان مناسباً أن توضع في ختامه ...

وأخشى أن تكون الحال خاضعة للعرض والطلب ، وإلى المطبعة التي تريد أن تدور عجلاتها .

٣ ـ الجزء والمجلد : مسألة شكلية أخرى . ولكننا نحرص على استعمال الكلمة التي استعملها المؤلف أو الذين تحدثوا عنه ، فذلك أدلّ على الدقة وأنفع لمن يدرس تطور الكلمة التي صارت مصطلحاً ويريد أن يعرف الفرق بين الجزء والمجلد ، وفي أي عصر استعملا ولدى أي مؤلف ـ وقد يصل إلى نتيجة ، فهل قسم ابن خلكان كتابه إلى مجلدات أو إلى أجزاء ؟

إذا نظرنا التحقيق الذي صدر باسم الدكتور إحسان عباس نرى الكتاب مقسماً إلى مجلدات : المجلد الأول ، المجلد الثاني ... الخ فهل يعني ذلك تقسيم المؤلف أو تقسيم المحقق ؟ لم يفرق المحقق لنا بين المجلد والجزء فهو إذ يقسم الكتاب إلى المجلد الأول والمجلد الثاني ... يتحدث وكأنه قسم الكتاب إلى أجزاء ، فيقول مثلاً في مقدمته الأولى ص١٧ : وقد قدرت أن يجيء

هذا الكتاب في سبعة أجزاء . وأن يكون الجزء الثامن خاصاً بالفهارس المفصلة ،وأنا أتوقع أن يكون اعتمادي في الأجزاء الأخرى . . .الخ .

وجاءت إحالاته على ابن خلكان بالرمز ج وهو رمز للجزء، ورمز المجلد مج ، وينظر مج ٢ ص ٧ ، مج ٤ ص أ .

ومن يدري فقد يكون « الجزء » أكثر صلة بعمل ابن خلكان والذين تحدثوا عنه من « المجلد » . . . ومن ذلك أن المحقق عندما يصف لنا النسخ المخطوطة ص ١٦ من مقدمته الأولى يقول: النسخة « د » . . . تقع في أربعة أجزاء . . . الجزء الرابع . . . الجزء الثاني . . . الجزء الثالث . . . وعندما يصف في ص١٧ النسخة « ط » يقول : « . . . وفي آخرها : تم الجزء الرابع من وفيات الأعيان وبه يتم الكتاب .» وعندما وصف النسخ في الجزء الذي ورد اسمه : المجلد الثاني ، قال ص ٦: « نسخة أحمد الثالث . . . من ثلاثة أجزاء . . . الجزء الأول . . . الجزء الثاني . . . الجزء الرابع . . . »وعندما تحدث عن المختار من وفيات الأعيان الذي عمله ولد المؤلف (موسى) وردت كلمة « جزء » أكثر مما وردت كلمة مجلد . وانتهى المحقق في مج ٤ص و إلى القول : « وهذا يدلنا على أن التجزئة النهائية التي اعتمدها المؤلف (ابن خلكان) لكتابه جملته خمسة أجزاء نعرف منها بوضوح حدود الجزئين الأخيرين . . . » .

وعاد إلى ذلك عندما درس النسخ في المجلد السابع ص ٨٨ فقال : « . . . النسخة ذات الأجزاء الخمسة التي كان يملكها ابن المؤلف . . . » .

والحاصل من مجموع حديث المحقق عن النسخ ومن موقفه «وأن كلمة «جزء » أولى من «كلمة » مجلد ،ولكنه استعمل كلمة مجلد فقال: المجلد الأول ، المجلد الثاني، ولم يقل الجزء الأول ، الجزء الثاني . . دون بيان للسبب .

هذا وقد ورد في حديثه في مقدمة المجلد الرابع ص ج لدى وصف نسخة مكتبة قاضي زاده محمد باستنبول مايفيد أن الجزء أصغر من المجلد وأنه

بعض منه فقال: « في المكتبة المذكورة مجلدان ، في كل مجلد جزءان ، وتحتوي الأجزاء الأربعة جميع كتاب الوفيات ، فالمجلد الأول ... مكتوب بنفس الخط الذي كتب به المجلد الثاني ... »

وقال حاجي خليفة في كشف الظنون ٢ : ٢٠١٧ - ٢٠١٨ « وفيات الأعيان - في مجلدين » .

إن المسألة شكلية ولكنها تهم من يتتبع تاريخ الكلمات ،ويحاول تحديد المصطلحات.ويرى تفضيل الراجح على المرجوح، وأن يبقي المحقق قريباً من الأصل .

٤ - ص ٧٦ : « وقد يستغرب المرء ... أن يختار [المؤلف] الترتيب الأبجدي ... لأن الترتيب الأبجدي ... »

وصحيحُ الترتيب الأبجدي : الترتيبُ الهجائي ، والفرق ، وإن كان معروفاً ، فإنه على أي حال فرق ، فالأبجدي : أ ، ب ، ج ، د ، ه ... والهجائي أ ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ...

وقد استعمل المحقق المصطلحين (الأبجدي والهجائي) في الصفحة نفسها (أي ٧٦ من المجلد السابع) بمعنى واحد فقال : « اختار الترتيب على حروف الهجاء ... الترتيب الهجائي ... »

٥ - ص ٧٦ « ولكنه [أي المؤلف] لم يلتزم الترتيب الهجائي إلا في الاسم الأول ولم يراع ذلك في الأسماء الواردة في سلسلة النسب ، واضطرب لديه الترتيب في حرف العين كثيراً ، فجاء عبد الملك قبل عبد السلام وورد اسم عبد الجبار بعد عبد الكريم » .والملاحظ على هذا :

١ - أنه لم يلتزم الترتيب الهجائي حتى في الاسم الأول ، وإنما التزم الترتيب الهجائي للحرف الأول ، من الاسم الأول ، أما في الحروف الأخرى فقد يلتزم أو لا يلتزم ، ولنا أن نفتح المجلد الثاني من التحقيق الماثل أمامنا فنرى : حبيب ، حاتم ، الحجاج ... الزبير ،

زبيدة . أو أن نقول إنه التزم الحرف الأول ، وحاول التزام الحروف الأخرى ولكنه اضطرب فيها . ومن هذا الذي نراه اضطراباً مايمكن أن يرد إلى منهج لديه ، فقد يُرد تقديمه (في المجلد الثالث) عبيد الله على عبد الرحمن إلى أنه أتى بمن اسمه عبيد الله نسقاً بعد أن انتهى بمن اسمه عبد الله .

ب - لم يكن اضطراب في حرف العين إذا علمنا أنه لم يقيد نفسه إلا بالحرف الأول ، وما نسميه اضطراباً في الحروف الأخرى وقع في حرف العين وغيره ، أما مسألة عبد الملك ، عبد السلام ، عبد الكريم ، عبد الجبار فهي جزء من نهجه ، أي من عدم تقيده المطلق بالحروف التالية للحرف الأول ، وعدم تقيده بحروف الآباء ، فكان المهم لديه أن تتوالى لفظة عبد ، أيّاً كان لفظ المضاف إليه من أسماء الله الحسنى : الملك أو السلام أو الكريم أو الجبار أو . . .

جـ - نحن لا نقول : اضطرب ، وإنما نقول : لم يلتزم ، لأن إسناد الاضطراب إليه يعني أنه قرر أن يلتزم الحروف التالية للحرف الأول من الاسم الأول ، وأن يلتزم حروف الأسماء التالية للاسم الأول - وهذا مالا يبدو وإذن فهو لم يضطرب وإنما لم يلتزم - وفرق بين الاثنين لدى مراعاة الدقة .

٦ - ص ٨١ : « وقد جاءت التراجم في المطبوعة المصرية ٨٢٦ ترجمة » .

لاينى الأستاذ المحقق يقول ويعيد القول في المطبوعة المصرية ، المطبوعة المصرية ... كأن لم يطبع وفيات الأعيان في مصر إلا طبعة واحدة وكأن قول المحقق : المطبوعة المصرية كافٍ وحده لأن يحدد للقارىء هذه الطبعة ... لا ... وهذا غير صحيح وغير دقيق ، فقد طبع الكتاب في مصر مراراً . وإذا شاء محقق أن يقصر قوله على طبعة واحدة من هذه الطبعات ألزم بتعيينها وتحديد وصفها في مكان ثم الرمز إليها بما يميزها ، إنه يريد : وفيات الأعيان ، مطبعة

السعادة ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ١٣٦٨ / ١٩٤٨ . لكن ، بشرط أن يحدد ويوضح . فما يعلمه المحقق لا يعلمه الناس كلهم ، والمحقق لا يحقق لنفسه ، ومن الناس من يملك مطبوعة مصرية غير المطبوعة التي يشير إليها المحقق .

نقول : إن الحديث عن المطبوعة المصرية والإحالة عليها دون تحديدها غير صحيح ، لأن هناك أكثر من مطبوعة مصرية ، منها - كما جاء في معجم المطبوعات لسركيس - :

أ - بولاق ، ج ٢ ، ٢ - ١٢٧٥ ، الجزء الأول بتصحيح الشيخ عبد الرحمن قطة العدوي ماعدا ست ملازم ، والجزء الثاني بتصحيح نصر الهوريني .

ب - بولاق ، ج ٢ ، ١٢٩١ وبهامشه ...

ح - مط . الوطن ، ج ٣ - ١٢٩٩

د - مط . الميمنية - ١٣١٠

٧ - ص ٨٨ : « ... ليس هناك مطبوعة - بين المطبوعات المختلفة التي صدرت لهذا الكتاب تمثل حقيقة ماصنعه المؤلف بدقة ... »

أ - ما المطبوعات المختلفة ؟ وأين ؟ لم يسجل المحقق هذه الطبعات ولم يصفها في مكان ولم يدلّ على أنه ألمّ بها لدى التحقيق - وقد يكون فيها ما ينفع أو ما يحسن التنبيه على نقصانه وخطئه في الأقل .

ب - وقد ذكر المحقق في مقدمته للمجلد الأول ص ١٧ بأنه « سيدرج دراسة لكتاب وفيات الأعيان ، راجياً أن يوضح شيئاً من طبيعة التأليف المتدرج الذي جرى عليه المؤلف في كتابه هذا » .

وقد برّ بقسط كبير من وعده في المجلد السابع - لا الثامن - ص ١٨ - ٨٨ ولكنه قصر حديثه على المخطوطات أو على القسم الذى حسبه - وهو أعلم من غيره بالموضوع - الأهمّ ،

ولكن ، أما كان مناسباً أن يعرّج ـ لهذا السبب أو لغيره مما يلزم التحقيق صاحبه به من الاستقصاء ـ على المطبوعات وهي ليست مما يستهان به في موضوع وفيات الأعيان ، إنْ في بيان الجيد فيها وإن في بيان الرديء ، ليكون الناس على علم يتلقونه على يد أخبر الخبراء ، وليكون المحقق نفسه على علم بما يتصل بعمله وليتمم المنهج الذي ألزم به نفسه من دراسة المؤلف والكتاب ـ ومطبوعات الوفيات جزء من دراسة الكتاب ـ أجل ، فقدطبع الكتاب مراراً ، وتحدث المحقق عن طبعة وستنفلد في مقدمة المجلد الأول ص ١٥ ـ ١٦ فقال : « بين عامي ١٨٣٥ و ١٨٥٠ قام الأستاذ فردينند وستنفلد بنشر كتاب وفيات الأعيان في اثني عشر جزءاً [لنلاحظ كلمة جزء] وخصص الجزء الثالث عشر لاختلاف القراءات للزيادات في النسخ ... » ويشعر القارىء بحاجة إلى تفصيل أكثر من الكلام على هذه الطبعة لأنها الأساس الذي انطلق منه الدكتور إحسان عباس . ثم إن الأستاذ المحقق ذكر لنا النسخ التي اعتمدها وستنفلد وهي « أ » بليدن ، « ب » من غوطا ، « ج » من برلين نسخها سنة ١٠٨٣ ، « د » من برلين ... وهي من أشد النسخ إسهاباً في الترجمات ، « هـ » من غوطا ... نسخها ١٢٠١ ... ولم يشر الأستاذ المحقق إلى ما حصل عليه من أصول تحقيق وستنفلد ، ويبدو أنه لم يسعَ للحصول على ذلك ...

ومناسب لو نص على مكان الطبع : غوطا .

وقد رأينا المطبوعات المصرية ، إلا أنه لم يشر إلا إلى واحدة ، كأن لم يكن غيرها .

ثم هناك طبعات أخرى ، كان مناسباً أن تذكر ـ ولو ذكراً فقط ـ وفاءً بالغرض . منها ، كما يذكر سركيس : ج ١ ، باريس ١٨٣٨ وتنتهي بآخر ترجمة الشريف الرضي .

وقد اطلعت على هذه الطبعة ، وهي لدى التحقيق ليست طبعة بالمعنى الحرفي ، وإنما هي تصوير ، فهي والحالة هذه تنطوي على الأهمية التي ينطوي عليها مخطوط . ومنها طبعة طهران ، يقول عنها سركيس : ج ٢ - ١٢٨٤ بعناية محمد باقر بن عبد الحسين خان الصدر الأصفهاني .

وكان أستاذنا الدكتور مصطفى جواد - وهو من هو في علم التراجم والوفيات - يثني على هذه الطبعة ويراها الأكمل والأجدر بالمراجعة .

فهل اطلع الأستاذ المحقق على هذه المطبوعات ، أما كان مناسبا الاطلاع لتكون الأحكام أدق ؟ أما كان مناسباً الحديث عنها لتكون دراسة الكتاب أكمل ؟ بل إن الدراسة تقتضي إعلام القارىء باللغات التي ترجم إليها الكتاب كلاً أو جزءاً ، قديماً أو حديثاً . قال جرجي زيدان ٣ : ١٧٢ (ط ٢) : « نقله إلى الفارسية يوسف بن عثمان سنة ٨٩٥ (في المتحف البريطاني) وابن أويس اللطيفي (في اكسفورد) وترجمه إلى الإنجليزية دي سلان ، ونشر في لندن سنة ١٨٤٢ - ١٨٧١ في أربعة مجلدات ضخمة . ونشر بعضه مع ترجمة لاتينية في ليدن سنة ١٩٠٨ » .

٨ - لو حاول الأستاذ المحقق الاستعداد لعمله قبل البدء الجدّ في تحضير مايجب أن يكون حاضراً قبل الشروع ، فجنّبه ذلك كثيراً من الاضطراب والاستدراك . وقد رأينا أنه تعجل فانطلق من طبعة وستنفلد ومخطوطتين ، وظل كلما تقدم خطوة عثر على مخطوطة أو مخطوطتين حرم من فوائدها المجلد المحقق السابق ، واضطر المحقق إلى ضروب من الاستدراك ... وفي هذا الذي فات المحقق في البداية وعثر عليه بعد البداية مالم يكن سراً مجهولاً ، وحسبك أن يكون منه ماهو كائن في المتحف البريطاني ومنه ما كان مطبوعاً ...

كان مناسباً جداً أن يستشير الأستاذ المحقق أقرب المراجع الحديثة في الدلالة على المخطوط والمطبوع ... من فهارس وتراجم وتواريخ أدب وبروكلمان ...

لقد فرح كثيراً إذ عثر ـ بعد صدور المجلد الأول ـ على مسودة المؤلف ، ولو بدأ بالبداية ورجع إلى فهارس المخطوطات لرآها في المتحف البريطاني رقم ٢٥٧٣٥ ؛ وفرح كذلك إذ وجد نسخة الظاهرية رقم١٨ ٥٤في دمشق ،والظاهرية في متناول المحققين . وفرح كذلك لدى عثوره ـ بعد أن صدر من الكتاب ثلاثة مجلدات ـ على المختار من وفيات الأعيان الذي عمله ولد المؤلف : موسى . وحقّه أن يفرح لأن الاكتشاف هام جداً ، ولكنه لو سار منهجياً في التحقيق لعثر على هذا المختار قبل أن يبدأ ، فما وجوده بسرّ ، ويكفي لمحقق يحاول أن يلمّ علمياً بمادة عمله كي يقف عليه ، وهل أقرب من جرجي زيدان في كتابه ، تاريخ آداب اللغة العربية (ط ٢ ، ٣ : ١٧٣) . إنه يقول بعبارة صريحة : « من مختصراته لابنه موسى في المكتب الهندي بلندن » .

٩ ـ عندما عثر ـ بعد صدور ثلاثة مجلدات ـ على المختار الذي عمله موسى ابن المؤلف قال في مقدمة المجلد الرابع ص ز : « هو ـ أي موسى ـ رجل مثقف .. وسنتحدث عنه بشيء من التفصيل عند الحديث عن المؤلف وكتابه وما يتصل بها في موضع آخر » .

ثم جاء الموضع الآخر فتحدث المحقق في المجلد السابع حديثاً قيّماً عن المؤلف وكتابه ، ولكنه نسي وعده فيما يتعلق بموسى .

١٠ ـ ص ٨٨ : « وقد كنت أودّ أن أدوّن هنا ما اطلعت عليه من نسخ ابن خلكان في المكتبات التي زرتها باستانبول وبورسه واسكدار وبرلين وتوبنجن والمتحف البريطاني ومنشستر وادنبره ، وأن أصف كل نسخة منها ، وهي تقارب الثمانين . . ولكن وجدت ذلك يثقل هذه المقدّمة ... » .

لا ، إنه لا يثقلها ، لأنه من صميمها وصميم عملية التحقيق .

هذا إلى أنه جزء من دراسة الكتاب ، وأنه مما يمكن أن يخدم ناقداً للتحقيق ، أو محققاً جديداً يعتزم إعادة التجربة ، أو هيئة عامة ترى أن تجمع مخطوطات الكتاب ، وما هو منها وإليها ، في مكان خاص خدمة له ودعوة إلى درسه وتهيئة لتحقيق جمعي .. وإذْ أضرب الأستاذ المحقق عن تدوين ما اطلع عليه ، كنا نودّ لو عمل جريدة بهذه المخطوطات : مكانها ، رقمها ، أهم صفاتها – وليس في هذا ما يثقل مقدمة تكتب للتحقيق . إن هذه الجريدة أهمّ كثيراً في التحقيق من (١٦) صفحة تخصص لأشعار ابن خلكان ودوبيتاته .

١١ – ص ١٥ (من المجلد السابع) : « محمد بن يعقوب .. توفي .. سنة عشرة وستمائة [لعشر خلون من شعبان] ... » وقال المحقق مذيلاً على ما بين المعقوفين « لم يرد في النسخ الخطية » . ويتساءل القارىء كيف حدث ذلك وإزاءنا أكثر من عشر نسخ خطية ؟ وإذا لم يكن في الخطية فمن أين أتينا به ؟.

١٢ – ص ٤٦ : « وذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف وأبو هلال العسكري في كتاب الأوائل أن أول من وضع المنجنيق جذيمة الأبرش ملك العرب » .

وذيّل المحقق على كتاب المعارف قائلاً : المعارف ٥٥٤ .
ومنهجه يقتضيه التذييل على « الأوائل » كذلك .

١٣ – ص ٨١ – ٨٢ ، الأعلم الشنتمري : « وغالب ظني أنه شرح الحماسة » مناسب أن نؤكد ظن ابن خلكان برواية ياقوت في معجمه ٢٠ – ٦٠ « الأعلم ... وشرح الحماسة شرحاً مطوّلاً ... »

١٤ - الترجمة ٨٤٨ يوسف بن هارون الرمادي ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ :

« وذكر أبو منصور الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر الأبيات التي مدح بها يوسف بن هارون أبا عليّ القالي ، وأورد له ...

وثلاث شيبات نزلن بمفرقي فعلمت أن نزولهن رحيلي
طلعت ثلاثاً في نزول ثلاثة واشٍ ووجهُ مراقب وثقيل
فمزلنني عن صبوتي فلئن ذلك ت لقد سمعتَ بذلة المعزول »

وأحال المحقق إلى اليتيمة ٢ : ١٠٠ - ١٠١

أ - صحيحُ الإحالة : اليتيمة ٩٩

ب - صحيحُ « ووجهُ مراقب » الواردة بضم الهاء : « ووجهِ مراقب » بكسرها لأنها معطوفة على واشٍ ، وهي بدل من ثلاثة .

ج - المفضل لدى الإحالة الاستفادة من الفروق ، والذي جاء في اليتيمة ٢ : ٩٩ :

فعذلنني عن صبوتي متذللاً ولقد سمعت بذلة المعزول

ثم إن عذلنني بالذال أنسب - إن لم تكن الصحيحة الوحيدة - والأبيات في الغزل ولا موجب للعزل - حتى إذا عزي ذلك إلى عامل المطبعة الذي يلفظ الذال زاياً .

ثم إن تحويل سمعت إلى الخطاب من المتكلم يستدعي حجة ومناقشة، فما المانع في أن تكون سمعت أنا ..

١٥ - إن عمل المحقق الأول هو المقابلة وإثبات الفروق (والخلافات) في الذيل أمانة وحرصاً على الاقتراب من قصد المؤلف ، وخدمة للقارىء

والباحث .. ولم يكن الدكتور إحسان عباس يجهل ذلك ، ولا أدل على علمه من أنه كان يضع في الذيل عدداً من الفروق .

ولكننا نلاحظ ـ ولاحظنا ـ أن هذه الفروق أقل كثيراً مما يجب ، بحكم ما راجع الأستاذ المحقق من نسخ مخطوطة ، وبحكم الاختلاف بين هذه النسخ ، وما عرفه الأستاذ المحقق ، قبل غيره ، من زيادة في واحدة ونقص في أخرى ، ومما زاده ابن خلّكان نفسه وألحقه على مرّ الزمن وتجدد العلم ..

لقد وضع الأستاذ المحقق في المجلد السابع صوراً لثلاث عشرة نسخة رجع إليها ، ودلّنا ـ في حديثه عن النسخ في مقدمات مجلداته ـ على اختلاف ملحوظ ـ إن لم يكن كبيراً ـ وأقلّ ما يعني هذا ألا تخلو صفحة من مجلداته السبعة من فروق أو فرق ... ولكننا نأتي لنختبر ما هو أقرب إلينا من المجلد السابع الذي بلغت صفحاته ٢٥٩ ، فنلاحظ بوضوح ندرة الفروق في الصفحات التي ذيلت بفروق ، ونلاحظ بوضوح كذلك صفحات كثيرة مرت دون أي فرق ؟ نذكر هنا الصفحات : ١ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٠ ، ٦١ – ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠ – ٩٢ ، ٩٤ – ١٠٥ ، ١٠٧ – ١١١ ، ١١٣ – ١٢٥ ، ١٢٧ – ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٦ – ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ – ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٨ – ١٧٠ ، ١٧٥ – ١٧٩ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٤ – ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ – ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٣ – ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ،

٢٢٨ ، ٢٣٠ – ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ – ٢٤٥ ، ٢٤٧ – ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ – ٢٥٩

١٦ – ينتهي المجلد السابع وهو الأخير من الكتاب ص ٢٥٩ ، ويفاجأ القارىء بـ ٤٤ صفحة مخصّصة لمصورات من صفحات للمخطوطات المتمدة ، والتصوير هذا من شرائط التحقيق ، ولكن جمع الصور في آخر الكتاب يفقد جزءاً من الفائدة ،لأن الأصل أن تكون الصورة قريبة من وصف النسخة لتوضح هذا الوصف وتمتحنه ، ومن هنا كان المناسب أن تأتي هذه الصور موزعة على المجلدات لدى وصفها وبدء الاستفادة منها . ولو كان المحقق قد جمع النسخ المخطوطة اللازمة قبل أن يصدر المجلد الأول والثاني والثالث .. لجاء وصف النسخ في مكان واحد من مقدمة المجلد الأول ولجاءت المصورات هناك كذلك .

ثم ماذا نلاحظ :

أ – بقيت نسخة المتحف البريطاني ذات الرمز ط ، من غير صورة – ولا بأس – على حين تمتعت بعض النسخ بتصوير عدّة صفحات – ولا بأس كذلك .

ب – نجد صوراً لنسختين من آيا صوفيا « برمز ص » الأولى رقم ٣٥٣٢ والثانية رقم ٣٥٣٣ على حين لم يحدثنا المحقق إلا عن نسخة واحدة هي آيا صوفيا : ٣٥٣٢ ورمزها ص (ينظر وصفه في المجلد الثاني ، المقدمة ، ص ٧)

فما خبر آيا صوفيا الثانية ، إذاً ، وما قيمتها ؟ وما سبب التصوير هنا ؟ وكيف يكون رمز واحد لنسختين ؟

جـ — ونجد صوراً لنسختين من لاله لي برمز « لي » : الأولى رقم ٢١١٢ والثانية رقم ٢١١٣ ، ولم يحدثنا المحقق إلاّ عن نسخة واحدة هي لاله لي رقم ٢١١٢ ورمزها « لي » وكيف يكون رمز واحد لنسختين ؟

د — ونجد صوراً من نسخة نور عثمانية « ع » رقم ٣٠٧٦ ولم يحدثنا المحقق بشيء من مقدماته عن هذه النسخة : قيمتها ؟ كمالها أو نقصها ؟ مدى استفادته منها ؟...

هـ — اتخذ المحقق ـ منذ البداية ـ تحقيق وستنفلد لوفيات الأعيان أساساً ومنطلقاً ، وهذا يكون في النشر ، ولا يكون في النشر العلمي. وتحدث عن النسخ التي اعتمدها وستنفلد في تحقيقه أ ، ب ، ج ، د ، هـ ، ف ، ولكننا لم نجد لهذه النسخ الخمس أو الست صوراً أو صورة بين الصور الكثيرة المتكررة للنسخة الواحدة أحياناً . فلماذا ؟ إنه أقلّ ما يعني أن الدكتور إحسان عباس منح وستنفلد ثقة مطلقة ، وأنه لم يحاول أن يحصل على هذه النسخ أو بعضها ، ولا يستحيل الحصول على بعضها.

وكنا نودّ لو قالها صريحة منذ البداية وفي كل جزء ، فقد كان يخيّل للقارىء أحياناً ـ دون سبب واضح ـ أن الدكتور إحسان عباس إذ اعتمد تحقيق وستنفلد اعتمده بعد امتحان ومقابلة ، وحصول على نسخ أو محاولة في الحصول على النسخ .

لقد كان الدكتور إحسان عباس أميل إلى الصمت فيما يتصل بوستنفلد ومدى ما انتفع به ، وما يمكن أن يكون في هذا الانتفاع مما لا يناسب المنهج العلمي في التحقيق .

ومن الأمور التي تركها دون تعليل مع حاجتها العلمية إلى التعليل إضرابه عن فروق وستنفلد ـ بعد أن أصدر مجلدين كاملين من طبعته ـ

إضراباً تاماً مقرراً بوعي ، فلم يعد مجال للإفادة مما أفاده وستنفلد من خمس أو ست هي : أ ، ب ، ج ، د ، هـ ، ف = ليدن ، غوطا ، برلين ، برلين ، غوطا ... لماذا ؟

كلّ ما رأيناه أن الأستاذ المحقق قال في مقدمـة المجلد الثالث : « ويحسن أن نشير إلى أن الفروق بين النسخ التي اعتمدها وستنفلد قد توقفت الإشارة إليها عند آخر حرف الظاء (أي عند نهاية الجزء [يقصد المجلد] الثاني حسب تجزئتنا) » . لماذا ؟ مرة أخرى . وهل يعني ذلك أننا اكتشفنا عيباً كبيراً في تحقيق وستنفلد ؟ وهل يعني أننا أضربنا إضراباً كلياً عن الاستعانة به أو أننا أهملنا فروقه فقط ؟ وهل ؟ وهل ؟ وإذا كان العيب في وستنفلد نفسه فلم لم نسعَ في الحصول على ما يمكن الحصول عليه من النسخ التى اعتمدها ؟ ثم ما مصير المجلدَين الأولَين اللذيْن انتهت عندهما الظاء ؟

بغداد — كلّية الآداب علي جواد الطاهر

نحوُ النثر العربي الحديث

Syntax of Modern Arabic Prose

تأليف فيجنته كانتارينو

Vicente Cantarino

الجـــزء الأول

Indiana University Press, Bloomington Iondon , (1974)

مراجعة الدكتور صفاء خلوصي
الأستاذ المتفرغ للبحث والتأليف

منذ أيقن الغربيون أن بلادهم أصبحت أكثر اعتماداً من ذي قبل على اقتصاديات البلاد العربية ولا سيما خامات المعادن ، وعلى الأخص البترول ، أخذوا يعتبرون البلاد العربية جزءاً مما يسمّونه بأوربا الكبرى التي تضم شمالي إفريقيا وجنوب غربي آسيا ، أي البلاد العربية برُمّتها ، ومن ثَمَّ أخذ اهتمامهم يزداد باللغة العربية وآدابها ونحوها وصرفها ، وصارت المعجمات وكتب النحو العربي تؤلَّفُ بشتى اللغات الأوربية على مقياسٍ لم نألفه من قبل ، وها هي ذي المطابع الانكليزية تُصدِرُ كتاباً جديداً بعنوان « نحو النثر العربي الحديث » (الجزء الأول) بدعمٍ من مركز الشؤون العالمية بجامعة انديانا ، ومن وضع الأستاذ « فيجينته كانتارينو » وهو أستاذ أميركي من أصل ايطالي .

ويعالج المؤلف في هذا الجزء الجملة البسيطة the simple sentence ويعني بذلك الجملة الخالية من التراكيب المعقدة ، والعبارات الاعتراضية . وعِدّة الكتاب ١٦٨ صفحة من القطع المتوسط ويضمّ ، فضلاً عن المقدمة وقائمة الاختصارات ، أربعة أبواب :

١ — الجملة الاسمية . ٢ — الجملة الفعلية .
٣ — أدوات النفي . ٤ — الجمل الاستفهامية .

وكان الاتساق يقتضي أن يكون عنوان الباب الثالث : « الجمل المنفية » يُعالَجُ ضمنها أدوات النفي .

ويعرّف المؤلف الجملة بأنها وحدة كلامية قائمة بذاتها في تركيب لفظي دالّ على معنى ، ولا تحتاج العربية إلى فعل كأحد مقومات الجمل الأساسية[١]، لذلك كان تقسيم الجمل العربية إلى نوعين رئيسيين :

١ — الجمل الاسمية حيث الأسماء والضمائر والصفات الخ ..

٢ — الجمل الفعلية التي لا بدّ لها ، كما يدلّ اسمها ، من أن تضم فعلاً بين عناصرها .

وهو بهذا يخالف ما تعارف عليه العرب من أن الجملة الاسمية هي التي تكون مستهلّة باسم ، والفعلية ما كان منها مبدوءاً بفعل[٢] ، بيد أن المؤلفين الغربيين يعارضون هذا التعريف ويفضلون ما أورده « كانتارينو ».

(١) كانتارينو : « نحو النثر العربي الحديث » ص ٢ .

(٢) راجع شرح ابن عقيل (ط . محمد محيي الدين عبدالحميد) ، القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م ، ج ١ ص ١٤ ، والزمخشري : المفصّل في علم العربية ، القاهرة ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م ص ٦ ، و « رايت » : « قواعد اللغة العربية » (النسخة الإنكليزية) ج ٢ ص ٢٥١ (أعلاها) .

ويهدف « كانتارينو » من تأليفه هذا الكتاب إلى استنباط قواعد اللغة العربية المعاصرة من جُمل اختارها من مجموعة من الكتب العربية الحديثة لمشاهير الكتاب والمؤلفين وهم :

أحمد أمين في « ضحى الإسلام » و « ظهر الإسلام » ، وجرجي زيدان في « تاريخ آداب اللغة العربية » ، وجبران خليل جبران في المجموعة الكاملة لمؤلفاته (٣ أجزاء ، بيروت ، ١٩٤٩ - ١٩٥٠) ، ومحمد حسين هيكل في « حياة محمد » ، وتوفيق الحكيم في « أهل الكهف » و « شهرزاد » و « سليمان الحكيم » و « يوميات نائب في الأرياف » ، وطه حسين في « الأيام » و « على هامش السيرة » ، ونجيب محفوظ في « القاهرة الجديدة » و « زقاق المدق » ، ومصطفى لطفي المنفلوطي في « الشاعر » و « ماجدولين » ، وسلامة موسى في « أدب للشعب »[١] ، وميخائيل نعيمة في « كان ما كان » و « لقاء » ، ومصطفى صادق الرافعي في « وحي القلم » ، وأمين الريحاني في « ملوك العرب » (بيروت ١٩٥١) ؛ واستشهد بآخرين بين الحين والآخر ، ولا يتجاوز مجموع من ذكرهم الخمسة والأربعين شخصاً ، فهؤلاء في نظره يؤلفون في كلامهم خلاصة اللغة العربية المعاصرة ، وهو افتراض لا يخلو من شطط وغلوّ . وقد راجع الأستاذ « كانتارينو » فيما راجع من كتب « شرح الألفية » لابن عقيل [٢] والعشماوي : « حاشية على متن

(١) طبعة بغداد ١٩٦١

(٢) طبعة فريدريك ديتريخ Fr. Dieterich لايبزغ ١٨٥١ [لم نشر فيمايتعلق بالمصادر إلا إلى الطبعات النادرة أو تلك التي قد يقع فيها التباس] .

الآجروميّة في قواعد العربية ، القاهرة ١٣٤١ هـ » و«المفصّل»: للزمخشري [١] وحفني ناصيف : « كتاب قواعد اللغة العربية » (الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٠٩) وابن يعيش « شرح المفصّل » (القاهرة ، بلا تأريخ) ، وأبا القاسم عبد الرحمن الزجّاج « الجُمل » (باريس ١٩٥٧) وطـائفة من كتب القواعد العربية المؤلفة بالانكليزية « لبرافمان » و « رايت » ، والفرنسية لبلاشير ، والألمانية لبروكلمان ومنيتز ونولدكه وريكندورف H. Reckendorf

وباعتقادنا أن الطريقة التي اتبعهـا المستشرق « كانتارينو » في تعليم قواعد اللغة العربية الحديثة للأجانب طريفة بيد أنهـا خطرة ، وهي نتـاج دراسة في اللغة المعاصرة لسنوات طويلة مع تدريسها بشكل تطبيقي في المدارس الأجنبية ؛ ولكن الذي لا يمكننا أن نوافقه عليه هو أن يعتبر العربية المعاصرة لغة قائمة بذاتها . إنا لا نؤمن بوجود لغة عربية قديمة ووسيطة وحديثة ، فالعربية مذ وجدت وحتى يوم الناس هذا وحدة لا تتجزأ ، وإن من يعتمد في تأليف كتاب لقواعد العربية على عدد من معاصريه دون إلقاء نظرات فاحصة مدققة على نتاج العصور فهو في خطلٍ من أمره .

ويعتقد كانتارينو أن اللغة العربية قد تطورت في جملها المنفية واستعمال أدوات النفي تطوراً ملحوظاً [٢] ، غير أنه حين يتطرق إلى النفي المزدوج يستشهد بكتّابٍ لا يمكن أن يعتبروا حجة في النثر الحديث ، فهم إمـا مترجمون اختصوا بلغة أوربية من دون أن يتقنوا لغتهم العربية أو رسّامون متطفلون على الأدب ، يزعمون أن الكتـابة ضرب من الرسم بالكلمات ،

---

(١) طبعة J. P. Broch Christianiae, 1879

(٢) كانتارينو ، المصدر نفسه ، ص ١٠١ (أعلاها)

فيخلطون الألفاظ كما لو كانوا يخلطون الأصباغ من غير أن يعرفوا أن هناك قواعد متمايزة لكل نوع من الخلط .

فأي حجة تقوم لمن يقول :

« ليس هناك لا خيل ولا خيالة »(١)

أوليس الأفضل القول : « ليس هناك خيل ولا خيالة » ؟

ومن الغريب أن هذا الضرب من النفي المزدوج لا يتعاطاه ويرغب فيه إلاّ عوام الانكليز ، فكيف بكاتب عربي تدعمه لغة القرآن وتراث ستة عشر قرناً أو يزيد !

ثم أيّ قيمة في زيادة (لا) في مثل العبارة المقتبسة المثالية : « حاولت أن أوقظ الواحد ثم الآخر بيدي ، فما استيقظ [لا] هذا ولا ذاك »(٢) . أو قوله :

« فإني لم أتزوج [لا] ابنة مدير بنك ولا ابنة وكيل وزراء » (كذا) وكان الأفضل أن يقول : « وكيل وزارة » ، فليس في العالم كله منصب « وكيل وزراء » بصيغة الجمع !

وقوله : « ما كان بجوار النهر [لا] خيل ولا بغال » وكذلك قوله : « إن الانكليز لا يعملون [لا] هذا ولا ذاك »(٣) . إن ما وضعناه بين عضادتين في أعلاه لا يستسيغه الذوق العربي الأصيل ، وهو في الوقت ذاته ليس ترجمة للتركيب الانكليزي « not ... put » أو الفرنسي « ne ... que »

(١) نفسه : ص ١٠٥ (وسطها) .

(٢) الصفحة نفسها .

(٣) الصفحة نفسها : ص ١٠٥ (أسفلها) .

وإنما هو خليط مشوّه لا ينتمي إلى العربية ولا الأعجمية الفصيحة بنسب، بل ينتمي إلى العجمة التي لا ضابط لها ولا قواعد .

وقد أورد عبارة : « إذاً » فهو يذهب »[1] وهي ترجمة من الانكليزية therefore he goes والأفصح أن يقول (إن شاء أن يجانب أساليب الأعاجم) « فهو إذاً يذهب » ، وجاء في الصفحة ذاتها : « عَشقتُم للدنيا وحدَها » بفتح العين ، والصواب بكسرها ، وأكبر الظن أنهـا غلطة طباعية . وكذلك قوله « الشرخ »[2] (بالخاء المعجمة) وصوابها « الشرح » (بالحاء المهملة) .

وقال في الصفحة ٩٢ : « كانت الشعراء تلبُس » (بضم عين الفعل) وهو خطأ ، والصواب بفتحها[3] .

وقد لاحظنا — مع الأسف — الشيء الكثير من مثل هذه الأخطاء ، ويحملنا حسن الظن على القول في أكثرها إنها أخطاء مطبعيّة ، وكان الأجدر بالمؤلف الفاضل أن يشير إليها في مسرد خاص يلحقه بالكتاب ، فهي مما لا يليق بباحث مثله ، ولا سيما مثل قوله : « كم أحمدُ اللهُ على هـذه المعجزة الحقة »[4] وقوله « يَحُلاَّنِ المرأةَ للرجلِ »[5] والصواب : « يُحِلاَّنِ » .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٠٤ السطر ما قبل الأخير .

(٢) ص ٥ (منتصفها) .

(٣) راجع « اللسان » مادة « لبس » : « لبِس الثوبَ يلبَسُه » والمعجم الوسيط ، ص ٨١٩ (أعلى العمود الأوسط) .

(٤) نفسه ، ص ١٥٩ (منتصفها) .

(٥) ص ٧ (أسفلها) .

وإن تعجب فعجبٌ قول المؤلف فى مقدمته : « لقد كانت ثمة حاجة يشعر بها الإنسان شعوراً عميقاً لعرضٍ يشمل اللغة بشكلها المعاصر من دون إشارة إلى اعتمادها على اللغة التي سبقتها »[١] .

يريد المؤلف بذلك أن يجعلنا نؤمن بأن اللغة العربية الحالية بالنسبة لماضيها هي كالفرنسية والإيطالية والاسبانية وسائر لغات الرومانس قد انحدرت من لغة قديمة هي اللاتينية ، ولا تربطها بها إلا وشائج الصلة البعيدة ، وهذه مع الأسف نزعة معظم المستشرقين ، وهم فيها مضلَّلون ، لأن العربية لا عُمر لها فهي شابة أبداً ، قديمُها حديث ، وحديثُها قديم . إنها لا تشبه اللغات الأخرى — وهذا وجه العجب فيها — فهي تنمو من دون أن تهرم[٢] .

وقد استبعد « كانتارينو » في دراسته اللغة الأدبية الحديثة المجلات والصحف ، لأن لغة الصحافة في عُرفه لا تمثل اللغة الأدبية في العالم أجمع ، ولكنه استعان بضروب مختلفة من الكتب في النثر الفني والقصة والمسرحيات وكتب الرحلات والمؤلفات السياسية والتاريخية والاجتماعية ، فاجتمعت لديه ثلاث عشرة ألف قطعةٍ مختارة ، ومن هذه استمد مختاراته للجزء الذي بين أيدينا ، وهو الأول بين ثلاثة أجزاء ، ومع أن هذه الأجزاء سيكون بعضها متمماً لبعض ،كما يقول المؤلف ، فإن كل جزء سيكون ، مع ذلك ، مستقلاً بحد ذاته .

(١) كانتارينو : الصفحة الأولى من المقدمة (وسطها) .

(٢) راجع وجهة نظر كانتارينو المعارضة في الصفحة الثانية من المقدمة (أسفلها) .

وقد خصص الأول – كما أسلفنا – لأبسط الوحدات في تركيب الجملة ، الاسمية منها والفعلية ، في صيغ الإثبات والنفي والاستفهام .

والمتوقع أن يكون الجزء الثاني مقسماً إلى قسمين : يعالج الأول منهما دراسة عناصر الجملة الموسعة وتحويرات الأسماء والأفعال ، ويتعرض ثانيهما إلى استعمال أجزاء معينة كالأعداد وصيغة التفضيل والمصادر واسم الفاعل والمفعول الخ ... فضلاً عن تراكيب خاصة وأساليب أدبية (كانعدام الترابط النحوي ، والتورية واتحاد الألفاظ ، والحذف الخ) .

أما الجزء الثالث والأخير فيتعلق بجمع الجمل في مجموعات معقّدة ؛ وهنا تدرس الجمل الرئيسية والثانوية ، ويختم بفهرس ألفبائي تفصيليّ .

وقد رتبت الدراسةُ بحيث أن الملاحظات النحوية تُقدم مع التعليقات والايضاحات مستندة على المقتبسات التي تعقبها [١] .

ومن محسّنات الكتاب أن المؤلف قد وضع مع العبارات المقتبسة عنوان الكتاب واسم مؤلفه برموز يمكن الرجوع إليها في مفتاح خاصّ ، إذا اقتضى الأمر ؛ وأكثرها واضح لا إشكال فيه .

ويزعم كانتارينو أن استعمال اسم واحد يقوم مقام جملة اسمية كاملة هو تركيبٌ بدائي في الآداب العربية القديمة ، ولتعزيز رأيه الكلاسيكي هذا يقدم بين أيدينا مثالاً من كاتب محدث [٢] ، وكان الأولى به أن يقدم مثالاً من تراثنا القديم ، وهذا موطن النقص في الكتاب ، فالمؤلف يزعم أن التعابير التي جاءت بها مُحْدَثة ولا يبيّن مدى صلتها بالماضي العريق

(١) كانتارينو : راجع الصفحة العاشرة والحادية عشرة من المقدمة .

(٢) نفسه ، ص ١٥٩

وما إذا كانت ذات جذور في أدبنا الأموي أو العباسي ، وما إذا كانت قد جاءتنا عن طريق المترجمين ؛ والسبب في ذلك على ما ُيخيّل الإنسان قلّة اطلاعه على المصادر القديمة ، وعكوفه على دراسة ما أخرجته المطابع العربية المحدثين من الكتاب ، وأنا متأكد من أن كثيراً مما أورده له أصل قديم قد يكون جاهلياً أو قرآنياً ، فضلاً عن كونه أموياً أو عباسياً . ولكن محاولته للفصل بين ماضي العرب وحاضرهم ضلّلته ، فأوردته مورداً لا يُغبط عليه .

ثم إن دعواه أن الكلمة الواحدة التي تعدّ جملة اسمية ، من بقايا عهود اللغة البدائية وأن « كارل بروكلمان » يؤيده في ذلك ، تنطبق على جميع اللغات لا على العربية وحدها ، فلا تُتهم العربية بالبدائية لأن توفيق الحكيم قد قال في يوميات نائب في الأرياف : « حادثة ؟ » فترجمها « كانتارينو » بالجملة الانكليزية الفعلية ؟ Is there a case ، ليبرهن على أن الانكليزية أكثر تقدماً وأبعد عن البدائية ، إذ كانت الأمانة تقتضيه أن يترجمها بما يماثلها تماماً فيقول « a case ؟ » وهي مقبولة في الانكليزية وصحيحة ، وقريبة من البدائية المزعومة قُربَ العربية منها ؛ وهو يدعم كلامه هذا بكلمة « والعكسُ » مقتبسة من « ضحى الإسلام » لأحمد أمين فيترجمها بـ « and vice versa » ولا أعتقد أن الترجمة الانكليزية جملة كاملة لتكون لها الأرجحية على لفظة « والعكس » ثم يمضي في هذا السبيل مستشهداً بطه حسين في كتابه « على هامش السيرة »(١) إذ يورد جملته التالية :

---

(١) ج ١ ص ٢١ س ١٨ .

« كل ذلك ، وعبد المطلب ساكت ساكن »[١] وموضع الشاهد هنا عبارة « كل ذلك » وقد ترجمها بجملة فعلية إذ قال :

All this happened and Abdu'l - Muttalib was calm and silent .

وكان بوسعه أن يترجم المثل بالمثل فيقول :

Despite all this , Abdu'l - Muttalib was silent and calm

فيكون أكثر أمانة في ترجمته للإفصاح عن روح الأصل ويتحاشى التقديم والتأخير في ترجمة عبارة « ساكت ساكن » إذ لا مبرّر لذلك .

وشيء آخر أحب أن أشير إليه هو أن المؤلف قد يفرغ من مسألة في الصفحة ١١٥ مثلاً ليعود إليها في الصفحة ١٦٨ كآخر فقرة يختم بها الكتاب ، تلك هي مسألة « لا » النافية للجنس . أما كان حسن التأليف يقتضيه أن يرفع هذه الفقرة الأخيرة فيلحقها بالصفحة ١١٥ أو أن يحذفها من أساسها فليس فيها غير التكرار المعيب ؟

ومن المضحك المحزن أنّ تحمّسَه للغة العربية العصرية ، كتحمس بعض المجدّدين المندفعين مع الأسف ، حمله على أن يعتبر بعض الأخطاء الطباعية في كتب المعاصرين قواعد جديدة ، فمن ذلك مثلاً أنه وجد العبارة المغلوطة التالية في كتاب « شهرزاد » لتوفيق الحكيم في طبعة ١٩٣٤[٢] : « مَنْ أدراكَ أنْ ما تطلب موجوداً ؟ » فهلّل « كانتارينو » مصفقاً لأنه وجد قاعدة لغوية جديدة في الأدب العربي الحديث وهي نصب (أنْ)

(١) كانتارينو ، ص ٦ (أسفلها) .

(٢) كانتارينو ، ص ١٠ (وسطها) .

لخبرها ، من دون أن يفطن إلى أنها غلطـة طباعية ليس غير ، إذ أننـا عندما راجعنا إحدى الطبعـات التي تلتها وجدنا العبارة مصححة ولفظة (موجود) بالرفع [1] .

الحق أننا إذا فكرنا في أن هذا الكتاب وأمثاله مما يدرس في الجامعات الأوربية والأميركية أدركنا فداحة التجني على لغتنا ومدى تقصيرنا في عدم التصدي لمثل هذه الكتب بالنقد والمحاسبة العسيرة ؛ فقد كان من الواجب على الأستاذ المستشرق أن يعرض كتابه هذا على أحـد المطلعين على العربية وقواعدها — من أبنائها — قبل المجازفة بنشره بهذا الشكل .

ويزعم « كانتارينو » أن استعمال (قريب) في قوله تعالى : « إن رحمة الله قريبٌ » غير صحيح نحوياً فيضع العلامة اللاتينية (siç) بمعنى (كذا) إلى جنب اللفظة جاهلاً أن هذه آية قرآنية كريمة ، وهي الآية السادسة والخمسون في سورة الأعراف [2] وأن توفيق الحكيم الذي أوردها في قصة « أهل الكهف » [3] إنما كان مستشهداً بها وليست من صياغة أدبه الحديث ، ومعاذ الله أن يكون ذلك ، وهكذا يقع الذين يحاولون أن يقطعوا ماضي العربية عن حاضرها في ورطات رهيبة ومشكلات مرعبة ! .

ولم يراع المؤلف الدقة فيما ترجم من مقتبسات ، فقد ترجم مثلاً الجملة

(١) « شهرزاد » (طبعة غير مؤرخة ولكن الإشـارة إلى أنها ترجمت إلى الإنكليزية سـنة ١٩٤٥ يدل على أنهـا بعد طبعة ١٩٣٤ التي استعملها كانتارينو) ص ٦٨ س ٣

(٢) والآية بكاملها : « ولا تُفسِدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين » (راجع البيضاوي ، مج ١ ص ٣٢٨) .

(٣) الطبعة الخامسة ، دون تأريخ ، ص ١٨ س ١

التالية من « أهل الكهف » (١) لتوفيق الحكيم :

لعلّك مشغولٌ حتّى عن الجوع ! ! » (٢)

بقوله : Are you so busy that you forget your hunger ?

فقد كانت الأمانة العلمية في الترجمة تقتضيه أن يقول :

perhaps you are so busy that you forget even your hunger !

ولا أريد أن أطيل فأخدش وجه الحياء العلمي أكثر مما فعلت ، والكتابُ معروضٌ في الأسواق ، متداولٌ في المكتبات ، والقراء خير حكم . لقد بذل المؤلف جهداً كبيراً ولكنهُ أخطأ محجة الصواب باتباعه النظرية الضالة المضلّلة التي تقول : إن العربية المعاصرة لغة جديدة يتيمة الأبوين ، وإن أخطاء الكاتبين بها ، بما في ذلك أخطاؤهم الطبعية ، هي قواعد جديدة يجب أن تؤلّف فيها كتب خاصة تدرس في الجامعات الغربية ... سامح الله كانتارينو ، ومن كان على شاكلته من هذه المقالة الآثمة !..

اكسفورد ، مكتبة بودليان الجديدة :

صفاء خلوصي
الأستاذ المتفرغ للبحث والتأليف

---

(١) نفسه ، ص ٢٣ س ١٢ .
(٢) كانتارينو ، ص ٩ (أسفلها) .

حول أشعار أبي الشيص الخزاعي

الأستاذ محمد يحيى زين الدين

يشير ابن النديم في كتابه الموسوم بالفهرست إلى أن أبا بكر الصولي قد صنع ديوان أبي الشّيص في خمسين ومائة ورقة ، لكن شأن هذا الديوان شأن الكثير من الدواوين التي لم يصل إلينا منها إلا اسمها واسم صانعها .

وقد بقيت من أشعار أبي الشيص الخزاعي بضع قصائد مطولة ، وبعض المقطعات والأبيات المفردة ، عمد الأستاذ عبد الله الجبوري إلى جمع ما تناثر منها في العديد من المصادر المطبوعة والمخطوطة .

وهذه بعض الملاحظات على عمل المحقق .

أ ـ حول مقدمة المحقق :

● ص : ٦ « فابنه عبد الله بن أبي الشيص ، شاعر صالح الشعر كما يقول أبو الفرج الأصفهاني ، وله ترجمة وشيء من شعره في تاريخ بغداد » .

انظر أيضاً بعض أشعاره في بهجة المجالس ١/٢٣٠ ، وعيون الأخبار ١/٢٣٢ ، وديوان دعبل الخزاعي : ٣٤٩ ، والمستطرف في كل فن مستظرف ٢/٢٠٦ ، ونهاية الأرب ٢/٤٣

● ص : ٧ « ومن رجال هذا البيت داود بن رَزين الذي ينسب إلى واسط ، وهو شاعر معروف في عصره ، وكان يصحب أبا نواس ، وقد رُوي له شعر معه » .

لم يشر المحقق إلى مصدر معين أورد جانباً من شعر داود بن رزين ، أو بعض أخباره مع أبي نواس . وقد وردت بعض أشعاره في كتب مختلفة أذكر منها :

ديوان أبي نواس ١/٦٠ ، والمحاسن والأضداد : ١١٢ ، وقطب السرور في أوصاف الخمور : ١٧٨ ، وأخبار أبي نواس لأبي هفان : ٨٧ والبداية والنهاية ١٠/١٦١

● ص : ٧ « ورَزين بن علي ، شاعر مقلّ ، وله شعر في محاضرات الأدباء ، والحماسة البصرية » .

انظر كذلك بعض أخباره وأشعاره في ديوان دعبل الخزاعي : ١١٥ ، ٢١٧

● ص : ٨ « وقد وهم جماعة من أصحاب المراجع القديمة والحديثة في جعل أبي الشيص عماً لدعبل ومنهم ... »

أزيد على ماذكره المحقق : ما قاله محقق الحماسة البصرية ١/١٥١ ، والرقيق النديم في كتابه قطب السرور : ١٠٧

● ص : ٩ « ولم تذكر جمهرة المصادر التي ترجمت له شيئاً عن نشأته وولادته ، غير أنها اكتفت بذكر سنة وفاته التي اتفقت عليها في سنة (١٩٦ ﻫ) وقد وهم الصلاح الصفدي فذكر أنه توفي في سنة مائتين أو قبلها » .

ذكر الصلاح الصفدي ذلك في كتابه الوافي بالوفيات أيضاً ، أما ابن شاكر الكتبي فقد نقل عن ابن الجوزي أنه توفي في سنة (١٩٦ هـ) ، ولكنه أشار أيضاً إلى أن وفاته قد تكون في سنة مائتين .

● ص : ١٤ « لأبي الشيص ديوان صنعه أبو بكر الصولي المتوفى في سنة (٢٤٣ هـ) وقد ذكره ابن النديم في الفهرست وقال : إنه في خمسين ومائة ورقة ، ولم نجد له ذكراً عند من تأخر عن ابن النديم إلى يومنا هذا إلا إشارة في كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة » .

أشار البكري (١) في معرض حديثه عن بعض أشعار أبي الشيص إلى ديوانه بقوله : « وهذا هو الصحيح لأن الشعر المذكور لم يقع في ديوان شعر أبي الشيص ولا رواه أحد عنه » .

وأشار إليه أبو الفرج الأصفهاني (٢) بقوله : « وهكذا ذكر ابن المعتز وليس توجد هذه الصفات كما ذكر في ديوان شعره » .

● ص : ١٤ « وقد استأثر شعر أبي الشيص باهتمام عالمين جليلين من علماء العربية في أزهى عصورها ، أولهما ابن المعتز (٢٩٦ هـ) الشاعر الخليفة ، والثاني ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) فحفظا لنا جملة كبيرة منه ، بل وانفردا - كذا - برواية قصائد كاملة له ، لم نجدها في مصدر آخر » .

لم يرو ابن المعتز هذه القصائد بتمامها ، وإنما أورد ما اختاره منها ، وقد ذكر ابن شاكر الكتبي في كتابه عيون التواريخ ، والرقيق النديم

---

(١) سمط اللآلي : ١/٥٠٧ (٢) الأغاني : ١٥/١٠٥

في كتابه قطب السرور ، بعض الأبيات التي لانجدها في مختار ابن المعتز من قصائد أبي الشيص .

وكذلك ذكر ابن المعتز أن القصيدة البائية :

مَرَتْ عينَـه للشوقِ فالدمعُ منسـكبْ
طلولُ ديارِ الحـيِّ والحيُّ مغترِبْ

هي في مدح عقبة بن الأشعث ولكننا لا نجد هذا المديح فيما أورده منها .

● ص : ١٥ « وهاك آراء القدماء في شعره » .

أضيف إلى ما ذكره المحقق : « وهذا أبو الشيص نقي الكلام ، متخير الألفاظ ، مداح للخلفاء ، لاحق للفحول » .

« قطب السرور : ١٠٧ ، وانظر : ٢١٦ »

« وقال ابن دريد : سألت أبا حاتم عن أبي نواس فقال : ... قلت : فأبي الشيص قال : : جِـدٌ كله فيه حلاوة وبشاعة كالسِّدرة التي نفضت ففيها المستعذب والمستبشع » . « ديوان أبي نواس ١/١٤ »

« وقال ابن أبي الشيص : أنا أشعر الناس ، وكان أشعر مني أبي ومن جميع من مضى ومن بقي » « طبقات الشعراء : ٣٦٤ »

« وإنما أخمل ذكره وقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع وأبي نواس »
« سمط اللآلي ١/٥٠٧ »

ب ــ حول منهج الديوان وتحقيقه :

ضم الديوان بين دفتيه « ٦١ » قصيدة أو مقطوعة ، منها قصيدة مطولة ، وأربع مقطعات ظاهرات النحل ، ولايمكننا الوثوق أيضاً بما ورد

من أشعار أبي الشيص في محاضرات الأدباء ، لأن أوهام الراغب الأصفهاني في هذا الكتاب كثيرة جداً .

وقد أهمل المحقق بعض الكتب المخطوطة مثل : عيون التواريخ ، وتاريخ الإسلام ، وعقد الجمان ، والتشبيهات المشرقية ... كما غفل عن إثبات الكثير من أشعار أبي الشيص ، أذكر بعضها فيما يلي :

* وكُميتٍ أرَّقها وهَجُ الشَّـمس وصيفٌ يغلي بها وشتاءُ
طبختها الشِّعْرى العَبُورُ وحَثَّتْ نارَها بالكواكب الجوزاءُ
محضتها كواكبُ القيظ حتى أقلعت عن سمائها الأقذاءُ
هي كالشَّرج في الزجاج إذا ما صبَّها في الزُّجاجة الوُصَفاءُ
ودم الشَّادن الذَّبيحِ وما يحْـتلبُ الساقيان منها سواءُ
قد سقتني والليل قد فتق الصُّبح بكأسين ظبيةٌ حوراءُ
عن بنانٍ كأنها قضبُ الفضةِ حَنَّى أطرافها الحِناءُ

« قطب السرور : ١٠٧ - ١٠٨ ، وانظر : ٢١٦ »

والبيتان السادس والسابع منها لأبي نواس في ديوانه : ١٩ ضمن مقطعة في أربعة أبيات وبعدهما :

ذاتُ حسنٍ تُسجي بأردافها الأزْ رُ وتطوى في قُمصِها الأحشاءُ
قد طوى بطنها على سعة العيْ شِ ضمورٌ في حقوها وانطواءُ

والبيت الأول لأبي نواس أيضاً في شرح المقامات ١٢٨/٢ ومعه بيت آخر هو :

لم يشنها الطاهي بطبخٍ ولا غيَّـرها عن طبيعة الكرْم ماءُ »

* ما كان أنضر عيشَهُ وأغضَّهُ أيام فضلُ ردائِه مسحوبُ

« كتاب الزهرة : ٣٤٠ ، وانظر ق/٢ »

* يخيبُ الفـــتى من حيث يُرزقُ غـــيرهُ
وُيعطى الفتى من حيثُ يُحـــرمُ صاحبهْ

« محاضرات الأدباء ٢/٤٥١ ، وانظر ق / ٤ »

* لو كنتُ أملكُ أن أفارق مهجتي ... لجعلتُ ناظـــرها عليك رقيبا
حـــذراً عليك وإنني بك واثقٌ ... أن لا ينال ســـواي منك نصيبا

« مجموعة أشعار ، والبيت الثاني في أمالي الزجاجي : ١٠٢ للعباس ابن الأحنف . وانظر ديوانه : ٢١ ، ويروى معه بيت آخر هو :

لم ألق ذا شجَن يبوحُ بحبه ... إلا ظننتك ذلك المحبـــوبا

أما البيت الأول فليس في ديوانه » .

* وكنتُ إذا رأيتُ فتى يبكّي ... على شَجن هزأتُ إذا خلوتُ
وأحسبني أدال الله منـــي ... فصرت إذا بصرتُ به بكيتُ

« التبيان في شرح الديوان ٢/٣٣٤ ، وانظر ق/١٠ »

* ومن يكن الغرابُ له دليلًا ... فناووسُ المجوس لهُ مصيرُ

« التمثيل والمحاضرة : ٣٦٩ »

* فذاك ولا صماء من رام كسرها ... بمعوله ذلّتْ بكفيه للكسر

« الوحشـيات : ١٧٥ – ١٧٦ ، وانظر ق / ٢٤ ، وقد وردت فيه بتمامها »

* على صهبـــاءَ كالمســـك ... وكالكافور في النشـــر

« عيون التواريخ ٧/٥٢ ، وانظر ق / ٢٥ »

* نمجٌ من أقداحنا قهـــوة ... تضوعُ بالمســـك وبالعنبر

كأنما أقداحنـــا فضّـةٌ قد بُطنت بالذهب الأحمرِ

« البيتان في قطب السرور : ٦٠٧ غير منسوبين ، والثـــاني في الرسالة الموضحة : ٥٤ »

* ومُنازِلٍ للقِرنِ يسحب فاضةً علق النجيعُ بثوبها الفضفاض

« الرسالة الموضحة : ٧٤ ، وانظر ق/٣٢ »

* ولقد نزلت برأس صابي القلب في ميدان كل غـــواية ركّاض

« الحماسة الشجرية ٨١٧/٢ ، وانظر ق / ٣٣ »

* تكاملت فيك أوصافٌ خُصِصت بها فكلّنا بك مسرورٌ ومُغتبـــطُ
السن ضاحكةٌ والكف مانحةٌ والنفسُ واسعةٌ والوجه منبسطُ

« وفيات الأعيان ٢٣٨/٢ ، وانظر ق / ٣٥ »

* ما كان مثلك في الورى فيمن مضى أحـــدٌ وظني أنه لا يُخلـقُ

« التبيان في شرح الديوان ٣٣٩/٢ »

* ما كان منكسر اللواءِ لطـيرةٍ تخشى ولا أمرٍ يكونُ مُزيّلا
لكنّ هذا الرمح أضعف ركنَهُ صِغَر الولاية واستقلّ الموصلا

« تاريخ الموصل : ٣١٠ ، والكامل في التـاريخ ١٢٣/٥ ، وهما من مشهور شعر أبي الشمقمق ، انظر طبقات الشعراء : ١٢٩ ، والمستطرف في كل فن مستظرف ٩٦/٢ ، والإبانة عن سرقات المتنـــبي : ٢٦١ ، وهبة الأيام : ٣٠٧ ، وعيون التواريخ ١٩٠/٦ ، وسأخص شـــعر أبي الشمقمق بمقال آخر إن شاء الله » .

* فأحســـبها وهي مكروعةٌ تَمجُّ ســـلافتها في الأواني
عنـــاقيد أخلافِها حُفّــلٌ تدرُّ بمثل الدماء القـــواني

عيون التواريخ ٧/٥٣ ، وقطب السرور : ٧١٤ ، وانظر ق/٥٥ ، والبيت الأول في قطب السرور ٢١٧ وروايته :

فيا حسنها عندَ شكِّ البزالِ ... عجٌ سلافتها في الأواني
* عاطني كأس سلوةٍ ... عن أذان المؤذن
ما ترى الصبح قد بدا ... في إزار متبن
فاسقنيها سلافةً ... والطمنّي و أرمني

قطب السرور : ١٠٨ ، والصواب أنها لأبي نواس ، وهي في ديوانه : ٥٩٥ ضمن مقطعة في خمسة أبيات هي :

يا سليمان غنني ... ومن الراح فاسقني
ما ترى الصبح قد بدا ... في إزار متبن
فإذا دارت الزجا ... جة خذها وأعطني
عاطني كأس سلوة ... عن أذان المؤذن
اسقني الخمر جهرة ... والطيني وأزنيني
* إذا أخذت بحبل من حبائله ... دانت لك الأرض أقصاها وأدناها

« الحماسة الشجرية ١/٣٩٩ ، وانظر ق/٥٩ »

● وضع المحقق الشعر المختلط بين قصائد الديوان ، وكان لزاماً عليه أن يضعه في قسم مفرد ، لأن أكثر هذه الأشعار ثابتة النسبة إلى شعراء آخرين ، ولاتجوز نسبتها إلى أبي الشيص .

كما اختلط على المحقق شعر أبي الشيص بشعر غيره من الشعراء ، ولم يميز هذا الاختلاط في الديوان ، فأورد هذه الأشعار وكأنها من صحيح شعر أبي الشيص ، وهذه بعض الأمثلة على ذلك :

١ – ق/ ٥ : ٢٣

شرابُك في السّراب إذا عطشنا ... وخبزُك عند منقطع التّراب
وما روّحتنا لتـذبّ عنّا ... ولكن خفت مرْزئة الذّباب

البيتان لأبي نواس في المحاسن والأضداد : ٥٨ ، والمحاسن والمساوىء ٢٠٣/١ ، وانظر ديوانه ٢٠/١ ، وهما لأبي الشمقمق في عيون التواريخ ١٩٠/٦ ، وطبقات الشعراء : ١٢٨ ، وانظر شعراء عباسيون : ١٣١ ، وديوان المعاني ١٨٧/١ ، ومحاضرات الأدباء ٦٦٢/٢ .

وفي المحاسن والأضداد : « وعن حذيفة بن محمد الطائي قال : قال الرشيد : ما لأحد من المولدين ما لأبي نواس في الهجاء : وما روحتنا ... »

أما مصدر البيتين عند المحقق فهو محاضرات الأدباء ٦٦٦/٢ ، ومن الممتع أن نذكر أن الراغب الأصفهاني نسب البيتين التاليين إلى أبي الشيص ، في كتابه محاضرات الأدباء ٢٣/٣ :

نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحبّ إلا للحبيب الأول
كم منزلٍ في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه أبداً لأول منزل

وهما من مشهور شعر أبي تمام .

٢ – ق / ٢٢ : ٥٦

تقول غداة البين إحدى نسائهم ... ليَ الكَبِد الحرى فسر ولك الصّبرُ
وقد خنقتها عـبرةٌ فدموعها ... على خدها بيضٌ وفي نحرها صُفر

البيتان لأبي نواس ، وهما ضمن مقطعة في ديوانه ١٠/١ ، وانظر نهاية الأرب ٢٧٢/٢ ، وديوان المعاني ٢٥٨/١ ، وكتاب الزهرة : ١٩٦ ، وحلبة الكميت : ١٩١ ، وشرح المقامات ٣٩/١

٣ – ق/٢٦ : ٦١

ملكٌ كأنَّ الموتَ يتبعُ قولَهُ حتّى يُقالَ تُطيعهُ الأقدارُ

البيت لمروان بن أبي حفصة ، وهو في ديوانه ص : ٥٠ ضمن مقطعة مطلعها :

أتظنُّ يا إدريسُ أنّكَ مُفلِتٌ كيدَ الخليفةِ أو يقيكَ فرارُ

٤ – ق/٢٩ : ٦٨

وناعسٍ لو يذوقُ الحبَّ ماتعيسا بلى عسى أن يرى طيفَ الحبيبِ عسى
وللهوى جَرَسٌ يَنفي الرُّقادَ به فكلما كدتُ أغفي حرَّكَ الجَرَسا

البيتان للعباس بن الأحنف ، وهما في ديوانه : ١٩٥ ، ويزاد فيهما :

ترى المحبَّ لما يلقى يُصوِّرُ مَنْ يهوى فيشكو إليه حيث ما جَلَسا

٥ – ق/٣٠ : ٦٩

لا تأمننَّ على سرِّي وسرِّكمُ غيري وغيرك أو طيِّ القراطيسِ
أو طائرٍ سأحليهِ وأنعتُهُ ما زال صاحبَ تنقيرٍ وتدسيسِ
سودٍ براثنُهُ ميلٍ ذوائبُهُ صُفرٍ حمالقُهُ في الحسنِ مغموسُ
قد كان همَّ سليمانٌ ليذبحَهُ لولا سعايتهُ في ملكِ بلقيسِ

الأبيات ١ ، ٢ ، ٤ لأبي نواس في ديوانه ١/٣٥ ، وفي ١/٣٦ :
ولم يسبق أبو نواس ، إلى هذا المعنى في وصف القيادة ، بل تلاه شاعر كوفي فقال :

إن القيادة لذّةٌ مع نفعها لولا القيادةُ تمّ ذبحُ الهُدهدِ

كما تُنسب هذه الأبيات إلى علي بن الجهم ، انظر ديوانه : ١٥١ ، وهي في نثار الأزهار : ٨٥ – ٨٦ لأبي الشيص .

٦ — ق/٣٣ : ٧٥

ولقد أقولُ لشَيْبةٍ أبصرتُها في مفرقي فمنحتُها إعراضي
عنيّ إليكِ فلستُ منتهياً ولو عمَّمت منكِ مفارقي ببياضِ
هل لي سوى عشرين عاماً قد مضت مع ستّة في أثرهنَّ مواضَ
ولقلَّما أرتاعُ منكِ وإنّني فيما هويتُ وإن وزعتِ لماضِ
فعليك ما استطعتِ الظّهور بلمّتي وعليّ أن ألقاكِ بالمقراضِ

« سمط اللآلي ٣٣٨/١ ، وفيه : وقال رجل من الأزد في ذلك ، وفي الهامش الذي وشحه العلامة الجليل الأستاذ عبد العزيز الميمني ما نصه: والصواب أنها لأبي الشيص الخزاعي — ٣٣٧/١ — ولعله ظن أنها من ضاديته المشهورة » .

هذا ما ذكره المحقق ، والصواب أن المقطعة لأبي الشيص ، فهي له في الحماسة الشجرية ٨١٧/٢ ، وانظر كذلك شرح المقامات ١٥١/٢

٧ — ق/٣٤ : ٧٦

كأنَّ بلادَ اللهِ في ضيقِ خاتمٍ عليّ فما تزدادُ طولاً ولا عرضا

البيت لمجنون ليلى ، وهو في ديوانه : ١٧٨ ، والحماسة الصغرى : ١٩٧ ، وقبله :

كأنّ فؤادي في مخالبِ طائرٍ إذا ذكرتُها النّفسُ شدت به قبضا

وهما في التشبيهات : ٢١٠ لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت .

٨ — ق/٣٧ : ٧٩

فلو كنتم على ذاكَ تؤولونَ إلى قصفِ
تساوت حالُكمْ فيه ولم تعنُوا على الخسفِ

أثبتها المحق عن كتاب بغداد ، ولكنها لم تنسب فيه إلى أبي الشيص، وإنما نسبت إلى رزين بن علي ، انظر كتاب بغداد : ٣٠٣ ، وبدائع البدائه: ١١٨ ، وديوان دعبل الخزاعي : ٢١٧ ، والأغاني ١٠/٤٨ - ٤٩

٩ — ق/٤٠ : ٨٢

عشقَ المكارمَ فهو مشتغل بها والمكرماتُ قليلةُ العُشّاقِ
وأقامَ سُوقاً للثناء ولم تكن سُوقُ الثناءِ تُعَدُّ في الأسواقِ
بثَّ الصنائعَ في البلاد فأصبحت تُجبى إليه محامِدُ الآفاقِ

ذكر ابن خلكان نسبة هذه المقطعة إلى أحمد بن أبي فنن ، في كتابه وفيات الأعيان ٦/٣٤١ : « ومدحه أحمد بن أبي فنن صالح بن سعيد بقوله : ثم وجدت هذه الأبيات لأبي الشيص الخزاعي في كتاب البارع » . والبيت الثاني ومعه بيت آخر في وفيات الأعيان ٦/٣٤٣ ليزيد بن مفرغ ، وانظر ٦/١٨٣ أيضاً .

١٠ — ق/٥٣ : ٩٦

هذا كتابُ فتىً له هممٌ عطفت عليك رجاءَهُ رحمُهْ
غلَّ الزمانُ يديْ عزيمتِه وهوت به من حالق قَدَمُهْ
وتواكلته ذوو قرابته وطواهُ عن أكفائه عدمُهْ
أفضى إليك بسره قلمٌ لو كان يعرفُهُ بكى قلمه

الأبيات لأبي تمام ، وهي في ديوانه ٤/٥٤٠ ، ويقالُ إنها للعتابي .
أما الدرة اليتيمة ، فقد تكلف المحقق الكثير ليعلل نسبتها إلى أبي الشيص ، وأرجح أن هذه القصيدة مصنوعة بدليل الاضطراب الذي يعتور نسبتها .

● ولتخريج قصائد الديوان ومقطوعاته شأن عجيب ، إذ ذكر المحقق العديد من الكتب في سرد مراجعه ولكنه لم يستوف ما فيها من شعر أبي الشيص ، كما أنه لم يتناول بالتفصيل والبيان ما أوردته هذه الكتب من أشعار ، وإنما اكتفى بالتلميح إلى ورود بعض الأبيات في عدد من الكتب ، دون ذكرها أو تبيان عددها ، وأكتفي بذكر ما جاء في تخريج القصيدة الثامنة :

« طبقات ابن المعتز : ٨١ ، وقد وردت أبيات منها في البديع لابن المعتز : ٤٩ ، و ... » . ولعل تسرع المحقق وعدم الأناة في اطلاعه على ما أثبت من المصادر ، أوقعاه في أخطاء كثيرة يمكن تلافيها ببعض العناية والتريث .

● وثمة العديد من الكتب التي غفل عن إثبات ما فيها من أشعار أبي الشيص ، أذكر منها :

العقد الفريد ، والتبيان في شرح الديوان ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ، والتمثيل والمحاضرة ، وكتاب الأشربة ، وكتاب خاص الخاص ، وهي جميعها من المراجع التي اعتمدها في تحقيق الديوان ، كما أنها مفهرسة . ولذلك رأيت أن أذكر بعض ما فات المحقق :

ق/٢ : البيتان في طبقات الشعراء : ٧٧ .

ق/٤ : البيت الثالث ومعه بيت آخر في معجم الشعراء : ٤١٧ لمحمد بن عبيد الأزدي .

ق/٦ : الأبيات ١ ، ٣ ، ٤ ، ٧ في مصارع العشاق ٢/٢٠٠ - ٢٠١ غير منسوبة .

ق/٨ : البيت ١٧ في التشبيهات : ١٨٣

ق/١١ : البيتان في المخلاة : ٧٣

ق/١٢ : الأبيات في بهجة المجالس ١/٧١٢ ، وهي غير منسوبة في عيون الأخبار ٣/٨١ ، والصداقة والصديق : ٥٣ ، والمحاسن والأضداد : ٣٨ ، والمحاسن والمساوىء ٢/٢٠٦ - ٢٠٧ ، والأبيات ١ - ٤ في العقد الفريد لابن أبي حازم .

ق/١٤ : البيتان ٣ ، ٤ في شروح سقط الزند ٣/١٢٣٤

ق/١٥ : البيتان لأشجع السلمي في طبقات الشعراء : ٢٥٢ ، وانظر محاضرات الأدباء ٤/٥٢٦

ق/١٨ : البيت الرابع في التبيان في شرح الديوان ٢/٣٣٩

ق/١٩ : البيتان ١ ، ٣ في المستطرف في كل فن مستظرف ٢/٢٠٥

ق/٢٤ : الأبيات في بهجة المجالس ١/٤٦٣

ق/٢٥ : الأبيات ١ ، ٢ ، ٥ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ في عيون التواريخ ٧/٥٢ ، والأبيات ١ ، ٢ ، ٥ - ٨ ، ١١ ، ١٢ في قطب السرور : ٦١٢ - ٦١٣

ق/٢٨ : البيتان ٢١ ، ٢٣ في التشبيهات : ١٨٤

ق/٣٠ : البيت الأول في بهجة المجالس ١/٤٦٤

ق/٣١ : الأبيات في خاص الخاص : ٨٩ ، وطبقات الشعراء : ٧٥ والعقد الفريد ٣/٢٢١ ، والبيتان ٢ ، ٣ في التشبيهات : ٣٧٣ لأبي العتاهية.

ق/٣٢ : الأبيات ٣ - ٥ ، ٧ في عيون التواريخ ٧/٥٣ ، والبيت الأول في الصبح المنبي عن حيثية المتبني : ٤٦ ، والبيت السابع في المنتحل : ١٧٦ ، وخاص الخاص : ٨٩ ، والبيت الخامس عشر في

التبيـان في شرح الديوان ٣/ ٣٦٠ . وانظـر محاضرات الأدبـــاء ٩٠٥/٢ ، ٦١٧/٤

ق/٣٣ : الأبيات في الحماسة الشجرية ٨١٧/٢ ، وعيون الأخبار ٥٢/٤

ق/٣٤ : البيت في غرر الخصائص : ٢٥٠ غير منسوب .

ق/٣٦ : البيتان في تاريخ الموصل : ٣١٧ ، والبداية والنهاية ٢٢٢/١٠

ق/٣٩ : البيتان في التشبيهات : ٨٢ غير منسوبين .

ق/٤٠ : الأبيات في غرر الخصائص : ١٠ غير منسوبة ، والبيت الأول في محاضرات الأدباء ٢٩٦/١

ق/٤١ : البيتان في الصبح المنبي عن حيثية المتنبي : ٢٦٠

ق/٤٤ : البيتان في العقد الفريد ١٢٤/١ ، ونسبا في ١١/٤ إلى أعرابية ، ويروى معهما بيت آخر هو :

كنت أخباك لاعتداء يـــد الدهر ولم تخطر المنون ببالي

ق/٤٥ : الأبيات في التبيـان في شرح الديوان ٢٩٤/٢ ، وشرح ديوان المتنبي للواحدي : ٤٢٤ ، وبهجـــة المجالس ٢٥١/١ ، والأبيات ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ في شـروح سـقط الزند ٣ / ١٣٧١ ، والبيت الخامس في محاضرات الأدباء ٦٣/٣ ، والتبيان في شرح الديوان ١٦٢/٢

ق/٥٠ : الأبيات في كتاب الأشربة : ٤٣ ، وطبقات الشعراء : ٧٤ ، ومن غاب عنه المطرب : ٢٦٩ – ٢٧٠ ، وروضة المحبين : ٨١ ، ٨٢ ، ٢٩٧ ، وسمط اللآلي ٥٠٧/١ ، وشرح المضنون : ٢٥٧ – ٢٥٨ وعيـون التواريخ ٤١/٧ ، وانظر ٥٢/٧ ، والبيت الرابع في الصبح المنبي : ١٨٩ ، والبيت الأول في قطب السـرور : ١٥٩ ، وانظر المخلاة : ١٣٥

ق/٥١ : البيتــان لبكر بن النطاح في المستطرف في كل فن مستظرف ١٤/٢ ، وأمالي المرتضى ٩٧/٢ ، ومحاضرات الأدباء ٣٠١/٣ ، ومن غاب عنه المطرب : ٢٧١ ، والظرف والظرفاء : ١٣٩ ، والإعجاز والإيجاز : ٥٥ ، وعيون التواريخ ٦٩/٧ ، وللحسين بن مطير في معجم الأدباء ٩٨/٤ ، وانظر ديوانه : ٧٢ ، كما نسب البيتان إلى أبي حية النميرى في أمالي الزجــاجي : ١٠١ ، والمستهل بن الكميت في الأغاني ١١٧/١٥

ق/٥٣ : الأبيات في المنتحل : ١٤٧ — ١٤٨ غير منســوبة ، والأبيات ١ ، ٢ ، ٤ في الموشى : ٢٠٣ غير منسوبة أيضاً .

ق/٥٤ : الأبيات في البصائر والذخائر ٥٤٦/٢ — ٥٤٧

ق/٥٥ : الأبيات ١ - ٣ في مصارع العشاق ١٤٣/١ غير منسوبة ، والأبيات ١٤ — ١٧ ، ٢٢ في عيون التواريخ ٥٣/٧ وقطب السرور : ٢١٦ - ٢١٧ ، ٧١٤

ق/٥٧ : البيتان في خاص الخاص : ٨٩ ، والإعجاز والإيجاز : ٥١ ، والبيت الثاني في التبيــان في شرح الديوان ٢٠١/٣ ، وشرح ديوان المتنبي للواحدي : ١٩١ ، وهما بلا نسبة في بهجــة المجالس ٥٩١/١ ، ٥١٢ ، والبيت الأول في غرر الخصائص ١٤ غير منسوب أيضاً ، وانظر التشبيهات : ٢٦٣

ق/٥٨ : البيتان في شرح المقامات ٨/٢

ق/٥٩ : البيتان في الحماسة الشجرية ٣٩٩/١

حلب　　　　محمد يحيى زين الدين

آراء وأنبـاء

توضيـح وتعقيب
على مقال الأستاذ محمد جميل بيهم

الأستاذ عبد اللطيف الطيباوي

لمقالة الأستـاذ محمد جميل بيهم المنشورة في العدد الرابـع من المجلد التاسع والأربعين أهمية خاصة ، لأن كاتبها عاصر بعض الحوادث التي وصفها وشارك في بعضها الآخر . لهذا أستأذنه ، لزيادة الفائدة من مقالته ، توضيـح بعض ما كتب وتصحيح بعض الهفوات :

١ - صفحة ٧٦٤ : اتخذ الأستاذ تقرير اللجنة الملكيـة البريطانية التي بحثت قضية فلسطين في سنة ١٩٣٧ مرجعاً في تاريخ القوميـة العربية فنقل ما جاء فيه أن الكلية السورية الإنجيلية في بيروت (الجامعة الأمريكية الآن) بعثت روح القومية العربية في شباب سورية . وهذا وهم لا تؤيده الحقائق . لا شك في فضل الجامعـة في السنوات التي تلت الحرب العالمية الأولى حتى الآن ، أمّا الكلية فكان التبشير بالمذهب البروتستانتي هدفها الأول منذ تأسيسها ، ولم تعلّم من المباحث ما غذّى الروح القوميـة ، ولم يكن بين معلميها من اهتم بذلك . (بحثنا هذا الموضوع في مقالات نشرت في هذه المجلة آخرها في الجزء الرابـع من المجلد السابع والأربعين ، وفي مقالة « أوهـام حول النهضة » نشرت في العددين الثالث والرابـع لسنة ١٩٧١ من مجلة Middle East Forum) .

٢ — صفحه ٧٦٥ : يذكر الأستاذ أن تركيا دخلت الحرب في ٢ تشرين الثاني ١٩١٤ ، وعلى صفحة ٧٦٧ ينقل أنها دخلتها في ٣١ تشرين الأول . والحقيقة لا هذا ولا ذاك . بدأت بريطانيا بإعلان « حالة حرب » مع تركيا في ٥ تشرين الثاني . أما تركيا فلم تعلن الحرب حتى ١٤ منه ، وكان ذلك بصورة مزدوجة : إعلان من الحكومة التركية موجه إلى حكومات بريطانيا وفرنسا وروسيا ، وإعلان من السلطان بصفته خليفة المسلمين موجه إلى المسلمين الخاضعين لحكم تلك الدول والمجندين في جيوشها يأمرهم بالثورة والعصيان تحت راية الجهاد الإسلامي . (راجع جريدة طنين التركية في ٢٦ ذي الحجة ١٣٣٢/١٥ تشرين الثاني ١٩١٤)

٣ — صفحة ٧٦٧ : عند إعلان الحرب كان اللورد كتشنر يشغل وظيفة المعتمد البريطاني في مصر ، فرُقّي وزيراً للحربية وخلفه السير هنري مكماهون ، لا رونالد ستورس كما يقول الأستاذ . كان ستورس هذا السكرتير الشرقي في دار الاعتماد البريطانية ورتبته تأتي بعد المستشار والسكرتير الأول والثاني والثالث (راجع قائمة موظفي وزارة الخارجية البريطانية لسنة ١٩١٤ : Foreign Office List) .

٤ — صفحة ٧٧٠ : سلسلة الحوادث والتواريخ الخاصة بدخول دمشق في تشرين الأول ١٩١٨ كما ذكرها الأستاذ غير صحيحة . وهذه هي الحقائق : انسحبت مؤخرة الجيش التركي من المدينة قبل ظهر يوم ٣٠ أيلول ، وفي الحال رفعت الأعلام العربية على دار البلدية وأعلن قيام حكومة عربية . وفي مساء ذلك اليوم وصلت القوات العربية والبريطانية إلى ضواحي المدينة ، وفي فجر اليوم التالي أول تشرين الأول دخلتها قوة الهجانة العربية بصورة رسمية ، وعبرت ضواحيها الشمالية قوة الخيالة الاسترالية اضطراراً وبصورة

غير رسمية ، فقد أمر الاستراليون بقطـع الطريق بين دمشق وحمص أمام فلول الأتراك ، فوجد قائدهم أن التضاريس الطبيعية في وادي بردى لاتمكن الخيالة من اجتيازه فأمرهم باجتيـاز ضواحي المدينة من الشمال للوصول إلى غرضهم . وإلى ذلك يشير الزهاوي بقوله :

فقد ذَرَّ قرن الشمس أو كاد وانجلت من الليل عن صبح النجاة سدول
وجاءت خيول العرب تعدو وراءها بقربـــة الإنـكليز خيـــــول

وكان أول من دخل المدينة من القواد العرب الشريف ناصر ،ومعه نوري الشعلان ونوري السعيد . أما الأمير فيصل فقد دخلها في يوم ٣ تشرين الأول (لا يوم ١٠ كما يقول الأستاذ) ، وبعده بساعات دخلها القـائد البريطاني العام الجنرال اللنبي ، فوجدها ، كما قال في تقريره لوزارة الحربية ، تحت حكم عربي . (هذه الحقائق مستمدة من تقريره الرسمي الموجود في دار الوثائق البريطانية في لندن . وقد فصلنا ذلك في كتابنا : تاريخ سورية الحديث A modern History of Syria , London 1969 , p . 268-9) .

٥ — صفحة ٧٧٢ : يذكر الأستاذ أنه بعد أن أفشى البولشفيك سر معاهدة سايكس ـ بيكو استفسر الملك حسين من مكماهون وأن هذا أكد له « أن الإنـكليز لا يزالون على عهدهم له ، وأنهم مصممون على إعلان الحرية للعرب والوحدة العربية » . الحقيقة أن الملك حسين استفسر من خلف مكماهون وهو السير ريغنالد وينغيت ، فحوّل هذا السؤال إلى لندن وجاء الجواب بامضـاء وزير الخارجية بلفور . وهو كالعادة غامض جداً ولا ذكر فيه للوحدة العربية لا تصريحاً ولا تلميحاً . (تفصيل الخبر في كتابنا المذكور أعلاه ص ٢٦١ ـ ٦٢)

معهد التربية ـ جامعة لندن **عبد اللطيف الطيباوي**

ســؤالان لغويان

الأستاذ محمد العدناني

أرجو إجابتي عن السؤالين الآتيين[1] :

(١) لقد استشرتُ أربعة عشر مصدراً لغوياً ، بينها الصحاح ، ومقامات الحريري ، والأساس ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمتن ، وأقرب الموارد ، بحثاً عن قولنا « كُتُبٌ عديدةٌ » ، فوجدتها تقول : إن **العديدَ** هو **العَدَدُ** .

بينما قال الراغب الأصفهاني إنّ الجيش **العديدَ** هو **الكثيرُ** . وقال اللسان : **العديدُ** : **الكثرةُ** (لم يَقُلْ : **الكثير**) . وقال المعجم الوسيط : **العديدُ** : **العددُ الكثيرُ** (يُقالُ : **ما أكثرَ** عديدَهم !) . فلو صح قول الوسيط هذا ، ودل (**العديدُ**) على الكثرة ، لما احتجنا إلى استعمال (**أكثر**) ، إذ يصبح معنى الجملة : ما أكثر كثرة عددهم ! وهذا غير معقول .

وقال إن (**العديدةَ**) تعني الحِصَّةَ ، كلٌّ من اللسان ، والقاموس ، والتاج ، ومَدّ القاموس ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وذكرَ أن (**العِدَّة**) هو الكثرة ، كلٌّ من اللسان ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

---

(١) السؤالان موجهان إلى السادة أعضاء مجمع اللغة العربية وإلى العاملين في الحقل اللغوي بعامة .

بينما ذكر التاجُ والمتن أن العِدَّةَ هي الجماعة قلَّتْ أو كثرت .

ويقول دوزي في « مستدرك المعجمات » : مدائن عِدَّةٌ : كثيرةٌ .

فهل يعني قولنا : « كُتُبٌ عديدةٌ » أنها كثيرة ، أم يعني أنها معدودة ، أم يعني كلتيهما ؟ وهل يحق لنا أن نقول : عِدَّةُ كُتُبٍ ، وكُتُبٌ عِدةٌ ؟ وإذا كان لا يحق لنا ذلك فما هو المانع ؟

(٢) هل يحق لنا أن نقول : هذه هي دعوتُه الحقَّةُ إلى الجهاد ، أم يجب أن نقول : دعوتُه الحقُّ إلى الجهاد ؟

ذكر العلامة الأستاذ عباس حسن في النحو الوافي ٣/١٨٠ ، و ٣/١٨٣ و ٣/٢٠١ أن المصدر لا دلالة له على تذكير أو تأنيث ، وأنه « يدل في الغالب على مجرد الحدث . أي : يدل على أمر معنويٍ محض ، لاصلةَ له بزمان ، ولا بمكان ، ولا بذات ، ولا بعلَميَّةٍ ، ولا بتذكيرٍ ، أو تأنيث ، ولا بإفرادٍ ، أو تثنية ، أو جمع أو غيره » .

ويقول العلامة مصطفى الغلاييني في « جامع الدروس العربية » ٣/٢٢٥ : « المصدر الموصوف به يبقى بصورةٍ واحدةٍ للمفرد ، والمثنى ، والجمع ، والمذكر ، والمؤنث فنقول : رجلٌ عَدْلٌ ، وامرأةٌ عدلٌ ، ورجُلانِ عدْلٌ ، وامرأتانِ عدْلٌ ، ورِجالٌ عَدْلٌ ، ونساءٌ عدلٌ » .

وكلمة (الحقّ) هي مصدرٌ . ولكنّ القاموس ، والتاج ، والمدّ ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والوسيط تقول : إن مصادر الفعل حَقَّ يحِقُّ أو يَحُقُّ ، هي : حقّةٌ ، وحَقٌّ وحُقوقٌ . ومعنى الفعل حقّ : صار حقاً .

وأنا أرى أن المصدر (حقَّة) يجيز لنا أن نقول : **الدعوة الحقة** ؛ لأننا لسنا في حاجة إلى الإتيان بالصِّفة مذكَّرةً لموصوف مؤنث ، ما دام لدينا مصدر مؤنث أيضاً ، يفرض علينا أن نقول : **الدَّعوةُ الحقَّةُ والقولُ الحقُّ** .

وقد خطّأوا قبلَ ذلك من يؤنّث المصدر (بَحْث) ، ومن يثنيه ويجمعه ، ولكن الصحاح ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، ومدّ القاموس ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والوسيط ، أجازوا تأنيث المصدر (**بَحْث**) ، وتثنيته ، وجمعه ، وقولَ : قضية سياسية **بَحْتَة** ، مع أن مصدري الفعل بَحُتَ ، هما (بَحْتٌ) و (بُحُوتةٌ) ، وليس معهما (**بَحْتة**) ، كما هو الحالُ في مصادر الفعلِ **حَقَّ : حَقٌّ ، وحقةٌ وحقوقٌ** .

والمصدران (بَحْتٌ) و (حَقٌّ) هما أيضاً اسمان (كما تقول المعاجم كلها) يجب علينا أن نؤنثهما مع موصوفهما المؤنث ، ونذكرهما مع موصوفهما المذكر .

فهل نقول : **الدعوةُ الحقُّ** ، أم **الدعوةُ الحقّةُ** ، أم نقول كلتيهما ؟

أرجو أن تزودوني برأيكم الموفق خلال الأشهر الثلاثة المقبلة ، لكي أنشره في معجمي الجديد « معجم عثرات الأدباء » مع الاستفتاء الإملائي عن كتابة همزتي الوصل والقطع ورسم تنوين النصب .

وتفضلوا في الختام بقبول شكري وشكر الضاد والناطقين بها .

بيروت **محمد العدناني**

مخطوطات قيمة

في مكتبة مجمع اللغة العربية

كانت مكتبة علامة الشام المحدث الأكبر الشيخ محمد بدر الدين الحسني (١٢٦٧ - ١٣٥٤ هـ - ١٨٥١ - ١٩٣٥ م) رحمه الله ، قد ضمت ، سواء في مقره في دار الحديث الأشرفية أم في منزله ، مجموعة طيبة من المطبوعات والمخطوطات النادرة ، مما كان يحرص أشد الحرص على حفظه وحمايته وتأمين حسن الإفادة منه .

وكان من وصيته رحمه الله ، في شأن الكتب (الموقوفة) التي تناهت إلى مكتبته ، أن ترد إلى جهة علمية موثوقة تتولى متابعة حمايتها وحفظها وتمكين طلاب العلم من الإفادة منها .

وقد تولى الأستاذ محمد فخر الدين الحسني حفيد المحدث الأكبر إنفاذ وصية جده ، على خير وجوه الإنفاذ ، حين ارتأى أن تودع تلك المخطوطات مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق لتكون في متناول الباحثين والدارسين . وتفضل فبعث بها إلى المجمع .

إن مجمع اللغة العربية الذي يعرف فضل المحدث الأكبر العلامة الشيخ محمد بدر الدين الحسني[١] على الثقافة الإسلامية ويدرك عمله في إشاعتها من

(١) انظر في ترجمة الشيخ : مجلة مجمع دمشق : مج ١٣ : ٢٩٦ — ٣٥٠ وكتاب الأعلام للزركلي ٨ : ٣٣

خلال تدريسه الذي لم ينقطع مدة قاربت ثلاثة أرباع القرن، ويقدّر ما كان من أثره في تكوين نخبة من العلماء وجمهرة كبيرة من المتعلمين والمتفقهين، ليفيدُ من هذه المناسبة فيسأل الله أن يجزيه أفضل الجزاء، ويشكر لحفيده الأستاذ محمد فخر الدين الحسني حسن قيامه على ما خلفه جده من كتب التراث المجيد وصيانته لها ثم قيامه بتنفيذ الوصية على خير وجه .

وفيما يلي قائمة بأسماء المخطوطات التي دخلت خزانة كتب المجمع مع تعريف موجز بها :

١ ـ المجلد الأول من شرح المحصول . لأبي عبد الله محمد بن محمود ابن محمد الأصفهاني . أوله الحمد لله على نعمه، ومن نعمه حمده .

٢ ـ المجلد الثاني من شرح المحصول للأصفهاني . تاريخ نسخه ٦٩٨ هـ الناسخ مأمون بن محمد بن مأمون بن محمد بن كمال الإيجي .

٣ ـ الجزء الأول من نفائس الأصول في شرح المحصول للرازي . تأليف الشيخ أحمد شهاب الدين بن إدريس المالكي المعروف بالقرافي . أوله : الحمد لله الذي تفرد في عظم ألوهيته بكمال المجد والعلاء .

٤ ـ الجزء الثاني من النسخة نفسها .

٥ ـ الجزء الثالث من النسخة نفسها . تاريخ نسخه ٧٠٩ هـ

٦ ـ حاشية ميرزا جان على شرح حكمة العين، لمبارك شاه . أوله: بسم الله الرحمن الرحيم قال الشارح الحكمة . . وعليها حواش مفيدة .

٧ ـ كتاب في الاستعارات . مجلد ناقص من آخره . أوله : الحمـــد لله الواجب وجوده . أقول افتتح كتابه بالحمد .

٨ - شرح مختصر المنتهى للعضد الإيجي في أصول الفقه . أوله : الحمد لله الذي برأ الأنام . تاريخ نسخه ١٠٥٢ هـ

٩ - الغيث الهامع في شرح جمع الجوامع لأبي زرعة العراقي . أوله : أما بعد حمد الله والصلاة على رسوله . نسخة قيمة وقديمة

١٠ - الترغيب والترهيب للمنذري المجلد الثاني قديم . أوله كتاب اللباس والزينة .

١١ - شرح القسم الثالث من المفتاح للسيد الشريف الجرجاني مجلد . أوله : نحمدك اللهم على ما هديتنا إليه من دقائق المعاني . تاريخ نسخه ٨٦٣ هـ

١٢ - الجزء الثاني من تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد لبدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر المخزومي الدماميني . أوله بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين . باب إعمال المصدر ، تاريخ نسخه ٨٤٥ هـ

١٣ - النكت على ابن الصلاح للبدر الزركشي . أوله الحمد لله الذي أعلى منار الإسلام . تاريخ نسخه ٨٨٩ هـ

١٤ - نهاية السول في شرح منهاج الأصول لجمال الدين أبي الحسن الأسنوي . أوله : الحمد لله الذي مهد أصول شريعته . تاريخ نسخه ٨٤٣ هـ

١٥ - حاشية على شرح المختصر للعضد الايجي ، للأبهري . أوله : الحمد لله الذي شرح الأحكام وربطها بدلائل كلية . تاريخ نسخه ٨٢٠ هـ

١٦ - المجلد الثالث من تفسير القرطبي ، من سورة التوبة . مخروم أوله وآخره .

١٧ - الفوائد شرح الزوائد . وهو شرح على منهاج البيضاوي للشيخ برهان الدين الأبناسي . مخروم الآخر . أوله : الحمد لله الذي أسس شريعته بنبيه أحسن أساس . عليه تمليك في ٩٢٨

١٨ ـ الأول من تفسير علي بن الحسين بن عروة الحنبلي المسمى بالكواكب الدراري . وهو المجلد العشرون . أوله : الحمد لله نحمده ونستعينه . تاريخ نسخه ٨٢٥ هـ . كتبه تلميذ المؤلف .

١٩ ـ المجلد الأول من نهاية الوصول في دراية الأصول ، لصفي الدين الهندي . مخروم الأخير . أوله : الحمد لله محيي الأمم بعد فنائها .

٢٠ ـ شرح التسهيل لابن مالك . للشيخ أبي بكر الدماميني . أوله : اللهم إياك نحمد على نعم توجهت الآمال إلى نحوها . تاريخ نسخه ١٠٣٠ هـ .

٢١ ـ شرح الاخسيكتي في أصول الفقه ، للشيخ حسام الدين السغناقي . أو كتاب الوافي في شرح المختصر في أصول الفقه . أوله : الحمد لله الذي جعل قوانين الشرع أصوله . تاريخ نسخه ٧٢٦ هـ

وقف ابن طولون على مدرسة أبي عمر بالصالحية

٢٢ ـ شرح مختصر ابن الحاجب للسعد التفتزاني . أوله : الحمد لله الذي وفقنا للوصول إلى منتهى أصول الشريعة الغراء . تاريخ نسخه ٩٩٢ هـ

٢٣ ـ النكت العرفية بما في شرح الألفية . لبرهان الدين البقاعي . كتب عن نسخة قرئت على المؤلف . أوله : الحمد لله الذي من أسند إليه ضعيف عزمه قوّاه : تاريخ نسخه ١١١٦ هـ

٢٤ ـ رسالة إثبات الواجب للجلال الدواني . أوله : سبحانك ما أعظم شانك . بهامشها تعليقات بخط دقيق .

٢٥ ـ حاشية قره ياغي على إثبات الواجب للجلال الدواني . أوله : قوله شكراً لله .

٢٦ - المنتقى من مكارم الأخلاق للخرائطي . مخروم الأول بنقص ورقة واحدة تقريباً أوله : « أبي سليمان الفلسطيني » وهو في خمسة أجزاء في مجلد واحد . نسخة قديمة عليها سماعات منها سماع سنة ٥١١ هـ بجامع دمشق بقراءة أبي محمد عبد الرحمن السلمي وغيره .

٢٧ - شرح السخوية في علم الحساب للشيخ حسين المحلي . أوله : الحمد لله الذي خص العلماء . ومعه حاشية كاشفة الهموم والبلية عن المتوقف في الفوائد الشنشورية للشيخ علي البقاعي . أوله : الحمد لله الحليم المنان . تاريخ نسخه ١١٤٨ هـ وهو بخط المؤلف

٢٨ - شرح الشافية لكمال الدين محمد الفسوي . أوله : الحمد لله الذي أمال قلوبنا إلى صرف الهمم نحو ... تاريخ نسخه ١٢١٣ هـ

٢٩ - شرح المحصل للرازي ، للشيخ نجم الدين الكاتبي . نسخة قديمة أولها : الذي أفاض بجوده العام .

٣٠ - التلخيص في الفرائض للشيخ عبد الله بن إبراهيم الخبري . أوله : الحمد لله أهل الحمد ومستحقه . تاريخ نسخه ٧١٨ هـ

٣١ - العقود الجوهرية في حل الأزهرية لناصر الدين الطبلاوي . أوله : أحمد من جمع الكمال في خلاصة خلقه أحمد . تاريخ نسخه ١٠٢٣ هـ

٣٢ - شرح الرساله العضدية . مجهولة المؤلف . أولها : الحمد لله على إفهام الخطاب .

٣٣ - حاشية العلامة العكاري على السنوسية الكبرى في علم التوحيد أوله : قوله الحمد لله ... الخ

٣٤ - المجلد الأول من الإبهاج في شرح المنهاج للعلامة ناصر الدين

لشيخ الإسلام تاج الدين السبكي . أوله : بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه . قال الشيخ الإمام . نسخة قيمة قديمة محررة ومضبوطـة على المؤلف السبكي بخط أحمد بن عبـد الرحمن ابن عبد الله سنة ٧٦٥ ه

٣٥ ـ المجلد الثاني منه . أوله : قال : الكتاب الثاني في السنة وهي قول الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، أو فعله . الورقة الأخيرة بها تآكل .

٣٦ ـ غاية الأصول إلى علم الفصول للقاضي زكريا الأنصاري . أوله : بعد البسملة والصلاة على نبيه وبعد فقد علقت فيما مضى الفصول المهمة في علم الميراث لابن الهائم .

٣٧ ـ كتاب في الفرائض على مذهب الإمام الشافعي. مخروم الأول والآخر.

٣٨ ـ شرح قصيدة الإمام الساوي لعبيد الله بن عبد الكافي بن عبد المجيد العبيدي في علم العروض . أولها : الحمد لله رب العالمين . بحمـد المليك الحق ذي الطول والعلا .

٣٩ ـ حاشية الشيرانشي على عصام ، في علم الوضع. أوله : يا معين ،قوله .على تقدير تقدم الديباجة . وعليه حواشٍ ، مخروم الآخر .

٤٠ ـ مجموع يحتوي أولاً : على رسالة في بيان المقصور والممدود . أولها: بدأت بحمد الله فهو ثناؤه . ثانياً : منظومة في مدح النبي صلى الله تعـالى عليه وسلم أولها : أصلي صلاة تملأ الأرض والسما ، على حروف الهجاء . ثالثا : شرح شهاب الأخيار للقضاعي أوله : الحمد لله : هو الوصف الجميل . رابعاً : حاشية الجلال المسماه بالمحاكمات لأحمد به حيدر . أوله : كيف لا أحمد لمن تتالت من فضله الآلاء . تاريخ نسخه ١٢١٩ ه

٤١ - كتاب الأمالي على نظم اللآلي للبدر الزركشي أوله : الحمد لله العادلةقسمته . في علم الفرائض . نسخة منقولة عن نسخة المؤلف بخط أحد تلامذته أحمد بن أبي بكر السيوطي . تاريخ نسخه ٨١٧ هـ

٤٢ - كتاب منع الموانع عن جمع الجوامع للعلامة تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب الأنصاري الخزرجي السبكي الشافعي تاريخ نسخه ٧٦٢ هـ وقد قوبل على نسخة مقابلة على نسخة المؤلف

٤٣ - حاشية مولانا حسين على شرح المطالع ، أوله بعد البسملة : قوله الفياض الوهاب . كتب على غلافه : غرة ذي الحجة ٨٨٨ هـ

٤٤ - حاشية حسن بن عبد الصمد السامسوني على شرح العضدية . أولها: أحمدك اللهم يا أهل الحمد والثناء . تاريخ نسخها ٨٨٩ هـ

٤٥ - مجموع فيه ١ - حاشية على آداب البحث للسمرقندي . أوله الحمد لله رب العالمين . وهي الرسالة المسماة المسعودية . تاريخ نسخها ٩٥٥ هـ

٢ - حاشية عماد لمسعود رومي أولها : قوله المنة علينا .

٣ - وشرح القطب الكيلاني على آداب البحث للسمرقندي . أوله : الحمد لله الذي هدانا إلى سواء السبيل .

٤٦ - الجزء الأول من الفتوحات الربانية بشرح الاذكار النووية لمحمد ابن علي بن علان . أوله : الحمد لله الذاكر من ذكره . تاريخ نسخه ١١٣٥ هـ

٤٧ - الصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم للإمام ابن تيمية . أوله : الحمد لله الهادي النصير . مخروم الآخر عدد أوراقه ٢٤٥ ورقة نسخة جيدة وقديمة

٤٨ - القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع للإمام السخاوي . أوله : الحمد لله الذي شرف قدر سيدنا محمد . نسخة قديمة . كتبه أبو بكر أحمد بن إبراهيم الحلبي سنة ٨٨٢ هـ

٤٩ ـ حاشية على جوهرة التوحيد للعدوي . أوله : الحمد لله الذي حلّى أفهام العارفين بفرائد أدلة التوحيد . مخروم الآخر .

٥٠ ـ شرح هداية المريد لجوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم اللقاني . أوله : الحمد لله الذي تفرد بوجوب وجوده . مخروم الآخر .

٥١ ـ شرح التجريد في العقائد للأصفهاني . أوله : الحمد لله المتوحد بوجوب الوجود . تاريخ نسخه ٨٦٨ ﻫ

٥٢ ـ تقريرات الإمام ابن حجر الهيتمي على الأربعين النووية . أوله : الحمد لله الذي وفق ، من المعلوم أن الموصول الاسمي . مخرومة الآخر .

٥٣ ـ شرح الجزرية لابن المصنف. أوله :الحمد لله المتعالي في جلال قدسه .

٥٤ ـ الجزء الأول من منح الغفار شرح تنوير الأبصار للتمرتاشي أوله : إن أجدر ما افتتحت به الكتب والدفاتر .

٥٥ ـ المجلد الثاني من منح الغفار تملكه العلامة حامد العمادي سنة ١١٤٠

٥٦ ـ حاشية العلامة ابن قاسم العبادي على حاشية شيخه اللقاني في شرح التصريف . أوله : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

٥٧ ـ حاشية العدوي على شرح المدهدي على متن السنوسية . أوله : الحمد لله الواجب الدوام . مخروم الآخر .

٥٨ ـ أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل للإمام ابن حجر الهيتمي . أوله : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد . تاريخ نسخه ١١٣٩ ﻫ

٥٩ ـ كتاب في التوحيد للعلامة إبراهيم اللقاني . مخروم الأول .

٦٠ ـ كتــاب المحاكمات وهو حاشية للعلامة عبد الله بن حيدر

الكردي الحسين أبادي . أوله : حمداً لمن تمثل في مرائي أجناس العالم . ومعه تعليقة لطيفة على حواشي الأحمدية على الفوائد الفنارية .

٦١ ـ تفسير الكشاف للإمام الزمخشري . أوله : الحمد لله الذي أنزل القرآن . نسخة خزائنية مذهبة خط جميل . كتب ١١٤٩

٦٢ ـ الجزء الأول من طبقات الشافعية الكبرى للإمام تاج الدين السبكي . أوله : الحمد لله نحمده ونستعينه .

٦٣ ـ الجزء الثاني من الطبقات الكبرى للإمام الشعراني وبه تكتمل النسخة أوله : عبد القاهر بن عبد الرحمن الشيخ أبو بكر الجرجاني . نسخة خزائنية مذهبة بخط نسخي جميل . تاريخ نسخه ١١٢٨ هـ

٦٤ ـ حاشية قاآني على المغني في علم أصول الفقه . أوله : الحمد لله رب العالمين والصلاة على رسوله . بخط محمد بن حسام بن سعد الملك البدخشاني . تاريخ نسخه ٧٨٣ هـ

٦٥ ـ المجلد الأول من حاشية قطب الدين الشيرازي على الكشاف للزمخشري . أوله : الحمد لله الذي علم القرآن . مجلد ضخم .

٦٦ ـ حاشية السعد التفتازاني على الكشاف للزمخشري . أوله : الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب . تاريخ نسخه ١٠١٩ هـ

٦٧ ـ العهود الصغرى للإمام الشعراني . أوله : الحمد لله رب العالمين وبعد فهذه عهود ومواثيق أخذت علينا من مشايخنا .

٦٨ ـ آكام المرجان في أحكام الجان للعلامة الشيخ بدر الدين الشبلي . أوله : الحمد لله خالق الإنس والجنة .

٦٩ ـ كتاب هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك للعلامة الشيخ

عز الدين بن جماعة . أوله : الحمد لله الذي شرع لقاصديه أقصد الطريق . تاريخ نسخه ٧٦٠ هـ . وعليه سماع على العلامة الشيخ عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحيم بن الحسن بن الفرات سنة ٧٦٥ هـ بخطه .

٧٠ ـ الجزء الأول من البحر المحيط للإمام أبي حيان الأندلسي . أوله: الحمد لله مبدىء صور المعارف . نسخة قديمة . وهو مما أوقفه محمد بن طولون على مدرسة أبي عمر بالصالحية .

٧١ ـ الجزء الثاني من شرح المحرر ، لعله للرافعي . أوله : باب الغصب تاريخ نسخه ٨٨٠ هـ

٧٢ ـ شرح هياكل النور للإمام السهروردي . أوله : يامن نصب رايات آيات قدرته . كتب ٩٧٣ وبآخره رسائل أخرى

٧٣ ـ مجموع رسائل فيه :

أولاً ـ النسمات السحرية في مدح خير البرية . أوله : يامن جمل نور نبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم . لأحمد المنيني .

ثانياً ـ قصيدة للشيخ محمد الفاسي الشهير بابن الطيب ، أولها : قباب قباء تلكم أم قبا سلع .

ثالثاً ـ رسالة العقد نظم عبد اللطيف بن فتح الله . أولها : الحمد لله القريب مجيب دعوة الداعي .

رابعاً ـ حلية الاصطفا في حلية المصطفى صلى الله عليه وسلم لمحمد سعيد اللقيمي المتوفى ١١٦٨ . أولها : أحمد الله كم له آلاء .

خامساً ـ تخميس لامية ابن الوردي : إلى متى أنت باللذات مشغول .

سادساً ـ أشعار مختلفة للشيخ علي العدوي ومحمد أفندي جمال الدين الغزي .

سابعاً ـ منهاج العارف المتقي ومعراج السالك المرتقي . نسب للشيخ الأكبر .

ثامناً ـ شرح موال الشيخ الأكبر للشيخ عمر اليافي .

٧٤ ـ حاشية الخضري على الشنشوري في علم الفرائض . أوله : الحمد لله الوارث بعد فناء خلقه .

٧٥ ـ شرح نخبة الفكر في مصطلح الأثر للإمام ابن حجر العسقلاني . أوله : الحمد لله الذي لم يزل عالماً قديراً . تاريخ نسخه ١١٥٦ هـ

٧٦ ـ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة . أوله : الحمد لله مميز الخبيث من الطيب . مخروم الآخر .

٧٧ ـ كتاب جنة الصابرين الأبرار وجنة المتوكلين الأخيار للشيخ عبد العزيز ابن العز البغدادي قاضي القدس الشريف . أورد فيه ماورد في القرآن الكريم من آيات الصبر والتوكل والآيات المشوقة إلى الجنة . أوله : الحمد لله شامل الصابرين برحمته . نسخة قديمة جيدة . جلدها جميل .

٧٨ ـ شرح الكافية للعلامة العصام . أوله بعد البسملة : الحمد لله والصلاة على نبيه أما بعد فهذه نبذة من الأفكار . مخروم الآخر .

٧٩ ـ شرح المراح لحسن باشا . أوله : الحمد لله الذي صرف أفكار قلوبنا إلى الصراط المستقيم تاريخ نسخه ٩٩٠ هـ

٨٠ ـ مجموع كتابين : أولاً : كتاب في عوامل النحو مخروم الأول .

ثانياً : تركيب العوامل في النحو .أوله بعد البسملة : الباء عامل لفظه سماعي .

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الثاني من عام ١٩٧٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
اختلاف الفقهاء (الجزء الأول)	أبو جعفر الطحاوي. تحقيق محمد صغير حسن المعصومي	إسلام آباد ١٩٧١
دلائل النظام	عبد الحميد الفراهي	أعظم كره ١٣٨٨هـ
ابن الحاجب النحوي (آثاره ومذهبه)	طارق عبد عون الجنابي	بغداد ١٩٧٤
فقهاء الفيحاء وتطور الحركة الفكرية في الحلة (الجزء الأول)	هادي كمال الدين	بغداد ١٩٦٢
ابن سينا ومذهبه في النفس	الدكتور فتح الله خليف	بيروت ١٩٧٤
الاتجاهات المتوقعة لعبء معاش الشيخوخة الشامل لكافة أفراد المجتمع في مصر	الدكتور محمد صلاح الدين صُدقي	« ١٩٧٤
الاستغلال كسبب لإبطال العقد	الدكتور عبد المنعم فرج الصدة	« ١٩٧٤
حقوق الإنسان بين الأمس واليوم	وجدي ملاط	« ١٩٧٤

اســم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
الصحاح في اللغة والعلوم	نديم مرعشلي ـ أسامة مرعشلي	بيروت ١٩٧٤
فروض علمية في تفسير علاقات الحرب والسلام	الدكتور محمد طه بدوي	« ١٩٧٤
مساهمة الفكر الكلاسيكي في التحليـل الحديث للتنمية الاقتصادية	الدكتور عبـد الرحمن يُسري أحمد	« ١٩٧٤
مستقبل النظام المصرفي في الدول العربية	الدكتور علي الجرتلي	« ١٩٧٤
مناهج البحث الفلسفي	الدكتور محمود زيدان	« ١٩٧٤
النظرية العامة للقاعدة الاجرائية الجنائية	الدكتور عبد الفتـاح الصيفي	« ١٩٧٤
وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث	الدكتور عبد العزيز نوار	« ١٩٧٤
الوثائق العربية لعام ١٩٧٣	الجامعة الأمريكية	« ١٩٧٣
الوضع السكاني في لبنان	يوسف كرباج ـ فيليب فارغ	« ١٩٧٤
الرياضيات للصف الثاني بجامعة حلب	الدكتور خالد ماغوط	حلب ١٩٦٥
مقاومة المواد	الدكتور عبد الرزاق عرعور	« ١٩٧٤
الهندسة التحليلية في الفراغ	الدكتور خالد ماغوط	« ١٩٧٢

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
أبحاث في الاقتصاد السوري والعربي	الدكتور هشام متولي	دمشق ١٩٧٤
أغان بريشة البرق	سليمان العيسى	» ١٩٧٥
أقاصيص سيباستوبول وغيرها	تولستوي. ترجمة الدكتور سامي الدروبي	» ١٩٧٤
أمواج	عبد الرحيم الحصني	» ١٩٧٤
الإنسان والحضارة والتحليل النفسي	ويلهلم رايش وآخرون. ترجمة أنطون شاهين	» ١٩٧٥
حدث في اركوتسك	ألكسي اربوزوف. ترجمة كمال عطية	» ١٩٧٤
الحكايات الشعبية في اللاذقية	أحمد بسام ساعي	» ١٩٧٤
درّ الحبب في تاريخ أعيان حلب (الجزء الثاني القسم الثاني)	ابن الحنبلي. تحقيق محمود فاخوري ويحيى عبارة	» ١٩٧٤
رضا قيصر (مسرحية)	علي عقلة عرسان	» ١٩٧٥
الزيني بركات (رواية)	جمال الغيطاني	» ١٩٧٤
العرب واليهود في التاريخ	الدكتور أحمد سوسة	» ١٩٧٣
عصر العقل (فلاسفة القرن السابع عشر)	ستيوارت هامبشر. ترجمة ناظم الطحان	» ١٩٧٥
العصفور المسافر (قصص للأطفال)	عبد الله عبد	» ١٩٧٥

اســـم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة الشعبية بصوفية في بلغاريا (الجزء الثاني)	الدكتور عدنان درويش	دمشق ١٩٧٤
قانون تنظيم الجامعات	وزارة التعليم العالي	» ١٩٧٥
لمحة عن السرج القديمة ونماذجها في المتحف الوطني بدمشق	بشير زهدي	» ١٩٧٤
مقالة في الأساطير في شعر عبد الوهاب البياتي	طراد الكبيسي	» ١٩٧٤
منسوجات المتحف الوطني بدمشق	كازوكو يوكو هاري تعريب بشير زهدي	» ١٩٧٤
نجاح بيكاسو وإخفاقه	جون بيرجير. ترجمة فايز صياغ	» ١٩٧٥
نصوص مختارة	بابوف . ترجمة عيسى عصفور	» ١٩٧٤
الوشـــاح الأزرق (قصص للأطفال)	أحمد يوسف داود	» ١٩٧٥
شعر الدعـــوة الإسلامية في العصر الأموي	عبد العزيز الزير ومحمد الأطرم	الرياض ١٩٧٢
شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الأول	عبد الله الجميثن	» ١٩٧٤

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الثاني	عائض بنية الردادي	الرياض ١٩٧٢
غمائم الخريف	رياض معلوف	زحلة ١٩٧٤
تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي (الجزء الأول)	سيف مرزوق الشملان	الكويت ١٩٧٥
تاريخ أحمد شاهي (١ – ٢)	محمود الحسيني المنشيء	موسكو ١٩٧٤
تحفة الحضر والأعراب في علم النحو والإعراب	هادي كمال الدين	النجف ١٩٧٤
التخميس والتشطير في أصحاب آية التطهير (١ – ٢)	» » »	النجف ٩٥٩-٩٦٧
التشيع وأثره في شعر العصر العباسي الأول	الدكتور محسن غياض	النجف ١٩٧٣
طبقات النحاة واللغويين	ابن قاضي شهبة	النجف ١٩٧٤
لحساب من هذي الخيانة	هادي كمال الدين	النجف ١٩٦٣
المكاسب (١ – ٣)	مرتضى الأنصاري	النجف ٩٧٣-٩٧٤

تصويبات

في العددين الثاني والثالث من المجلد الخمسين

ص	س	الصواب
٢٣١	٥	يجول
٢٥٨	٥	المدوّر
٢٦٠	٨	١٩٢٨
٢٦١	٣	كاف القيام بمهمتين
٢٦٧	٣	عن عدم قبول
٢٦٨	٤	لسياستها واسم
٣٢٧	٢	عبد الرحمن المرتضى
٤٨٧	١٤	Kosk
٤٨٧	١٩	Kofte
٤٨٨	٤	كيچه
٤٩٤	١٤	بِلا
٤٩٥	١٢	كَدَرٌ
٤٩٦	١٦	غمزوا
٤٩٦	١٦	إباءا
٥٠٠	١٧	أخذْتَ
٥٠٢	٦	وواغلها
٥٠٣	١٧	للخيِّرين
٥٠٤	٢	١٩٣٧ م
٥٠٤	١١	تغتدِ
٥٠٥	٢	في حبّير
٥٠٥	٣	لألاؤه
٥٠٥	١٣	تغورُ
٥٠٥	١٦	ساحرُ
٥٠٧	١٥	بمنونِ
٥٠٨	٤	فيرِنْدُ
٥٠٨	١٤	لَطيمة
٥٠٩	٣	بَنيك
٥١٠	١٢	بالماضين

● سقطت الجملة التالية من الصفحة ٤٨٤ : « نشر القسم الأول من هذا البحث في هذه المجلة : مج ٤٨ ج ٣ ص ٥١٩ » . ومكانها في الهامش .

● وقع خطأ في ترقيم الصفحتين ٤٥٥ و ٤٥٦ وترتيبها ، وصوابه أن تحل احداها محل الأخرى في الترقيم والترتيب .

فهرس الجزء الثالث من المجلد الخمسين

الصفحة

المقـــالات

التعريف والنقد

آراء وأنبـــاء